مقارنة الأديان

دراسة في عقائد ومصادر الأديان السماوية :

اليهودية والمسيحية والإسلام

❖ ❖ ❖

والأديان الوضعية:

الهندوسية والجينية والبوذية

الدكتور

طارق خليل السعدي

استاذ مقارنة الأديان والاستشراق

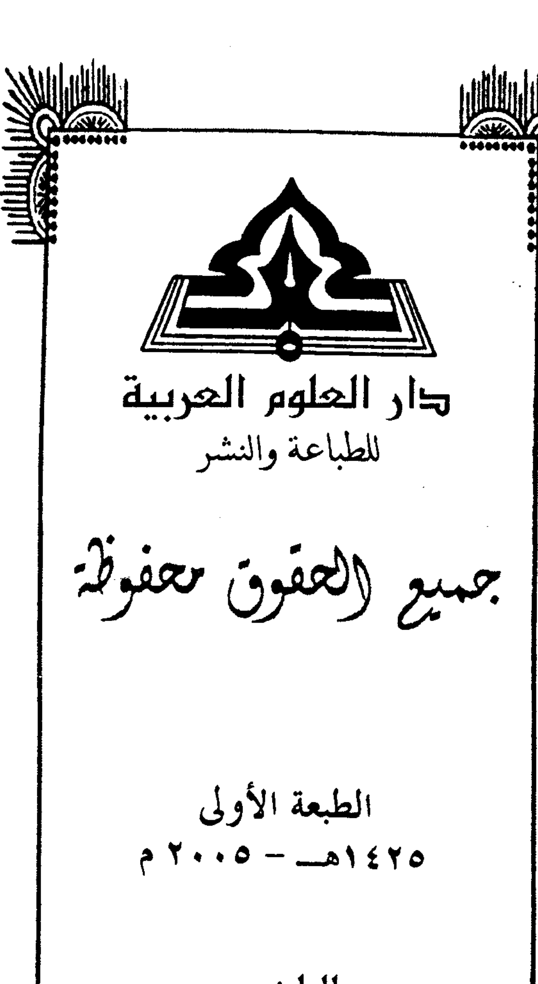
والحركات الفكرية المعاصرة

في جامعة بيروت الإسلامية



دار العلوم العربية

للطباعة والنشر



الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م

الناشر
دار العلوم العربية

E-mail: Khaled-n@inco.com.lb
هاتف-فاكس: ٠٠٩٦١ ١ ٨١٧٣٣١
ص.ب: ١٤/٥٧٤٠
بيروت — لبنان

مقدمة

التدين فطرة ذاتية في النفس الإنسانية، حيث لا يمكنها الطمأنينة والعيش السعيد إلا في ظلاله. وقد خاطب الله تعالى أول البشر آدم عليه السلام بعد خروجه من الجنة إلى الأرض بقوله:﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ **(سورة البقرة آية ٣٨).**

واستمر الدين يرافق البشرية في أطوار حياتها، وكان دوره بارزاً في كل نهضة وحضارة لكل أمة.

ولكن الدين الحق الذي أراده الله لصلاح عباده دين الفطرة، لم يبقى على نقائه، ولم يسلم من العبث، وقد اعترته علل وظواهر مرضية كثيرة عكرت صفاءه وبدلت أركانه وحالت دون تحقيق الهدف السامي منه، وتعددت تلك العلل والظواهر المرضية على مستوى الأفراد والمجتمعات ومنها:

١- **ضعف الإيمان:** حيث تحركت النزعة المادية في النفس الإنسانية وطغت سيطرة الشيطان على اتباعه فانتشر الفساد والضلال في الأفراد والمجتمعات فضاعت المقاصد الأساسية للدين.

٢- **المتاجرة بالدين:** قام بعض المستغلين بالمتاجرة بالدين تستراً لتحقيق أغراضهم الشخصية بالمساومة لسلب خيرات الناس وابتزاز أموالهم واستغلال الدين وباسمه للوصول إلى المراكز والمناصب وفرض النفوذ على الآخرين فكانوا أسوأ مثل لرجال الدين.

٣- **إضفاء الصفة الدينية على الآراء والفلسفات** : ظهر عبر الأزمان

عدد من الفلاسفة والمفكرين، استغلوا مكانة الـــدين في النفـــوس، وأضفوا على فلسفتهم وأفكارهم الصفة الدينية، ليضمنوا الاقتناع بها، ويحققوا انتشارها، وصارت هذه الفلسفات أدياناً في التاريخ والمجتمع، فظهرت الأديان الوضعية التي افتراها الناس زوراً على الخالق، فتعددت الأديان: أديان سماوية وأديان أرضية.

٤- **التحريف والتبديل:** اعتنق الأديان السماوية فريق عن غير إيمان واقتناع، بل نفاقاً وتقية، واعملوا الهدم والتخريب فيها، فأحلوا الحرام، وحرموا الحلال، وافتروا على الله الكذب، حتى صار الكهنة أرباباً من دون الله، ونسبوا لله تعالى ما لا يليق به من الأسماء والصفات، ونسجوا من خيالهم أساطير وخرافات.

٥- **الجهل بالدين واتباع الشهوات والغرائز:** إن الجهل بالدين كان ألد أعدائه، حيث ظهرت جماعات تجهل الدين السليم، واتبعت عادات وتقاليد موروثة لا تمت بصلة إلى الدين الصحيح.

ونزعت بعض الأنفس المريضة إلى الشهوات والغرائز، فارتكبت المعاصي، وتجاوزت المقدسات الدينية مع الاعتراف بقرارها بالإيمان وصحة العقيدة والتقصير في أحكام الدين، فعصوا الأوامر وشكلوا ظاهرة مرضية خطيرة.

٦- **تمزيق الدين:** ظهرت جماعـــات تؤمن بالدين ولكنها تأخذ ببعضـــه وتهمل بعضه الآخر، فضلت وأضلت، وأضاعت شخصيتها، وفقدت مكانتها،ويصدق عليهـــا قولـــه تعـــالى:﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ .(سورة البقرة الآيات: ٨٥ ، ٨٦).

٧- **الإلحاد:** قامت دعوات إلحادية في العصور الحديثة منتقدة حقب

تاريخية للأديان، مظهرة جوانب مظلمة منها، ومبينة تسلطها على الناس واستغلالهم.

هذه بعض مظاهر الدين المرضية عبر التاريخ، وقد تفاوتت النتائج المترتبة عليها، فقضت هذه المظاهرة على كثير من الأديان الباطلة، وقوضت دعائم رجال الدين في الاستبداد والاستغلال باسم الدين، ووضعت حداً لانحراف بعضهم، وكانت هذه المظاهر في جانب آخـــر دواءً ناجحاً للصحوة الدينية في أماكن أخرى، فدفعت بالبعض للتفتيش والبحث عن الدين الحق والقيم الدينية الصحيحة.

وانطلاقاً من هذه المقدمة سنعرض في:

الفصل الأول: **الدين**: يتضمن تعريف **الدين**، ومفهومه الصحيح ثم بواعث التدين الفطرية ووظيفة الدين في حياة الفرد والمجتمع، علم مقارنة الأديان علم إسلامي، المنهجية الإسلامية في التفكير الديني.

الفصل الثاني: ويتضمن دراسة **اليهودية**، ويعرض لتاريخ بني إسرائيل- خروج موسى ببني إسرائيل وسبب إغراق فرعون — مصادر الفكر الديني اليهودي — عقائد اليهود— الفرق في اليهودية — التوراة والعهد القديم— أنبياء بني إسرائيل.

الفصل الثالث: **المسيحية**: الاتجاهات حول المســيح والمســيحية— المسيح والمسيحية في نظر المسلمين. — المسيح والمسيحية في نظر المسيحيين — التثليث — صلب المسيح — المسيح والدينونــة — المصــادر الحقيقيــة للمعتقدات المسيحية — طبيعة المسيح والآراء حولها، الكتاب المقدس.

الفصل الرابع: الأديان غير الكتابية:- **الهندوسية**: عقائدها — كتبها. **الجينية**: منشاؤها — عقائدها — **البوذية**: بوذا — تعاليم البوذية.

الفصل الأول

مفهـــوم الديـــن

تتعدد معان الدين في اللغة وهي تنحصر في إيجاد علاقة بين طرفين، الطرف الأول يتمتع بالسلطان والقوة والملك، والطرف الآخر يتصف بالخضوع والطاعة والعبادة.

تعريف الدين عند علماء الغرب:-

انطلقت تعريفات الدين في الغرب من نظرهم إلى الكنيسة الكاثوليكية وتاريخها في العصور المختلفة والموقف منها.

وقد ظهرت تعريفات متباينة عن الدين منها:-

١- في كتاب «**لا دينية المستقبل**» لجويوه: «**الديانة**»: هو تصور المجموعة العالمية بصورة الجماعة الإنسانية، والشعور الديني هو الشعور بتبعيتنا لمشيئات أخرى يركزها الإنسان البدائي في الكون[1].

هذا التعريف يمثل نموذجاً لأنكار جوهر الدين في وجود الخالق المبدع، ويتجه نحو الاستخفاف والسخرية من الدين، وأنه تصور مثالي للإنسانية، وينعقد مع ما أورده أوغست كانت (Kant) أن العقلية الإنسانية مرت بثلاثة أدوار: دور الفلسفة الدينية، ثم دور الفلسفة التجريدية، ثم دور الفلسفة الواقعية، فجعل التفكير الديني يمثل الحالة البدائية التي تخلت عنها البشرية، وتجاوزها دون أن تعود إليها.

٢- وفي «**مقالات عن الديانة**» يقول شلاير ماخر: «**قوام حقيقة الدين**

---

[1] د. محمد البهي: " الدين والحضارة الإنسانية ص ١٠.

وانظر أيضاً "كتاب الدين" د. محمد عبد الله دراز. ص ٢٩ وما بعدها.

شعورنا بالحاجة والتبعية المطلقة».

وهذا تفسير نفسي محض، يصور النقص في الذات الإنسانية وأنها تتطلع إلى الكمال، ولذلك فإنه يعرف جانباً بسيطاً من الدين، ولكنه يتنكر لوجود المعبود ، ويتجاهل حقيقة الدين وأثره في النفوس والعقول، ووظيفته في التشريع والأخلاق.

٣- وفي كتاب **«قانون الإنسانية»**، يقول الأب شاتل: «**الدين هو مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق: واجبات الإنسان نحو الله، واجباته نحو الجماعة، وواجباته نحو نفسه».**

وهذا يعتبر أرقى تعريف للدين عند علماء الغرب، وهو يمثل مفهوم الدين المسيحي بعد انحسار دور الكنيسة عن الحياة والسلطة، وتحديد مهمتها في أماكن العبادة وحصر وظيفتها في صلة الإنسان بربه من الناحية الروحية، وصلته بالمجتمع من الناحية الخلقية.

وهذه التعريفات التي تمثل وجهات النظر الرئيسية للدين في الغرب:

نجد الأول منها ينكر الدين والإله أصلاً، والثاني يلجأ إلى الدين عند الحاجة والضرورة، والثالث يفهم الدين من الناحية الروحية والخلقية وهذا أسمى ما عندهم.

تعريف الدين عند علماء المسلمين:-

اشتهر تعريف الدين على لسان علماء المسلمين بأنه: -

- **«وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات، وإلى الخير في السلوك والمعاملات».**

- وأنه أيضاً: **«وضع إلهي، سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل».**

ويفهم من التعريف الإسلامي أمور ثلاثة: -

١- إن الدين وضع إلهي، وليس من إيحاء النفس، أو تخيل العقل، أو تنظيم الإنسان، فمرجع الدين إلى الله سبحانه هو أنزله وأوحى به، كما يقول تعالى: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[١].

٢- أن التعريف ينص على أن الدين عقيدة وشريعة، وليس مجرد اعتقاد، وأنه نظام رباني لضمان الفوز في الدنيا والآخرة.

٣- بيان الربط بين العقيدة والعقل، وأن الدين متفق مع العقل السليم خلافاً لما يقوله البعض بالفصل ما بين الدين والعقل وبين الدين والعلم وأن الدين محصور بالأمور الغيبية ولا شأن له بأمور الحياة والعلوم.

المفهوم الصحيح للدين: -

بالإضافة للمعاني اللغوية السابقة استعمل القرآن الكريم الدين، بمعنى عام شامل جامع وهو النظام الكامل، الذي يذعن المرء فيه لسلطة عليا، ثم تقبل إطاعته واتباعه، ويتقيد في حياته بحدوده وقواعده وقوانينه، ويرجو في طاعته العز والفوز بالدرجات العليا وحسن الجزاء، ويخشى في عصيانه الذلة والخزى وسوء العقاب.

وقد وردت آيات عديدة بهذا المعنى الشامل ومنها: -

- قال تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾[٢].

---

[١] سورة البقرة الآية ٣٨.

[٢] سورة التوبة آية ٢٩.

- ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾[1].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[2].

- وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[3].

- وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[4].

- فالمفهوم الصحيح للدين هو الذي نص عليه القرآن الكريم، وبينه للناس جميعاً ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ وأكده الله تعالى في آية أخرى حيث قال ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾، وقد اختاره الله تعالى في القرآن الكريم ورضيه لنفسه وارتضاه للبشرية بعد أن رفض قبول غيره فقال تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[5].

خصائص العقيدة الدينية: -

إن مفهوم الدين كما مر معنا هو علاقة بين طرفين يخضع أحدهما للآخر ويقدسه ويبجله ويعبده. والمميزات التي تجعل من الخضوع ديناً، تنقسم باختصار إلى قسمين.

أ- صفات المقدس الذي يقدسه المتدين.

---

[1] سورة غافر - الآية ٢٦.

[2] سورة آل عمران الآية ١٩.

[3] سورة آل عمران الآية ٨٥.

[4] سورة التوبة الآية ٣٣.

[5] سورة المائدة الآية ٣.

ب- طبيعة هذا الدين.

وخصائص العقيدة الدينية تنحصر في: -

١- إن الإنسان يقدس الشرف والعرض والحرية والكرامة، ويخضع لقوانين الكون وسننه الثابتة، ولكن هذه الأمور لا تسمى ديناً، لأنها معان عقلية مجردة وتصورات شائعة مبهمة، أما المتدين فإنه يهدف إلى تقديس حقيقة خارجة عن نطاق الأذهان، فالتقديس الديني يتجه إلى ذات مستقلة قائمة بنفسها،وتكون العقيدة الدينية صلة بين ذات وذات، لا بين ذات وفكرة مجردة.

٢- إن الذات التي يقدسها المتدين شيء غيبي لا يدركه بعقله ووجدانه، ولذلك ذكر القرآن الكريم حال الوثنيين الذين يقدسون الأوثان لما ترمز إليه من قوة غيبية ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[١].

٣- إن الذات المقدسة مؤثرة وفاعلة لها أهدافها ومشيئتها، وهي على صلة بنفس المتدين، وترعى شؤونه.

٤- إن هذه القوة المعبودة هي قوة علوية سبحانية قاهرة، يخضع لها المتدين، يطلب رضاها، ويشفق من غضبها وسخطها.

٥- الخضوع الشعوري الاختياري للمعبود ، فالمتدين يقدس ويمجد معبوده عن طواعية واختيار، لاستحقاقه ذلك ويقوم بعبادته وتعظيمه دون إكراه، وفي هذا يقول القرآن الكريم أن الصلاة كبيرة وشاقة إلا على المتقين: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ۝٤٥ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾[٢].

---

[١] سورة الزمر الآية ٣.

[٢] سورة البقرة، الآية ٤٥، ٤٦.

بواعث التدين الفطرية:-

التدين فطرة في الإنسان، وهو جزء من كيانه ووجوده.

وحول ذلك ذكر «**معجم لاروس**» للقرن العشرين: «**إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية حتى أشدها همجية وأقربها إلى الحياة الحيوانية وإن الاهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية**»[١].

وعبر الأزمان ثبت أن فكرة التدين لم تفارق الإنسانية، و لم تخلو منها أمة من الأمم، لأنها نزعة أصيلة في الإنسان.

فالبحث في أمور الدين وبالأخص الخالق، كان هدف الإنسانية، فاهتدى الإنسان أحياناً وضل أحياناً أخرى، وهنا تسمو الديانات السماوية التي أنزلها الله تعالى وأوحى بها إلى أنبيائه ورسله لتبين للناس الطريق السليم والعقيدة الصحيحة والدين الحق.

١- إن نزعة التدين ظهرت من غريزة التطلع إلى الغيب ومحاولة معرفة الحقيقة الرابضة وراءه، وعدم الوقوف عند حدود الواقع الحسي، والعودة إلى التأمل في المسائل الأزلية: حول خلق الإنسان، ومن خلقه، ونهاية الكون، وما هو مصير الإنسان... وغيرها من الأسئلة التي تدفع الإنسان إلى الإيمان بالله وإلى البحث والنظر في القضايا الغيبية التي كانت وستبقى الشغل الشاغل للإنسان. ويريد الإنسان الوصول إلى اليقين، فالعلم يكشف نواميس الكون ولكنه لا يغير منها

---

[١] معجم لاروس – الدين: ص٨٤.

شـــيء ومجاله النواحي المادية بينما بحث الإنســـان ذلك في النواحي الروحية.

٢- عجز الإنسان الدائم وحاجته إلى قوة عظيمة تنقذه من جميع المهالك، وتعينه في الشدائد، وتغيثه وقت الضيق، وتعينه وقت الحاجة، وهذا العجز عام في الإنسان.

والشعور النفسي بوجود المنقذ والمنجي إما أن يدفع الإنسان إلى الإيمان وإما أن يتنكر ويجحد الفضل فيكون كافراً وضالاً.

وقد ذكر القرآن الكريم نماذج من هذه النفوس نذكر منها: -

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۞ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[3].

---

(١) سورة يونس الآيات ٢٢، ٢٣.

(٢) سورة الإسراء الآية ٦٧.

(٣) سورة النمل الآيات ٦٢، ٦٣.

هذه الآيات تدل على الإحساس النفسي الباطني عن عجز الإنسان والتجائه إلى القوى الغيبية الخالقة المبدعة التي تتصرف بالكون فيلجأ إليها كي تنقذه بعد الرجاء والوعود بالتوبة، ثم ما يلبث أن ينقض وعده ويتيه في الظلال إلا الذين اعملوا عقلهم وحافظوا على وعدهم والالتزام بالعقيدة والإيمان بالله.

٣- ومن دوافع الفطرة إلى التدين إحساس الإنسان بالرهبة أمام هذا الكون وعظمته وما يدور فيه مما يجعل الإنسان تواقاً إلى البحث عن الخالق المدبر العظيم، فيأنس بربه ويهدأ روعه ويخضع له بالطاعة والعبادة وهذا هو الدين.

أكدت الآيات الكريمة هذه الصور قال تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[1]. ويقول تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۞ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[2].

---

[1] سورة الرعد الآيات ٢ — ٤.

[2] سورة لقمان الآيات ١٠ — ١١.

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾.

وفي توجهه إلى الكفار يقول تعالى: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ۝ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴾[2].

هذه الآيات وآيات أخرى تدلل على إحساس الإنسان بالرهبة والخوف والحيرة مما يجعله يتجه إلى الدين ويعتقد بالله ويؤمن به لا خوفاً من الطبيعة والكون بل تسليماً لله ليأمن ويطمئن.

٤- إن من بواعث التدين ما تحدثت به الآيات الكريمة عن خلق الإنسان ودعوته وجبلته وما رافق ذلك من وجود الدين في النفس البشرية:

قال تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ

---

[1] سورة القصص الآيات ٧٠ – ٧٢.

[2] سورة الفرقان الآيات ٢ – ٣.

فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسۡمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَـٰدِقِينَ ۝ قَالُواْ سُبۡحَـٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ... ﴾ الآيات (سورة البقرة الآيات ٣٠-٣٢).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدۡنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾ .

وقال أيضاً: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا ۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾.

فهذه الآيات تدل على أن الإنسان خليفة الله في أرضه وإن الهداية والديانة رافقته منذ هبوطه إلى الأرض وإن التدين في النفس الإنسانية قبل وجودها وظهورها على ظهر البسيطة، فالفطرة خلقها الله تعالى وأودع فيها هذا الاتجاه إلى الخالق، وأن الإنسان مهما ابتعد عن منهج الله وجحد جحوده، وكفر بالدين، فإنه لن يستطيع أن يغير فطرته «**لا تبديل لخلق الله**»، بدليل أنه وقت الأزمات والصعاب لا يستطيع الإنسان حجب هذه الفطرة. فالتدين جزء من الإنسان وفطرته.

إن معظم مفكري القرن التاسع عشر يتفقون على أن النزعة الدينية أصلية ومشتركة بين كل الأجناس البشرية. وأنها عريقة وملازمة للطبيعة البشرية. وهذا ما عبر عنه برغسون (١٨٥٩ - ١٩٤١) بقوله: «قد نجد في الماضي أو في الحاضر مجتمعات بشرية لا تعرف العلم والفن أو الفلسفة، ولكن ليس ثمة مجتمع بلا دين»[1].

وقد قسم « كانت » المرحلة اللاهوتية (L'Etat théologique) إلى

---

[1] H. Bergson, Les deux sources de la morale et de la religion, Paris, 8 ed. 1948. P6.

ثلاثة أطوار:**طور الوثنية** (**Fétichisme**): وهي حالة ليست دائمة، بل من هذا الطور أو المرحلة يتحرر الفكر الديني تدريجياً من تلك الحالة الوثنية الخالصة إلى **الطور الثاني** من المرحلة اللاهوتية التي يسميها «**كانت**» بمرحلة تعدد الآلهة (**Polythéisme**). وفي هذه المرحلة يشتغل فكر الإنسان بالنظر إلى الكائنات الطبيعية فيتخذ آلهة له منها . إلا أنها ليست مرحلة ثابتة ، فمنها يتطور الفكر الديني، من النظر إلى الطبيعة إلى النظر العقلي والتأمل والخيال. وأخيراً يصل الفكر الديني إلى أوج تطوره في **مرحلة التوحيد الآلهي** (**Monothéisme**) ومن هنا نتبين أن مرحلة الوثنية حسب رأي (كانت) هي الظاهرة الدينية الأولى والصورة الأولية لفجر الدين الإنساني فهو يعتقد أن الأفكار الدينية في هذه المرحلة كانت متحدة اتحاداً كاملاً ومباشراً بالاحساسات والمشاعر. أما المرحلة الثانية «تعدد الآلهة» كانت بمثابة أول اضمحلال أو تقهقر أوهبوط عام في التفكير الديني. كما كان «التوحيد» الذي يمثل المرحلة الثالثة سبباً في ازدياد هذا الاضمحلال والتقهقر في الفكر الديني، وهذا من اخضاع الدين للفكر الاجتماعي الوضعي استناداً إلى دراسة الظاهرة الدينية وتطبيق الحالات الثلاث، (اللاهوتية، الميتافيزيقية، الوضعية).

ومن الواضح أن (اوغست كانت) في استقرائه للديناميك الاجتماعي، كان منشـــؤه النزعة الارتقائية التقدمية أو التصاعدية (Evolutionnisine progressiste ou ascendent) التي سادت أوروبا في خلال القرن التاسع عشر والتي كان لها الأثر الواضح في أكثر من فرع من فروع المعرفة.

وفي تاريخ الأديان يلاحظ أن عدداً من العاماء مثل سبنسر وتايلور وفريزر ودور كهايم وغيرهم قد وقعوا تحت تأثير المذهب التطوري

التصاعدي وإن اختلفت وجهات نظرهم في تحديد صورة العبادة الأولى وموضوعها.

وفي الطرف المقابل نجد عدداً آخر من علماء الأجناس وعلماء الإنسان وعلماء النفس يثبتون عقيدة «الاله الواحد» هي أقدم ديانة عرفها الإنسان أما عبادة الأوثان ومظاهر الطبيعة ما هي إلا أعراض طارئة وأمراض متطفلة أصابت عقول البشرية في فترات كانت لها معطيات زمنية ومكاينة ومن هؤلاء العلماء ماكس نوردو Maxe Nordau ولانغ Lang وغيرهم.

بواعث التدين في حاية الفرد والمجتمع:

إن نزعة التدين الفطرية عند الإنسان جعلته تواقاً لمعرفة الحق متعطشاً إلى الدين الصحيح فالتجأ إلى خالقه كي يهديه وينير قلبه وكان الله به رحيماً فأرسل إليه رسله رحمة والكتب فرقاناً وبياناً من الهدى ليلبي حاجات الفرد العقلية والنفسية والروحية والجسمية، وحقق بذلك ما يصبوا إليه من سمو ورفعة.

١- فعلى صعيد حاجات العقل، عمل الدين على تنميته وهو الذي يتطلع بتشوقه الغريزي إلى ما وراء الطبيعة محاولاً التعرف على الأسباب والمسببات فتسعفه الحواس ببعض الأجوبة.

ويأتي الدين بالدور الأكبر فيسعفه ويشبع رغبته ويمده بالتفسير الصحيح والجواب الواقعي، واليقين المبعد للشك، كل ذلك دون أن يخسره دوره حيث يشق له طريق الصواب ويرشده إلى الهداية ويوجهه إلى التفكير السديد في الكون وما حوله وإلى الاعتبار بما فيه من آيات باهرة.

وقد ذكر القرآن الكريم هدف انزال الكتب وإرسال الرسل حيث يقول الله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

إن تكريم العقل ودعوته إلى التفكير والبحث والتأمل في الكون وكشف أسراره كانت موضع اهتمام الدين حيث توجه القرآن إلى العقل، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[4].

---

(1) سورة إبراهيم الآية ٢.

(2) سورة البقرة الآية ٢٥٧.

(3) سورة البقرة الآية ١٦٤.

(4) سورة المؤمنون الآية ٨٠.

وجعل الله تعالى العقل أساسا للنجاة من النار وللفوز بالجنة إذ قال: ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۞ إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۞ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۞ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۞ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[1].

إن تكريم الله للعقل يظهر جلياً حيث ربط التكليف بالأحكام الشرعية بالعقل، وأناط المسؤولية بالعقل فقط فلا تكليف ولا مسؤولية إلا للعاقل، كما وحث الإنسان على المحافظة على نعمة العقل فأباح له ما ينجيه وحرم عليه ما يؤذيه.

٢- اهتم الدين بالنفس الإنسانية فاتجه إليها بالرعاية والتربية والتوجيه. حيث أن التدين عنصر ضروري في سمو العواطف النبيلة وقوة الوجدان. وحرص الإسلام على تحرير البشر من شهواتهم بالاعتدال، وعلى معالجة نفوسهم من الحزن والقلق والتردد عن طريق الإيمان بالله كونه الملجأ للإنسان في كل الأحوال والموئل للمرء في الخير والشر، فإن أصاب المؤمن خير شكر، وإن أصابه شر صبر وإن انتابه الخوف أمن بجانب الله، وإن وسوس له الشيطان باليأس والقنوط، استعان بالله واستعاذ به.

قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾[2].

---

[1] سورة الملك الآيات ٦-٩

[2] سورة الأعراف الآيات ٢٠٠ – ٢٠١.

ويصف القرآن الكريم حيرة الملحد واضطرابه فيقول: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ﴾.

وقال أيضاً: ﴿ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ ﴾[1].

بينما يصف القرآن الكريم حال المؤمنين فيقول: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[2].

كما وأن الدين غذاء روحي للإنسان حيث أن العبادات تهذيب للروح وصلة بالله تعالى حيث يقول:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[3].

٣- لقد أقام الدين الروابط الاجتماعية على مستوى الأسرة أو المجتمع أو الأمة فغرس في الفرد الشعور بالولاء والانتماء إلى المجتمع وأن يشارك في شؤونه كما جعل للمجتمع مسؤولية عن الفرد في مبدأ التكافل الاجتماعي، وحرص الإسلام على وضع التشريع والنظام الاجتماعي على مختلف المستويات.

---

(١) سورة الأنعام الآية ٧١.

(٢) سورة الرعد الآية ٢٨.

(٣) سورة الأنفال، الآيات ٢-٤.

وأخيراً، إذا كانت العلوم غير الدينية تقوم على العقل، فالعلوم الدينية تقوم على أساس أكثر يقيناً وهو الوحي الذي لا يعرض الشك عليه ولا يجوز السهو والغلط فيه.

إن أحق الأديان بطول البقاء ما وجدت أحواله متوسطة بين الشدة واللين، ليجد كل من ذوي الطباع المختلفة ما يصلح به حاله في معاده ومعاشه، ويستجمع له من خير دنياه وآخرته.

« وكل دين لم يوجد على هذه الصفة، بل أسس على مثال يعود بهلاك الحرث والنسل، فمن المحال أن يسمى هيناً فاضلاً: وذلك مثل ما تمسك به رهابين النصارى من هجران المناكح، والانفراد في الصوامع، وترك طيبات الرزق» «وما يتعاطاه الصديقون من التنوية من حمل الأنفس على الوجاء والخصاء وملازمة الأصول الخمسة عندهم: الصدق، والطهر، والراحة، والقدس، والمسكنة، دون غيرها من حركات العمارة».

«وما أنتجه نساك الهند من إحراق الأجساد، وتغريقها في الماء، والتردي من الجبال وإهلاكها بالضم والازم».

«ولو أن الله تعالى أراد بعباده حملهم على أهلاك الأنفس» علمهم صنعة لبوس لتحصنهم من بأسهم، ولم جعل لهم سرابيل تقيهم الحر، ولما هداهم لصفوف العقاقير النباتية ليستشفوا بها من الآلام المعترية»[1].

فوظيفة الدين كموجه روحي وخلقي للبشر تتحقق في الإسلام على وجه أفضل وأكمل مما تحققها في غيره من الأديان.

فالإسلام يعطي أهمية كبيرة للقوة المادية التي أهملتها بعض الأديان أو قللت من خطرها، ومن ثم يتطلب ضرورة توافرها لتقدم المجتمع وحركيته.

---

[1] انظر كتاب «الإعلام بمناقب الإسلام» لابي الحسن العامري ص٤٦ القاهرة ١٩٦٧.

وكذلك يعطي الإسلام أهمية كبرى للقيم الروحية.

وإذا كانت اليهودية قد غالت في تقدير القوة المادية، وغالت المسيحية في الناحية الروحية، فإن الإسلام هو دين التوازن الحق بين الناحيتين، على أساس أن كليهما عنصر أساسي في الطبيعة البشرية، وكليهما لا غنى عنهما لتقدم الإنسان.

علم مقارنة الأديان: علم إسلامي:

إن القرآن الكريم في كثير من آياته يستفيض بالذكر والشرح عن شريعة موسى وشريعة عيسى ومضمون كل شريعة وما لحق بهما من زيف وما فعله اليهود بأنبيائهم وعقائدهم . وأن إبراهيم عليه السلام « **ما كان يهودياً ولا نصرانياً**»، وإنه ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[1].

ثم إن الله سبحانه وتعالى يوجه كلامه إلى رسوله محمد عليه الصلاة والسلام فيقول: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا... ﴾[2] ثم يبين الله اختلاف اليهود في السبت فيقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[3]

ثم يبين الله للرسول الطريقة التي يتبعها مع هؤلاء — بعدما فعلوه من تزييف وتحريف — بعد علمه بالدين الحق بقوله: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[4].

من هنا كانت ضرورة معرفة الأديان والشرائع السابقة لمعرفة حقيقتها

---

[1] سورة النحل الآية ١٢٠.

[2] سورة النحل الآية ١٢٣.

[3] سورة النحل الآية ١٢٤.

[4] سورة النحل الآية ١٢٥.

حيث أن المؤمن عليه التصديق والإيمان بالكتب السابقة على القرآن الكريم وهي من شروط إيمانه ولكن تلك الكتب المقدسة حرفت وطمست فيها العقيدة الصحيحة وشابتها الأساطير ودنستها أيدتي المزورين والمحرفين.

ومن مفاخر المسلمين أنهم هم الذين ابتكروا علم مقارنة الأديان، وقد اعترف علماء الغرب بذلك، ومن الطبيعي أن هذا العلم لم يظهر قبل الإسلام. لأن المقارنة تحتاج إلى تعدد، والأديان قبل الإسلام لم يعترف أي منها بالأديان الأخرى، فكل دين كان يعتبر ما سواه من الأديان ضلالاً.

فاعتبرت اليهودية النصرانية باطلة و لم تعترف بالمسيح واعتبرته خارجاً استحق عندهم الموت، والمسيحية اعتبرت نفسها وريثة اليهودية و لم تر مع وجود المسيحية وجوداً لليهودية، وكذلك موقف كل الديانات الأخرى بعضها من بعض.

من هنا لم يوجد علم مقارنة الأديان قبل الإسلام لأنه كما ذكرنا المقارنة هي نتيجة للتعدد، و لم يكن التعدد معترفاً به عند أحد فأنتفى بذلك ما يترتب عليه وهو المقارنة.

وجاء الإسلام وكان موقفه من الأديان السابقة أنه الحلقة الأخيرة في سلسلة الأديان السماوية وأنه شمل الشرائع السابقة وأضاف إلى ذلك ما تحتاجه الإنسانية في مسيرها إلى يوم الدين وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾[1]، وبذلك يصبح الإسلام الدين الوحيد إذ يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[2]، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[3].

---

[1] سورة الشورى آية ١٣.

[2] سورة آل عمران آية ١٩.

[3] سورة آل عمران آية ٨٥.

والقرآن الكريم أسس لعلم مقارنة الأديان عندما قال: ﴿ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[1].

فالمجادلة بالحسنى والإقناع باليقين هي مفهوم هذا العلم، ووردت في القرآن الكريم بعض الآيات التي تتجه للمقارنة كقوله تعالى:
﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[2]. وهنا دليل على المقارنة بين التوحيد والتعدد، وبيان أن التعدد يؤدي إلى الفساد.

وكما في قوله تعالى ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾[3]. وهنا مقارنة بين الخالق العظيم ومن لا يستطيع أن يخلق ذباباً ولو اجتمعوا على ذلك.

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة للمقارنة، حيث تحدث عن كثير من الأديان سماوية أو وضعية كما ورد في الآية، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ ﴾.

فتحدث عن اليهود والنصارى وتحدث عن غيرهم وسماها مع بطلانها أدياناً إذ قال : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾..

والمحادثة التي أجراها الرسول عليه الصلاة والسلام مع عدي بن حاتم الطائي، الذي اعتنق النصرانية وانتهت بأن أعلن عدي دخول الإسلام وتبعه

---

[1] سورة العنكبوت آية ٤٦.

[2] سورة الأنبياء آية ٢٢.

[3] سورة النحل آية ١٧.

قومه تعد دراسة جيدة في علم مقارنة الأديان[1].

كما وأن الرسول عليه الصلاة والسلام أجرى مناقشات بينه وبين اليهود حول الكتب المقدسة وقد سأله محسور بن سبحان من اليهود ما دليلك على أن القرآن من عند الله؟ فجاء الجواب من الله ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[2].

المنهجية الإسلامية في التفكير الديني:

اتخذت المعرفة الإنسانية مع الإسلام منعطفاً جديداً. أصبح فيما بعد يمثل منهج التفكير الإسلامي. والتي من أجلها أرسل محمداً عليه الصلاة والسلام داعياً إلى الوحدة في الدين، وإلى التآلف لقوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟... ﴾[3] ، ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[4]. فطبيعة الإسلام تشهد على أنه يتسع للحرية الفكرية العاقلة وأنه لا يقف وراء عقائده الأصلية، وأصول تشريعه – على لون واحد من التفكير أو منهج واحد من التشريع، وقد كان – بتلك الحرية – ديناً مرناً يساير جميع أنواع الثقافات الصحيحة والحضارات النافعة التي يتفق عليها العقل البشري في صلاح البشرية وتقدمها مهما ارتقى العقل ونمت الحياة[5].

---

[1] انظر موسوعة التاريخ الإسلامي للدكتور أحمد شلبي، ج١ ص٤٢٦، ط. العاشرة.

[2] سورة النساء الآية ٨٢.

* أول من كتب في علم مقارنة الأديان النوبختي ٢٠٢ هـ) كتابة الآراء والديانات". وبعده كتب المسعودي (٣٤٦ هـ) كتابين عن "الديانات". ثم المسيحي (٤٢٠ هـ) "درك البغية في وصف الأديان والعبادات". كتاب "الملل والنحل" لأبي منصور البغدادي (٤٢٩ هـ) وكتاب "الفصل في الملل والأهواء والنحل" لابن حزم الأندلسي (٤٥٦ هـ) وكتاب "الملل والنحل" للشهر ستاني (٥٤٨).

[3] سورة آل عمران الآية ١٠٣.

[4] سورة آل عمران الآية ٦٤.

[5] شلتوت، الاسلام عقيدة وشريعة، ط- القاهرة دون تاريخ ص٢١٠.

انطلاقاً من هذا جاء الإسلام معلناً بأن الدين واحد، وبأن الشريعة مختلفة وأن « التوحيد » هو رسالة كل نبي ومصدر بعثه ، وأنه جاء ليضع التوحيد في أبهى صورة وأكملها، وقد قرر أن الأنبياء والرسل قد تتابعوا من قبل ينقلون البشرية من طور إلى طور حتى انتهت إلى طورها الأخير على يديه، وأعلن إعلاناً حاسماً أن ما جاء من قبله من رسالات وبعوث قد حرف وبدل[١].

على أن الكثيرين من المستشرقين وغيرهم ممن لهم خبرة علمية بشؤون الإسلام، اعترفوا بأن الإسلام جاء ليقيم للإنسانية جمعاء مثالاً للألفة والانسجام، فلم يكن الإسلام إقليمياً[٢].

وتعبيراً لما أبداه الإسلام من التسامح مع الشعوب التي انضمت إلى حضيرته يذكر آدم ميتز في كتابه (عصر النهضة في الإسلام): «كان تسامح المسلمين في حياتهم مع اليهود والنصارى – وهو تسامح لم يسمع بمثله في العصور الوسطى – سبباً في أن لحق بمباحث علم الكلام شيء لم يكن قط من مظاهر العصور الوسطى وهو علم مقارنة الأديان[٣].

---

(١) د. سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ط٤، دار المعارف ١٩٦٦ ج١، ص٤٢.

(٢) محمد اقبال، تجديد الفكرالديني في الإسلام، ترجمة عباس محمود القاهرة ١٩٥٥، ص١٩٢.

(٣) Glasenapp, De Groyances et Rits des Grands des Religions Paris, 1966. P.205.

الفصل الثاني

اليهوديّـــــة

إن أول دين جرد الإله عن الأوثان وظواهر الطبيعة، كان الدين اليهودي، الذي ينتمي إلى دين إبراهيم عليه السلام، فاليهودية التي أوحيت إلى أنبياء بني إسرائيل، هي ديانة توحيدية، غير أن اليهود أنفسهم لم يكونوا في كل عصورهم موحدين، و لم يأخذوا بالتوحيد دوماً، وهذا مثار الالتباس في العقيدة التي يعتنقوها.

واليهودية في تطورها من خلال تتابع الأنبياء، هي ديانة تتبع الناسخ والمنسوخ، أو أنه يضاف إليها تشريعات جديدة تضم إلى قديمها. وهذا ما لا يؤمن به اليهود أنفسهم. والدين اليهودي هو عصب العنصرية اليهودية، وبالتالي فهو يختلف عن غيره من الأديان، حيث نجده مجموعة من عقائد وشرائع وطقوس ونظم سلوكية وأخلاقية، تراكمت عبر آلاف السنين، ومرت بأطوار مختلفة، ونزلت على أكثر من رجل، وواكبت التحولات التاريخية والاجتماعية والسياسة لهذا العنصر المنغلق، فبعضهم يلتزم بما ورد في النصوص الشرعية، وبعضهم يرون في الكهنة والإحبار في فترة ما بعد الأنبياء (دانيال، وإستير، وعزرا، ونحميا، ومالاكي) استمراراً للوحي والنبوة، بل أن باب النبوة لم يزل مفتوحاً عند مؤرخي الفكر الإسرائيلي[1].

وليكون البحث واضحاً فإننا نرى وجوب ذكر جانب من تطورات

---

[1] ليدخل به أنبياء أنكرهم اليهود وكفروا بهم مثل: النبي يحى (يوحنا العمدان) والمسيح عيسى بن مريم. كما أدخل بعض العلمانيين اليهود بعض الرجال من العصر الحديث من هذا الباب المفتـــوح مثل «تيودور هرتزل».

التاريخ اليهودي السياسية والاجتماعية وعرض الكتب التي يعودون إليها ومصادر فكرهم وعقائدهم وأنبياء بني إسرائيل.

العبرانيون وتاريخ بني إسرائيل:-

ينسب اليهود أنفسهم إلى « إسرائيل » فيقولون عن أنفسهم : أنهم إسرائيليون، وإسرائيل هو «يعقوب بن اسحق بن إبراهيم»[1]، ويقال لهم أيضاً «يهود» «وعبريون». فإبراهيم عليه السلام هو جد اليهود، وفي نفس الوقت هو جد العرب المستعربة.

إن كلمة «عبرى» تدل على من انحدر من ذرية إبراهيم عليه السلام وسمي كذلك لأن إبراهيم عبر النهر، المحتمل أن يكون نهر الفرات كما يحتمل أن يكون نهر الأردن[2].

ويرى الدكتور إسرائيل ولفنسون احتمال أن يكون إبراهيم منسوباً لأحد أجداده الأقدمين المعروف باسم «عِبْر» رغم أن هذا التعريف والتعريف السابق لا يرضيان الدكتور ولفنسون، يقول أن كلمة عبري إنما ترجع إلى الموطن الأصلي لبني إسرائيل، حيث يعود أصلهم إلى الأمم البدوية، الصحراوية المتنقلة.

وكلمة عبري مشتقة من الفعل الثلاثي عبر، وهو يدل على التحول والتنقل، وقد كان الكنعانيون والمصريون والفلسطينيون يسمون بني إسرائيل بالعبرانيين لعلاقتهم بالصحراء وليميزوهم عن أهل العمران، ولما استوطن بنوا إسرائيل أرض كنعان وعرفوا المدنية والاستقرار صاروا ينفرون من

---

(1) ورد ذكر «إسرائيل» في سورة مريم الآية ٥٨.« ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل»

(2) انظر سليمان مظهر: قصة العقائد، ص٢٨٤.

كلمة عبري التي كانت تذكرهم بحياتهم الأولى ، حياة البداوة والخشونة، وأصبحوا يؤثرون أن يعرفوا «بني إسرائيل» فقط[1].

اليهود ساميون نشأوا عند الحدود الشمالية للصحراء العربية وعاشوا حياة البدو والرحل طوال قرون على غرار عدد من القبائل الأخرى . وقبل أن يصلوا إلى التوحيد، ألهوا قوي الطبيعة في عالمهم الصحراوي. وهم ينتمون إلى يعقوب بن إسحاق بن ابراهيم، وقد نشأ إبراهيم عليه السلام في أور الكلدانيين (جنوب العراق) وقد سخر إبراهيم من دين آبائه كما يروى ذلك القرآن الكريم قوله تعالى ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ۞ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ۞ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۞ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۞ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ۞ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۞ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۞ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2]. ثم انتقل إبراهيم[3] من السخرية إلى تحطيم هذه الأصنام، ولم يدع إلا صنماً واحداً كبيراً كان أعظمها شكلاً وأكبرها حجماً فلما عاد أبوه وقومه من احتفال خارج مدينتهم جن جنونهم لما رأوا وصاحوا بإبراهيم: أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟ فأجابهم في هدوء المؤمن المطمئن بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم قالوا بغضب وثورة: كيف نسألهم وهم لا ينطقون: وكيف يعمله كبيرهم وهم لا يتحركون؟

قال إبراهيم : إذاً كيف تعبدون ما تنحتون ؟ والله خلقكم وما

---

[1] إسرائيل ولفنسون:تاريخ اللغات السامية ص٧٧ — ٧٨.

[2] سورة الشعراء الآيات: ٦٩ — ٧٧.

[3] وردت قصة إبراهيم في القرآن الكريم في عدة مواضع في سورة الأنعام، ومريم، والشعراء والأنبياء وغيرها.

تعملون[1]. و لم يستطع إبراهيم أن ينشر الحق وحاول قومه أن يحرقوه فنجاه الله[2]، وهاجر من أور الكلدانية هرباً من شرهم، وهاجرت معه زوجته سارة ولوط ابن أخيه وبعض الأقارب والخدم وأخذ معهم ما يملكون من أغنام وماشية وساروا في الأرض أولاً إلى حاران و لم تطل إقامتهم فيها فتوجهوا جنوباً إلى أرض أكثر خصباً وأمناً هي أرض كنعان[3]. ويرجع أن هذه الرحلة كانت حوالي ١٩٢٠ ق.م. وبعض الباحثين يرجح حدوثها حوالي ١٨٥٠ ق.م.[4].

ولكن القادمين الجدد إلى أرض كنعان لم يختلطوا بمن حولهم بينما نجد الكنعانيين يختلطون بالفلسطينيين ونجد الساميين الذين هاجروا إلى مواقع الخصب في الشمال يمتزجون بسكان الشمال، أما العبرانيون فقد عاشوا منعزلين منذ هاجروا من أور الكلدانية، وقد يعود السبب إلى أنهم كانوا يرفضون عبادة الأصنام في حين كانت الأصنام هي معبودات الكلدانيين كما سبق، فاعتزلهم إبراهيم ومن آمن معه، ولكن العزلة أصبحت طابع العبرانيين حتى عندما انحرفوا وعادوا أو عاد أكثرهم إلى عبادة الأصنام. كانت العزلة طابعهم في أرض كنعان، وكانت طابعهم في مصر بعد ذلك بسبب ارتباط العبرانيين بالحكام المستعمرين في مصر (الهكسوس) وبالتالي نظر الشعب لهم نظرة ريبة فلم يتم اختلاط بين هؤلاء وأولئك، ثم إن البون كان شاسعاً بين العقليتين، فالعبرانيون كانوا قوماً بدواً

---

(1) سورة الأنبياء الآيات ٥٧ — ٦٧.

(2) «قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين، قلنا يانار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم» سورة الأنبياء الآيات ٦٨ — ٦٩.

(3) «ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين» سورة الأنبياء الآية ٧١.

(4) J.W.D. Smith: God and man in early Israel.P.5.

لا ثقافة لهم ، نزلوا أقوام لهم تاريخ ولهم حضارة، فلم يكن من السهل الاندماج بين الطائفتين[١].

وبعد وفاة إبراهيم انتقلت زعامة القبيلة إلى ابنه اسحق ثم إلى حفيده يعقوب وكان أن حلت مجاعة بأرض كنعان فترح أحفاد إبراهيم إلى مصر، بلد زوجته سارة. هناك لقوا معاملة حسنة من الهكسوس الذين حكموا مصر بين ١٧٥٠ و ١٥٨٠ قبل الميلاد واعتبروهم حلفاء. وبهذا يكون اليهود انعزلوا عن سكان مصر وكانوا عوناً للمحتلين الهكسوس ونجد هنا أن العزلة أصبحت تقليداً يهودياً لا محيد عنه، وترتب على هذه الانعزالات مجافاتهم لمن حولهم في جميع مراحل التاريخ واعتبارهم من حولهم من الأمم أعداء لهم[٢].

ويصف وايزمان طابع العزلة في اليهودية بقوله: وكان اليهود في موتول (مسقط رأسه) بروسيا يعيشون كما يعيش اليهود في مئات المدن الصغيرة والكبيرة، منعزلين منكمشين، وفي عالم غير عالم الناس الذين يعيشون معهم[٣].

ثم اتجه الفكر اليهودي إلى اعتبار العزلة أســـاس حياة اليهود ، وأدق للتحريض على العزلة والتمسك بها، ما ذكره سلامون شختر في خطابه بمدرسة اللاهوت اليهودية العليا، حيث قال: إن معنى الاندماج في الأمم هو فقدان الذاتية، وهذا النوع من الاندماج مع ما يترتب عليه من

---

[١] د. فؤاد حسنين: «التوراة» عرض وتحليل، ص١١.

[٢] Charles Kent: A History of the Hebrew People. P.25

[٣] انظر مذكرات الدكتور وايزمان أول رئيس لدولة إسرائيل ص٣.

النتائج، هو ما أخشاه أكثر مما أخشى المذابح والاضطهادات[1].

وتسبب عن هذه العزلة أحداث بالغة الخطورة ، فقد نظروا إلى سواهم نظرة عداء وحذر، وبالتالي لم يدينوا بولاء إلى الوطن الذي يجمعهم بالآخرين، وإنما اتجهوا بولائهم إلى جماعاتهم، فأصبحت هذه الجماعة هي وطنهم وهي دينهم. وهي موضع تقديسهم، وليس لهم بسواها صلة أو ارتباط. وقد نتج عن ذلك ما ذكره (Charles Kent) بقوله: «خلال أكثر فترات التاريخ كان العبرانيون محاطين بدائرة من الأمم المعادية التي تمثل حلقة من نار لا تدع لهم فكاكاً» [2].

وسارت الأمور حسناً إلى أن ثار المصريون على الهكسوس[3] وطردوهم من أرضهم واستعادوا السيطرة على شرق البحر المتوسط. ولم يشمل الطرد الإسرائيليين، بل ظلوا على حالهم نحو مئة وخمسين سنة، إلى أن اعتلى عرش مصر الفرعون رمسيس الثاني. هذا وضع لنفسه أهدافاً عمرانية جبارة، يحتاج تنفيذها إلى قوة بشرية هائلة. وأدار الفرعون نظرة نحو الحدود الشمالية الشرقية، وقرر تسخير الإسرائيليين في تلك الأعمال.

وهنا يذكر أنه في عهده ظهر الشعور العدائي ضد بني إسرائيل ، لأنهم نالوا أطيب خيرات مصر على حساب المواطنين المغلوبين على أمرهم، ثم أن الحكم الجديد كان يخشى أن يتآمر بنوا إسرائيل ضده في محاولة

---

[1] عبد الرحمن سامي: «الصهيونية والماسونية ص٤٦.

[2] Charles Kent. P.24-25

[3] وهم الرعاة العماليق من الجزيرة العربية.

للانتكاس، بل يرى بعض الباحثين أن شعب مصر اكتشف بالفعل أن بني إسرائيل كانوا يتآمرون عليه[1].

ويحلل الباحثون ثورات بني إسرائيل بأنها كانت نتيجة للوضع الجديد في مصر، فهؤلاء تعودوا الحياة الممتازة منذ عهد يوسف، ونالوا الكثير من رعاية الهكسوس وإيثارهم[2] ، ثم جاء الفراعنة من طلب من بني إسرائيل أن يحرثوا الأرض كغيرهم من المصريين المنتجين، وأن يشتركوا في تشييد المباني وإقامة العمران، لا أن يختصوا بصياغة الذهب والفضة وتجارتهما، وبتنمية المواشي بواسطة الرعي دون جهد، فثار بنو إسرائيل لفقدان امتيازاتهم وقاوموا الحكم الجديد، وهناك سبب آخر، هو الاضطراب الصحي الذي نتج عن التزايد المطرد في تعداد بني إسرائيل، فإن حياة الغنى كان ينعم بها سادتهم، أما الأكثرية العظمى فكانت تعيش في فقر مدقع، وكانت القذارة تنتشر بينهم بشكل واضح فظهرت بينهم الأمراض، وأصبحوا مصدر قلق فرعون وشعب مصر[3].

وتأزمت العلاقات بين المصريين وبين بني إسرائيل، وأصبحت الكراهية والحذر طابعها، واستشار فرعون الكهنة والحكماء، وتدارس الجميع الأمر، وانتهوا فيه إلى أن عزلة بني إسرائيل هي مصدر الخطر، وأن تكاثر رجالهم يهود الدولة، فاستقر الرأي على التخلص من الأطفال الذكور واستبقاء الأناث، فإذا تم ذلك، وتزوجت الإسرائيليات من مصريين انتهت العزلة وتم الاندماج وزال الخطر، وكان موسى عليه السلام من مواليد هذه الفترة، ولكن الله أنجاه من الموت، وفي القرآن الكريم تصـــوير مؤثر لطفولة

---

(1) سليمان مظهر: قصة العقائد، ص٢٨٣.

(2) E.H. Weach: Civilization of the Near East P. 83

(3) سليمان مظهر — المصدر السابق ص٢٨٦.

موسى عليه السلام[1].

يقول تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ .....﴾[2].

وتربى موسى في رعاية القصر ، ولكنه عندما شب أدرك أنه من بني إسرائيل فقرر أن يكون ظهيراً لهم وتفاقمت بزمانه الاضطهادات فأضطر أن يقتل مصرياً، فطرد وهرب مع بعض عشيرته الواثنين به إلى شاطئ خليج العقبة على البحر الأحمر، حيث تزوج من ابنة النبي شعيب في أرض مدين وكان صداقها خدمته لأبيها ثماني حجج، وبعد أن أتم موسى الميقات فكر في الرجوع إلى مصر آملاً أن يكون القوم هناك قد نسوا خطيئته، فوهب له صهره بعض المال والأغنام، وسار مع زوجته في طريق العودة حتى وصل طور سيناء، وهناك خيل له أنه ضل الطريق، فوقف متردداً، ولكنه سرعان ما أبصر ناراً تشتعل بجانب الطور الأيمن، فقال لأهله:

﴿ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۞ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ۞ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۞ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۞ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾[3]. وبدأت بذلك رسالة موسى.

---

[1] كلمة موسى تعني الناجي

[2] سورة القصص الآيتان ٧ — ٨.

[3] سورة طه الايات ١٠-١٤

خروج موسى ببني إسرائيل:

عن خروج موسى يرى البعض أن موسى كان قائداً بالجيش المصري خلال حملته على الحبشة، وأنه عرض رسالته على فرعون فلم يعترف بها رغم تأييدها بمعجزات حصلت على يديه، وبقى فرعون على معاملته لبني إسرائيل بالقسوة، وقد ضاق بنو إسرائيل ذرعاً فهنفوا بموسى ﴿ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾[1].

فطلب موسى من فرعون أن يطلق سراح بني إسرائيل ليعبدوا الههم «يهوة» فلم يستجيب فرعون لطلبه فدبر موسى خروجه سراً.

واتجاه آخر يقول بأن فرعون سمح لموسى في الخروج ببني إسرائيل إلا أنه حصلت مكيدة من نسائهم استجابة لإلههم حسب ما تروي التوراة «حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين، بل تطلب كل إمرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها امتعة فضة وأمتعة ذهب، وثياباً تضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين[2]. وخرج بنوا إسرائيل بما سلبوه من المصريين.

وسواء كان الاتجاه الأول أو الثاني فقد كان على فرعون اللحاق بهم ومنعهم من مواصلة السفر. فلحق بهم وقد بلغ شاطئ خليج السويس ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۞ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ۞ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ۞ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ۞ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ

---

[1] سورة الأعراف الآية ١٢٩.

[2] سفر الخروج ٣: ٢١ أيضاً سفر الخروج ١٢: ٣٥ – ٣٦.

أَجْمَعِينَ ۞ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴾[1].

وفي هذا الخصوص يورد القرآن الكريم قول فرعون ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى ﴾[2].

وقوله لموسى:
﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَـٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾[3].

وقوله ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۞ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾. فكان الرد من الله تعالى بإغراق فرعون إذ قال: ﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ ۞ وَٱلْأُولَىٰٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴾[4].

وعلل الله تعالى ذلك بقوله: ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴾[5].

إن التفاف بنو إسرائيل حول موسى لم يكن لاعتقاد سليم بما أتى به كنبي بل نظروا إليه كمخلص لهم من استعباد المصريين لهم والدليل على ذلك أنه وبعد خروجهم لم يجدوا ما كانوا ينعمون به فتارة ثائرتهم وصاحوا

---

(1) سورة الشعراء الآيات ٦١ – ٦٦.

- ان ما ورد في التوراة مشابه لما ذكره القرآن الكريم فيما يخص خروج بني اسرائيل والصورة التي جعل بها وردت في سفر الخروج الاصحاح الرابع عشر.

(2) سورة الشعراء الآية ٢٩.

(3) سورة القصص الآية ٣٨.

(4) سورة النازعات الآيات ٣٣ – ٣٦.

(5) سورة الأعراف، الآية ١٣٦.

* إن فرعون الاضطهاد هو رمسيس الثاني (١٣٠١ – ١٢٣٤) ق.م وفرعون الخروج هو منفتاح الذي خلف رمسيس الثاني وكان خروج بني إسرائيل من مصر حوالي ١٢١٣ ق.م.

بموسى وأخيه هارون – كما ورد في التوراة – آسفين لخسارتهم للخيرات التي كانوا ينعمون بها في مصر «ليتنا متنا في مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع، فإنكما أخرجتمانا إلى هذا الفقر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع»[1]. وفي بعض أماكن البرية لم يجدو ماءً فخاصم الشعب موسى وتذمروا عليه، وقالوا لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش [2].

وفي طريقهم إلى فلسطين ترك موسى قومه وصعد إلى جبل الطور بناء على دعوة من ربه، لتلقي الوصايا والتعليمات فصام ثلاثين ليلة، وطال مكوث موسى إلى أربعين ليلة [3].

فمالت قلوب بني إسرائيل عما دعاهم إليه من عبادة الإله الواحد الخالق إلى طبيعتهم الوثنية، كما تصفهم التوراة: «**ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ بالنزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له : قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا ، لأن هذا موسى ، الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه، فقال لهم هارون انزعو أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها، فنزع كل الشعب اقراط الذهب وأتوا بها إلى هارون ، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالازميل وصنعه عجلاً مسبوكاً.... فقال الرب لموسى أذهب لأنه قد فســـد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر، زاغوا ســـريعاً عن الطريق**

---

[1] سفر الخروج ١٦: ٢ – ٣.

[2] سفر الخروج ١٧: ٣.

[3] قيل أن الليالي زيدات عشراً إلى أربعين، لأن موسى استاك في آخر الثلاثين فكلفه الله أن يزيدها عشراً.

الذي أوصيتهم به ، صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً وسجدوا له وذبحوا [1].

وفي هذا الخصوص ينسب القرآن الكريم هذا التصرف الشنيع للسامري وليس لهارون، يقول تعالى:

﴿ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَـٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَـٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَـٰذَآ إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾[2].

ونزل موسى من الجيل وغضب غضباً شديداً على قومه لتركهم ما أتاهم به من توحيد الإله وعبادته، وعودهم للوثنية وعبادة العجل، وكان عقاهم أن تسلط بعضهم على بعض في معارك طويلة سقط فيها عدة آلاف.

وبدأ موســى السير بقومه تجاه فلســطين ، ولكنها كانت عامرة

---

[1] سفر الخروج ٣٢: ١ — ٨.

[2] سورة طه، الاية ٨٣-٩١.

بالسكان(١).

وكان قد شاع بين السكان غدر بني إسرائيل وتآمرهم ضد البلاد التي يترلوها، فلم تعد فلسطين مفتوحة لهم كالسابق، بل وقف أهلها في وجه بني إسرائيل يردونهم عنها، وهكذا أصبح دخولهم إليها يعني الحرب بين بني إسرائيل والسكان المقيمين في فلسطين، وكان بنوا إسرائيل يخافون الحرب حيث سكنتهم الذلة، فصاحوا بموسى ﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا ﴾. وبذلت محاولات لإغرائهم بالدخول ووعود بالنصر، ولكن الخوف من الحرب والجبن استحوذ عليهم واصروا على موقفهم الرافض للدخول ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ .

ولم يستجب لموسى أحد سوى أخيه هارون فتوجه موسى إلى ربه شاكياً قائلاً: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ فترل عليهم حكم الله ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ

---

(١) حوالي الألف الثالث من قبل الميلاد هاجرت أفواج من القبائل العربية من شبه الجزيرة العربية إلى الشمال هرباً من القحط وأول تلك الأفواج كانت من الفينيقيين الذين استقروا على شاطئ البحر المتوسط. وإلى الجنوب منهم نزلت قبائل عربية أخرى أشهرها قبائل الكنعانيين حوالي ٢٥٠٠ ق.م. واستقرت على ضفة الأردن الغربية منسابة نحو البحر المتوسط وسميت هذه المنطقة بأسمهم فأصبحت تدعى «أرض كنعان»، وحوالي ١٢٠٠ ق.م نزلت بالساحل المطل على البحر المتوسط جماعات من جزيرة كريت (اقريطش) وكانت هذه الجماعات تسمى قبائل فلستين، وقد نزلت بين يافا وغزة، واختلط الكنعانيون بهم وغلب على هذا الاختلاط الدم العربي واللغة السامية من جانب والاسم الوافد من كريت من جانب آخر، فأصبحت هذه البلاد تعرف بفلسطين. انظر بهذا الخصوص كتاب تاريخ الشعب العربي لشارل كونت، Charles Foster Kent «A. History of the Hebrew people p. 29 وكتاب «اليهود في تاريخ الحضارات الأولى» لغوستاف لوبون ص ٢٦.

سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾[1].

ومن مضمون الآيات يرى الباحثون أن التيه هو الذي حدد بأربعين سنة وليس التحريم، فالتحريم مطلق أبدي في الآيات «إنها محرمة عليهم». أي أنه لن يكون لهم بها استقرار، ومن أجل هذا السياق يوقف في القراءة بعد قوله تعالى «محرمة عليهم»[2].

ومات كل من هارون وموسى في فترة التيه[3]. وتولى يوشع بن نون قيادة بني إسرائيل بعد موسى، وقد اختاره موسى قبل موته[4]. فاتجه يوشع مع أتباعه إلى الشمال، شرقي نهر الأردن، وجهز نفسه لعبور النهر ونزوله فلسطين.

وكانت أول المدن التي استولى عليها بنو إسرائيل هي مدينة اريحا، حيث قتلوا كل ما بها من إنسان أو حيوان. وحرقوا المدينة كلها. ولم ينج من الموت من سكان المدينة إلا إمرأة وأهلها[5]. وكان ذلك أول العهد ببني إسرائيل في فلسطين[6].

---

(1) سورة المائدة الآيات: ٢٢ – ٢٦.

(2) انظر قصص الأنبياء، للأستاذ عبد الوهاب النجار، ص٢٧٣.

(3) مات هارون أولاً ودفن في جبل هور ثم موسى ودفن في كتيب أحمر حيث كانت ترى فلسطين منها دون أن يدخلها.

(4) سفر العدد: ٢٧: ١٥ – ٢٠، وانظر أيضاً J. Smith «God and Man In Early Israel P.52.

(5) وكان يوشع قد أرسل رسولين للتجسس، فدخلا بيت امرأة زانية اسمها راحاب وخبأتهما المرأة عندما شاع أمرهما. وبعد بضعة أيام اقتحم بنو إسرائيل مدينة أريحا.

انظر سفر يشوع (يوشع بن نون) ٢: ٢ – وسفر يشوع وخاصة الاحتجاج السادس.

(6) يقول Smith أن الذين عاصروا موسى من بني إسرائيل قد هلكوا جميعاً في الصحراء، ولم يدخل منهم فلسطين إلا إثنان كان يوشع واحداً منهما. أما باقي الجيش الذي اقتحم فلسطين فكان من الأبناء الذين ولدوا في فترة التيه.

ويصف (وول ديورانت)[1] أحداث تلك الفترة فيقول «كانت هزيمة العبرانيين للكنعانيين مثلاً واضحاً لانقضاض جموع جياح على جماعة مستقرين آمنين.

وقد قتل العبرانيون من الكنعانيين أكثر من استطاعوا قتلهم منهم، وسبوا من بقي من نسائهم، وجرت دماء القتل انهاراً، ولأن هذا القتل — كما تقول نصوص الكتاب المقدس — فريضة الشريعة التي أمر بها الرب موسى وزكاة الرب، ولما استولوا على احدى المدن قتلوا من أهلها اثني عشر ألفاً واحرقوا وصلبوا حاكمها[2].

ولسنا نعرف في تاريخ الحروب مثل هذا الإسراف في القتل والاستمتاع به، وقد كان موسى من رجال السياسة المتصفين بالصبر والإناة، أما يوشع فلم يكن إلا جندياً فظاً، وقد حكم موسى حكماً سليماً لم تسفك فيه دماء، أما يوشع فقد أقام حكمه على قانون الطبيعة الذي يقول إن أكثر الناس قتلاً هو الذي يبقى حياً. وبهذه الطريقة الواقعية التي لا أثر فيها للعواطف استولى اليهود على الأرض الموعودة».

إن ما وصفه وول ديورانت بهجوم جماعة جياع على جماعة مستقرين آمنين في فلسطين يعلق عليه سميت (Smith) بقوله: إن هذا الحادث كان عملية انتقال في تاريخ بني إسرائيل، لأنه كون أمة من اشتات من العبيد[3].

قام يوشع بتقسيم الأراضي التي استولى عليها بنوا إسرائيل في التلال الداخلية على الأسباط واستمرت الصراعات بينهم وبين الفلسطينيين والقبائل الأخرى حولهم كأهل مدين[4].

---

[1] في كتاب «قصة الحضارة ج٢ ص ٢٢٦ — ٣٢٢.

[2] كما ورد أيضاً في سفر يشوع الاصحاح الثامن وقد اقتبسه ديورانت.

[3] Smith. God and Man is Early Israel. P. 54

[4] انظر سفر يشوع الاصحاح الثالث عشر. والاصحاح الثاني والثالث من سفر القضاة.

ويمكن تقسيم حياة بنو إسرائيل في فلسطين إلى ثلاث حقب:-

١- **عهد القضاة:** في الفترة الأولى من دخولهم إلى فلسطين حكم اليهود قضاة من الكهنة كانوا ينتخبون منهم[1] و لم تكن إطاعتهم واجبة و لم يكن فيهم ملوك فكان مجزئين بين اثنتي عشر منطقة كل منطقة لسبط والحكم لديها يقوم على السلطة الأبوية ويجتمع شيوخ العشائر للفصل في شؤونهم وإذا ما فشلوا يتجهون إلى القاضي الذي يمثل الرئيس في الجماعات اليهودية [2].

في هذه الحقبة عصر القضاة بدأت حياة بنو إسرائيل تتغير شيئاً فشيئاً. فبدؤا ينتقلون من حياة البدو إلى حياة الاستقرار، وأخذوا عن الكنعانيين ومن التقوا بهم من الشعوب الأخرى المهن، ووضع في هذا العهد الأساس للحياة اليهودية وللفكر اليهودي[3].

٢- **عهد الملوك:** إن الخطر الداهم على بني إسرائيل من قبل الفلسطينيين جعلهم يتجهون إلى جمع شمل الأسباط - بعدما أخفق نظام القضاة حيث ساد الفسق والرشوة. وفي هذا الخصوص يروى سفر صموئيل الأول[4] قصة الانتقال من عهد القضاة إلى عهد الملوك فيقول: «لما شاخ صموئيل جعل ابنيه قضاة لبني إسرائيل، ولكنهما لم يسلكا طريقه، ومالا وراء المكسب وأخذ الرشوة، وعوجا القضاة، فاجتمع شيوخ بين إسرائيل وجاءوا إلى صموئيل وقالوا له: أنت قد شخت، وابناك لم يسيرا في طريقك، فالآن اجعل لنا ملكاً كسائر الشعوب، فصلى صموئيل إلى الرب

---

(1) وول ديورانت: قصة الحضارة ج٢ ص ٣٢٩.

(2) وقد استمر هذا العهد قرن واحد من الزمان. انظر في هذا الخصوص «تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم» لمحمد عزة دروزة» ج١ ص١٤٨

(3) Charles Foster Kent: A History of the Hebrew People, P.90 –98

(4) سفر صموئيل الأول الاصحاح الثامن.

فقال له الرب: اسمع لصوتهم، أنهم لم يرفضوك أنت ولكنهم رفضوني أنا، إنهم تركوني وعبدوا آلهة أخرى[1]. فأسمع لصوتهم ولكن اشهد عليهم، قال صموئيل لبني إسرائيل: إن الملك الذي سيملك عليكم سيأخذ بنيكم ويجعلهم لنفسه، لمراكبه وفرسانه، فيركضون أمام مراكبه، ويحرثون له ويحصدون، ويأخذ بناتكم عطارات وطباخات وخبازات ويأخذ حقولكم وكرومكم وزيتونكم ويأخذ جواريكم وشبانكم الحسان وحميركم...

فأبى الشعب أن يسمع لصموئيل وقالوا: لا بل يكون علينا ملك، مثل سائر الشعوب يخرج أمامنا ويحارب حروبنا»[2].

واختار لهم صموئيل شاءول ليكون أول ملك عليهم[3] ، وقد قادهم في المعارك بشجاعة وكان في عداد رجاله داود الذي انتصر على «جلبات»[4] قائد الفلسطينيين وكان دعاه للمبارزة واستهزء به فلم يتهيئ له فغلبه داود وكبر في أعين الناس مما أثار ذلك حقداً عليه في نفس شاءول وعزم على قتله وطارده مدة طويلة مما دعى داود للجوء إلى الفلسطينيين مرتين هارباً منه[5]. فانتهز الفلسطينيون الفرصة وهاجموا بني إسرائيل

---

[1] يذكر هنا أن الإسرائيليين تأثروا في عباداتهم تأثراً كبيراً بالكنعانيين.

[2] يذكر القرآن الكريم القصة فيوردها على الشكل: «ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله ... فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين». سورة البقرة آية ٢٤٦.

[3] ويسميه القرآن الكريم «طالوت» في سورة البقرة الآية ٢٤٧ حيث يقول: «وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً، قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال، قال إن الله اصطفاه عليكم، وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم».

[4] ويسميه القرآن الكريم «جالوت» سورة البقرة الآية ٢٥٠. «ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين».

[5] سفر صموئيل الاصحاح السادس عشر والاصحاحات التالية له.

وهزموهم، وسقط شاءول[1] في إحدى المعارك ودق جسده بالمسامير على أسوار بيت شان.

وبعد موت شاءول تمكن داود من أن يصبح الملك الثاني لبني إسرائيل[2] أثر تغلبه على ابن شاءول (اشيوشت) وقائد جيش أبيه (ابنير) وذبحهما.وبقي الملك وراثياً في عقبه، واستولى داود على أهم مدن فلسطين (اورسا لم) أي أورشليم ومعناها بالكنعانية محلة أو مدينة السلام، وكانت تحت سيطرة اليبوسين[3] ، وبعد استيلائه عليها أعاد اسمها القديم (اورشليم) وأصبحت عاصمة له ونقل إليها التابوت.

٣- عصر الانقسام والزوال: بعد داود أتى ابنه سليمان وبعد وفاة سليمان حوالي سنة٩٣٥ ق.م. أعلن رحبحام نفسه ملكاً على دولة اليهود، وبايعه سبطا يهوذا وبنيامين في أورشلم ورفض شيوخ الأسباط في الشمال مبايعته، فانقسمت المملكة إلى مملكتين: جنوبية اسمها يهوذا وعاصمتها اورشليم، وشمالية اسمها إسرائيل وعاصمتها شكيم[4] (نابلس حالياً).

حتى إذا وافت سنة ٧٢١ ق.م محت يد الأسر الأشوري في عهد الملك سرجون الثاني ملك أشور مملكة إسرائيل من الوجود وزال شعبها من التاريخ زوالاً تاماً، وظلت مملكة يهوذا تكافح حتى أسقطها البابليون[5] سنة ٥٨٦ ق.م. وخلت فلسطين تقريباً من اليهود إثر سقوط مملكتي إسرائيل

---

(١) Wells: History of the World. P. 92

(٢) «وقتل داود جالوت وأتاه الله الملك والحكمة...» سورة البقرة الآية ٢٥١.

(٣) وهم بطن من بطون كنعان، وقد سميت المدينة (يبوس) خلال مدهم.

(٤) انظر سفر الملوك الأول: الاصحاحان ١١ — ١٢.

(٥) يقول Weech معلقاً على عهد بني إسرائيل بفلسطين: لقد كانت حياة العبرانيين بفلسطين وبخاصة خلال القرون الثلاثة الأخيرة — أشبه بحياة رجل أصر على الوقوف وسط ميدان صاخب، فكان مصيره أن دهمته السيارات. E.H. Weech: The Outline of History P.228.

ويهوذا وفي سنة ٥٣٨ ق.م. احتل قورش ملك الفرس بلاد بابل ومن ثم أصبح له السلطان على أرض فلسطين وأطلق الفرس على بني إسرائيل اسم اليهود وأطلقوا على عقيدتهم اسم اليهودية[١]. ومنذ ذلك التاريخ أصبحت كلمة «اليهود» تعني من اعتنق اليهودية، ولو لم يكن من بني إسرائيل[٢] وهذا هو الفرق بين اليهودي والإسرائيلي و لم تقبل العودة إلى فلسطين بعد سيطرة نبوخذ نصر[٣] إلا قلة بدأت رحلتها بعد سنتين من مجيء قورش وقد أعاد هؤلاء بناء المدينة المقدسة، كما بنوا بها مبعداً صغيراً مكان الهيكل بتصريح من قورش، وكانت عودة اليهود من المنفى عودة أشخاص وليس عودة الدولة، فإن بعض بني إسرائيل عادوا ولكن دولتهم لم تعد، فقد صاروا جماعة تابعة للحكم الفارسي وخاضعة له ، وكانت الصراعات بينهم وبين حكامهم الفرس قائمة، لذا رحبوا بالاسكندر المقدوني عندما زحف على فلسطين سنة ٣٢٠ ق.م. وحكم فلسطين بعده البطالسة.

وفي عهد الرومان بعد أن قضي على ملـوك المكـابين، حـاول هيرودوس الكبير (٧٢ – ٤ ق.م) أن يرضى اليهود فبنى هيكلاً على نسق هيكل سليمان سنة ٢٠ ق.م. وقد ظل هذا الهيكل حتى سنة ٧٠م حيـث دمر الامبراطور تيتس الروماني مدينة أورشليم وأحرق الهيكل على أثر ثورة قام بها اليهود[٤] ، وهذا هو التدمير الثاني للمدينة والمعبد بعد التدمير الأول الذي أحدثه نبوخذ نصر.

وجاء بعده أدريانوس الذي أزال معاليم المدينة والهيكل تماماً سنة ١٣٥م حيث حرث الأرض وسـواها وتخلص من اليهود قتلاً وتشـريداً

---

[١] انظر «قصة العقائد» لسليمان مظهر ص٣١٨.

[٢] و «تاريخ العرب قبل الإسلام» د. جواد علي ج٦. ص٥٦.

[٣] ملك بابل – Weech: «civilization of Near East». P 37.

[٤] James Hosmer: «The Jewich: P. 183.

ورحلٍ من استطاع الهرب منهم وأقام الإمبراطور مكان الهيكل اليهودي هيكلاً وثنياً باسم Jupiter رب الآلهة عند الرومان وعندما قامت المسيحية في أورشاليم، دمره المسيحون في عهد الإمبراطور قسطنطين.

الفكر الديني اليهودي

عقيدة اليهود في نظر المسلمين كما وردت في القرآن الكريم:

يعترف الإسلام بالتوراة التي أنزلها الله على موسى ولا يعترف بغيرها مما يدعي به بنو إسرائيل زوراً وبهتاناً يقول تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۝ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾[1].

وورد في القرآن الكريم آيات عديدة تذكر أنبياء بني إسرائيل وسيرهم. والعقيدة التي كلفوا بها في صدقها وصفاتها لا تختلف مما جاء في عقيدة المسلمين، فالدين واحد والشرائع متعددة، وجميعها من عند الله: قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ﴾[2].

فالآية واضحة وصرحية بأن عقيدة الأنبياء جميعاً هي عقيدة واحدة، تدعو للإيمان بالله وتوحيده، فهو إله الناس جميعاً وخالقهم وإليه مرجعهم ومصيرهم.

جاء في القرآن الكريم أيضاً على لسان إبراهيم ما يظهر العقيدة الصحيحة التي أتته من الله تعالى فآمن بها وكلف بإبلاغها لقومه.

﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٧٩ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ

---

[1] سورة آل عمران الآيتان ٢-٣.

[2] سورة النساء الآية ١٦٣.

أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

ثم يورد القرآن الكريم آيات أخرى تؤكد وتشهد على إيمان إبراهيم وبنيه بالإله الواحد فيقول تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[2].

وإن الإيمان بالبعث واليوم الآخر مما جاء في عقيدة إبراهيم[3].

وتكررت عقيدة التوحيد والإيمان باليوم الآخر، قال تعالى على لسان يوسف:﴿ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝

---

(1) سورة الأنعام: الآيات، ٧٩-٨٦.

(2) سورة البقرة الآيات، ١٣٠-١٣٣.

(3) سورة البقرة الآية ٢٦٠.

وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ۞ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۞ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[1].

ويقول الله تعالى عن التوحيد واليوم الآخر والحساب مخاطباً موسى:
﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ۞ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۢ بِمَا تَسۡعَىٰ ۞ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴾[2].

إن هذه الآيات تبين أن العقيدة التي نادى بها أنبياء بني إسرائيل لا تختلف عما جاء في عقيدة المسلمين فهي تدعو إلى وحدانية الخالق وإلى الإيمان باليوم الآخر والحساب.

هذه الصورة النقية لأنبياء بني إسرائيل وعقيدتهم كما يوردها القرآن الكريم، لم تكن مثلها عند بني إسرائيل، فقد ثاروا في وجه أنبيائهم وهاجموهم وقتلوهم أحياناً وارتدوا عن العقيدة الصحيحة، فعبدوا غير الله، وأنكروا البعث ونسبوا لأنبيائهم ما لا يليق بهم، ولا يمكن أن يصدر عن نبي.

---

[1] سورة يوسف الآيات ٣٧-٤٠.

[2] سورة طه الآيات ١٤-١٦.

يصف القرآن الكريم صفات بني إسرائيل وأخلاقهم، حيث يقول تعالى: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾[1].

ويقول تعالى واصفاً حال إيمانهم الضعيف: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[2].

- ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾[3].
- ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[4].
- ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[5].
- ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[6].

---

[1] سورة البقرة الآية ٦١.

[2] سورة البقرة الآية ٨٥.

[3] سورة البقرة الآية ٨٧.

[4] سورة آل عمران الآية ٧١.

[5] سورة النساء الآية ٤٦.

[6] سورة النساء الآية ١٥٥.

- ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ... ﴾[1].

- ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ۞ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾[2].

- ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾[3].

هذا وصف القرآن الكريم لعقيدة بني إسرائيل، فما هو مصدر عقيدهم أذن.

---

[1] سورة المائدة الآية ١٣.

[2] سورة المائدة الآيتان ٧٨-٧٩.

[3] سورة الأعراف الآية ١٤٨.

مصادر الفكر الديني اليهودي

العهـــد القديـــم

هو النص الأساسي الذي تقوم عليه عقيدة اليهود، وهو التسمية العلمية لأسفارهم، وهو في الصورة التي وصل بها إلينا يحتوي على ثلاثة أقسام: التوراة والأنبياء، والكتب أو أسفار الحكمة. وقد تطلق «التوراة» على الجميع من باب إطلاق الجزء على الكل وهي ليست إلا جزءاً من العهد القديم ويطلق عليها الكل لأهمية التوراة ونسبتها إلى موسى أبرز زعماء بني إسرائيل حيث يبدأ تاريخهم عنده.

والعهد القديم مقدس لدى اليهود ولدى المسيحيين، ولكن أسفاره غير متفق عليها. فإن اختلاف اليهود من ناحية والمسيحيين من ناحية أخرى في قائمة الأسفار التي يضمها، واختلاف أحبار اليهود والباحثين حول نسبة هذه الأسفار وجمعها، ويمكن أن يضاف إلى ذلك الخلاف بين اليهود أنفسهم، ذلك لأن السامرين يخالفون سائر اليهود في أنهم لا يؤمنون إلا بالأسفار الخمسة، وهي المصطلح عليها بالتوراة.

والعهد القديم هو في الواقع سجل تضمن التراث اليهودي، من شعر ونثر وقصص وأساطير وغزل ورثاء وحكم وأمثال وفلسفة وتشريع وضع في صورته الأخيرة في نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلادي، قام به جماعة من المترجمين اليهود يعرفون بـ (Massorete) وسبقتها ترجمة يونانية قبل الميلاد بنحو ٢٥٠ سنة قام بها اثنين وسبعون من علماء اليهود وتعرف بـ (السبعينية) وبينها وبين الأولى اختلافات كثيرة، يقول الباحثون أن هذه الاختلافات توحي بأن هناك نصاً قديماً للعهد القديم أدى إلى الاختلاف في الأساس وليس على أساس الترجمة.

لمن ينسب العهد القديم:-

أحياناً يكتفي مؤلف مقدمة الكتاب المقدس بأن يجيب باقتضاب، أن مؤلف كل هذه الكتب هو الرب برغم أنها كتبت بأقلام بشر ألهمهم الروح القدس، وذلك حتى يسد الطريق على أي تساؤل، وأحياناً أخرى يضيف إليها تصحيحاً يقول فيه إن هناك تفاصيل قد أضافها بشر إلى النص الأول، وأن الطابع المشكوك فيه لفقرة ما في هذا النص لا تحرف «الحقيقة» العامة التي تنبع منه.

إن العهد القديم كالعهد الجديد يثير مشاكل لا يخفي المفسرون عناصرها التي تسبب النزاع فالكاتب «ادموند جاكوب»[1] يشير إلى أنه في البدء لم يكن هناك نص واحد فقط بل كان هناك تعدد في النصوص، ففي القرن الثالث قبل الميلاد تقريباً، كان هناك على الأقل ثلاث مدونات للنص العبري للتوراة.

كان هناك النص المحقق (الماسوري) Massortique، والنص الذي استخدم جزئياً على الأقل في الترجمة اليونانية، والنص المعروف بالسامري (أو أسفار موسى الخمسة) Pentateuque Samaritain. ثم بعد ذلك في القرن الأول قبل الميلاد، اتجاه إلى تدوين نص واحد، ولكن تدوين نص الكتاب المقدس، لم يتم إلا في القرن الأول بعد الميلاد ولو كانت هذه المدونات الثلاث موجودة الآن لأمكن إقامة المقارنات للوصول، ربما إلى رأي مما كان عليه النص الأصلي، ولكن ليس لدينا أقل فكرة عنه، إن أقدم نص عبري للتوراة يرجع عهده إلى القرن التاسع الميلادي. هذا إذا وضعنا جانباً أسطوانات مغارة قمران التي ترجع إلى ما قبل العصر المسيحي بقليل ،

---

(1) «العهد القديم» Edmond Jacob. Presses Universitaire de France Collection. "Que – sais- je"?

«وبردي» الوصايا العشر التي تختلف طفيفاً عن النص الكلاسيكي، وبعض مخطوطات ناقصة ترجع إلى القرن الخامس الميلادي (كنيسة القاهرة).

وتعد الترجمة السبعينية Septante أول ترجمة، وهي باللغة اليونانية ويرجع تاريخها إلى القرن الثلاث قبل الميلاد. وقد قام بها يهود الإسكندرية، وعلى نصها اعتمد كتاب العهد الجديد، وقد ظلت معتمدة حتى القرن السابع الميلادي. والنصوص اليونانية باسم Codex Vaticanus في الفاتيكان Codex Sinaiticus المحفوظة بالمتحف البريطاني ويرجع تاريخ هذين المخطوطين إلى القرن الرابع الميلادي.

أما فيما يختص توراة القديس «إيرونيمس» اللاتينية، فيتحمل أن يكون قد استخدم وثائق عبرية ترجع إلى السنوات الأولى من القرن الخامس الميلادي وهي طبعة المسماة Vulgates بسبب انتشارها الواسع بعد القرن السابع الميلادي.

بهذه الإضافات يتبين لنا ضخامة ما إضافة الإنسان إلى العهد القديم، ونتبين التحولات التي أصابت نص العهد القديم الأول من نقل إلى نقل ومن ترجمة إلى أخرى.

يتكون العهد القديم من مجموعة أسفار لا تتساوى في الطول وتختلف في النوع، كتبت هذه الأسفار على مدى يربو على تسعة قرون وبلغات مختلفة، واعتماداً على التراث المنقول شفوياً. وقد صححت وأكملت أكثرية هذه الأسفار بسبب أحداث حدثت، أو بسبب ضرورات خاصة، وفي عصور متباعدة أحياناً.

ففي القرن الحادي عشر قبل الميلاد تشكلت هيئة الكتبة التي تتكون من مثقفين لا يقتصر دورهم على مجرد الكتابة والتدوين ، وغلى هذا العهد يمكن إرجاع أولى المدونات: وهي: بعض الأناشيد ونبوات يعقوب وموسى والوصايا العشر والنصوص التشريعية التي حددت تقليداً دينياً قبل سن القوانين. وبعد ذلك وربما في القرن العاشر قبل الميلاد تم تحرير النص المعروف بالرواية «اليهوية»، (أطلق عليها هذا الاسم لأن اسم الله بها «يهوه») التي شكلت فيما بعد بنية الأسفار الخمسة التي عرفت باسم أسفار موسى الخمسة. وقد أضيفت إلى هذا النص بعد ذلك الرواية المعروفة «بالألهيمية» (أطلق عليها هذا الاسم لأن اسم الله بها «أليهم»). والرواية الأخرى المعروفة «بالكهنوتية» (صدرت عن كهنة معبد القدس) ويعالج النص اليهوي الأول الفترة من أصل العالم وحتى موت يعقوب. وهو صادر عن مملكة الجنوب[١].

ومن نهاية القرن التاسع وحتى أواسط القرن الثامن قبل الميلاد تكون وذاع «النفوذ النبوي» مع إليا، واليشع، وتلك أيضاً فترة النص الألهيمي للتوراة الذي يعالج فترة زمنية محددة بالنسبة إلى النص اليهوي؛ فهذا النص يكتفي برواية الأحداث الخاصة بإبراهيم ويعقوب ويوسف ويرجع سفرا يشوع والقضاة إلى تلك الفترة.

أما القرن الثامن قبل الميلاد فهو عصر الأنبياء عاموس وهو شع في إسرائيل، واشعيا وميخا في مملكة الجنوب. وبالاستيلاء على السامرة سنة ٧٢١ قبل الميلاد انتهت مملكة إسرائيل، واستقبلت مملكة الجنوب ميراثها الديني، ويحتمل أن مجموع الأمثال ينتمي إلى هذا العصر الذي يتسم على وجه خاص باتحاد نص التوراة اليهوي والألهيمي في مجلد واحد، وبهذا

---

(١) "La Bible, Le Coran et La Science" Par Maurice Bucaille. Editions Seghers, Paris, 1978, 6o ed.

تشكل ما يعرف بالتوراة. كما يحتمل أن يرجع تاريخ تحرير سفر التثنية إلى هذا العصر أيضاً.

ويلتقى حكم يشوع في النصف الثاني من القرن السابع قبل الميلاد مع بدايات النبي إرميا. ولكن مؤلف هذا الأخير لم يتخذ شكله النهائي إلا بعد ذلك العصر بقرن.

أما رسائل صفينا وناحوم وحبقوق فيرجع تاريخها إلى ما قبل النفي الأول إلى بابل عام ٥٩٨ق.م. وكان حزقيال يمارس النبوة في أثناء هذا النفي. ثم سقطت القدس في ٥٨٧ ق.م. هذا الحدث يسبق النفي الثاني الذي امتد حتى ٥٣٨ق.م. أما كتاب حزقيال، وهو آخر نبي كبير ونبي المنفى أيضاً، فإنه لم يدون في شكله الحالي إلا بعد موته، وقد دونه الكتبة وهم الذين أصبحوا ورثة الروحيين. وقد قام نفس هؤلاء الكتبة بتدوين رواية ثالثة لسفر التكوين واسمها «الكهنوتية».

وهكذا إذن أدخل نص ثالث على النصين اليهوي والألهيمي في التوراة. وانتهى النفي إلى بابل يأمر سيروس في ٥٣٨ق.م. فعاد اليهود إلى فلسطين وأعيد بناء معبد القدس. واستؤنف النشاط النبوي. ومن هنا كانت كتب حجاي، وزكريا، واشعيا الثالث وملاخى، ودانيال، وباروك (وقد كتب هذا الأخير باليونانية).

والفترة التي تلي النفي هي أيضاً فترة كتب الحكمة: حررت الأمثال نهائياً في ٤٨٠ق.م. وحرر سفر أيوب في القرن الخامس قبل الميلاد تقريباً، وإلى القرن الثالث يرجع سفر الجامعة ونشيد الأنشاد وكتابي أخبار الأيام وكتب عزرا ونحميا.

أما كتاب «بن سيراخ»، فقد ظهر في القرن الثاني قبل الميلاد، وأما سفر الحكمة لسليمان وسفرا المكابين فقد كتبوا قبل المسيح بقرن. وأسفار

راغوت واستي ويونس فيصعب تاريخها قبل سفري طوبيا ويهوديت. ويمكن أن تظهر تعديلات على تاريخ هذه الكتب والأسفار.

وعلى هذا يبدو العهد القديم صرحاً أدبياً للشعب اليهودي منذ أصوله وحتى العصر المسيحي.

مصادر العهد القديم:-

كما ذكرنا سابقاً يعترف الإسلام بالتوراة التي أنزلها الله على موسى ولا يعترف بسواها من أسفار العهد القديم[1]. فالأسفار التي أضيفت إلى التوراة كسفر يشوع وسفر القضاة والملوك ليست في نظر الإسلام كتب مقدسة والأنبياء السبعة عشر في نظر اليهود لم يتعرض القرآن الكريم لهم ولا لكتبهم بأي ذكر ونجد هؤلاء قد رمى بعضهم البعض الآخر بالشعوذة والهوس والتظاهر، لابتزاز الأموال بغير حق.

أما التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى فأين هي؟ ويجيب القرآن الكريم على ذلك: بأن اليهود أهملوا بعضها فضاع، وحرفوا بعضاً على نحو ما أرادوا. قال تعالى: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾[2].

-﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾[3].

-﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ .... ﴾[4].

ثم يذكر الله تعالى أن القرآن الكريم حوى أصول الدين الصحيحة التي جاءت بها الأديان السابقة:-

---

[1] سورة آل عمران الآيتان ٢-٢٣ «الله لا إله إلا هو الحي القيوم، نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه، وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدىً للناس». وقوله: «ومن قبله كتاب موسى». سورة هود آية ١٧٠.

[2] سورة المائدة الآية ١٣.

[3] سورة المائدة الآية ٦٨.

[4] سورة الجمعة الآية ٥.

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾[1].

ويقول تعالى أيضاً: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[2].

- ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[3].

– مما تقدم من آيات يتبين أن الله سبحانه وتعالى أرسل محمداً بالإسلام دين التوحيد والحق الخالد ليظهره على الدين كله ويعلو على الأديان والمعتقدات بأن يحوى أحسن ما فيها، ويضيف إلى ذلك ما فيه خير الإنسان دنيا وآخره.ويؤكد من ناحية أخرى ضياع التوراة التي أنزلت على موسى، فكيف اختفت التوراة ثم ظهرت؟

يقرر التاريخ أن موسى، كتب نسخة التوراة ووضعها مع اللوحين في التابوت[4] ، ومرت الأيام وظهر في بني إسرائيل كثير من الفجرة والكفرة حتى جاء عهد سليمان وفُتح التابوت بعد ان وضع في الهيكل، فلم توجد فيه نسخة التوراة، وإنما وجد اللوحان الحجريان فقط، وقد جاء في الكتاب، ذلك...«**لم يكن في التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك في حوريب حين عاهد الربُّ بني إسرائيل عند خروجهم**

---

[1] سورة الشورى الآية ١٣.

[2] سورة المائدة الآية ٤٨.

[3] سورة الفتح الآية ٢٨.

[4] أنظر سفر الخروج الأصحاح: ٢٥، الآية ٢١.

من أرض مصر»[1].

وبعد عهد سليمان حدثت أحداث دينية وصلت إلى الردة وعبادة الأوثان والتآثر بآلهة الأقوام المجاورة وعبادتهم، وتعرض بيت المقدس للنهب والسرقة والتدمير عدة مرات، وبنى مذبح للأصنام في فنائه، و لم يعد هناك ذكر للتوراة ولا صلة بها، وبعد سقوط مملكة إسرائيل، بقيت مملكة يهو ذا تعاني صوراً من الاضطراب والفوضى، وكان اتجاهاً غالباً إلى الزندقة والكفر، وقبيل سقوطها آل حكمها إلى الملك يوشيا (ما بين ٦٢٩-٥٩٨ق.م.) ومال هذا إلى العودة للإيمان وإتباع التوراة رجاء أن يكون في هذا إنقاذ مملكته من الفوضى والدمار، وكان يعاصره كاهن اسمه حلقيا انتهز فرصة هذا الميل في الملك فادعى- بعد سبعة عشر عاماً من حكم يوشيا- أنه وجد نسخة التوراة في بيت المقدس وأعطاها شافان الكاتب[2].

ولا يقبل الباحثون ادعاء حلقيا، إذ لا يعقل أن توجد نسخة التوراة في بيت المقدس ولا يراها أحد قبل يوشيا ولا خلال السبعة عشر عاماً الأولى من حكمه ويرى الباحثون أن حلقيا انتهز فرصة ميل يوشيا إلى العودة لدين الله والعمل بالتوراة فكتب خلال هذه الأعوام السبعة عشر ما أسماه أسفار التوراة، وليس ذلك في الحقيقة إلا من مخترعاته ومما سمعه من أفواه الناس، تأييداً لعدم بقاء التوراة الحقيقة يقول (وول ديورانت): أنه لم

---

[1] سفر الملوك الأول الأصحاح: ٨-٩.

[2] أنظر كتاب «إظهار الحق» للعلاقة رحمة الله الهندي، ص ٣٢٣-٣٣٥.

هذا الكتاب كان رداً على المستشرق الأمريكي فندر (G.G. P Fander) في كتابه «ميزان الحق».

يبق لدينا من شريعة موسى سوى الوصايا العشر [1].

---

[1] كتاب «قصة الحضارة، ج٢، ص ٢٧١.

- في مناظرة بين العلامة رحمه الله الهندي والقسيسان كاي Kay وفرنج French قال العلامة أن التوارة محرفة قال القسيس Kay تحريف التوراة غير ممكن، لأن نسخة التوراة التي كتبها موسى بخط يده كانت محفوظة إلى عهد «بنوخذ نصر» ملك بابل في التابوت وكان التابوت في هيكل سليمان باورشليم القدس، وكان كل ملك يجلس على كرسي المملكة يكتب لنفسه نسخة من التوراة ويجعلها دستور حياته.

قال الشيخ رحمه الله: إن التابوت لما أخرج من الهيكل في عهد سليمان عليه السلام لم يكن فيه سوى لوحي العهد، وما كانت فيه التوراة التي كتبها موسى بخط يده.

قال القسيسان Kay و French: ما الدليل على ذلك؟

«لم يكن في التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك في حوريب، حين عاهد الرب بني إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر».

أنظر «وقائع المناظرة» التي جرت مع القسيس Kay. ص ٧٥-٨٦. دار البشائر ١٩٩٦.

الأسفــــار

إن أسفار العهد القديم المقدسة لدى اليهود ولدى المسيحيين متعددة وغير متفق عليها، فبعض أحبار اليهود يقبل أسفاراً لا يقبل بها آخرون، وبعض الطوائف المسيحية عدد أسفارها تقل أو تزيد عن البعض الآخر، فنسخة العهد القديم لدى الكاثوليك تزيد سبعة أسفار عن مثيلتها لدى البروتستانت.

تقسم أسفار العهد القديم لدى البروتستانت إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: – «التوراة» ويشمل أسفاراً خمسة:–

التكوين – الخروج – اللاويون (الأحبار) – العدد – التثنية.

وتسمى أسفار موسى.

القسم الثاني: – «أسفار الأنبياء» وهي نوعان:–

١– **أسفار الأنبياء المتقدمين:** وتشمل الأسفار التالية: – يشوع (يوشع ابن نون) – القضاة – صموئيل الأول – صموئيل الثاني – الملوك الأول – الملوك الثاني.

٢– **أسفار الأنبياء المتأخرين:** وتشمل الأسفار التالية: إشعيا – إرميا– حزقيال، هوشع – يوئيل – عاموس – عويديا – يونان (يونس)– ميخا – ناحوم – حبقوق – حفنيا – حجى – زكريا – ملاخى.

القسم الثالث: «الكتابات» **وهذا القسم ثلاثة أنواع:**

١– **الكتب العظيمة:** وتشمل الأسفار الآتية: المزامير (الزبور). الأمثال (أمثال سليمان) – أيوب.

٢- **المجلات الخمس**: تشمل الأسفار التالية: نشيد الأناشيد – راعوث – المراثي (مراثي إرميا) – الجامعة – إستير.

٣- **الكتب**: وتشمل الأسفار التالية: دانيال – عزرا – نحميا – أخبار الأيام الأول أخبار الأيام الثاني.

هذه الأسفار تعتمدها الكنيسة البروتستانية وعددها تسع وثلاثون سفراً. أما الأسفار التي تعتمدها الكنيسة الكاثوليكية فتضيف إلى الأولى سبعة أسفار أخرى وهي : طوبيا – يهوديت – الحكمة – يسوع بن سيراخ – باروخ – المكابيين الأول – المكابيين الثاني.

كذلك تختلف تقسيمات الكنيسة الكاثوليكية حيث تجعل الأسفار الستة والأربعين في خمسة أقسام:-

أسفار التوراة: –

يبدأ العهد القديم بأسفار التوراة الخمسة: Torah أو Pentateuque وتنسب إلى موسى، وتغطي فترة من التاريخ تبدأ مع بدء الخليفة وتنتهي بوفاة موسى على جبل «نبو» في شرق الأردن حوالي سنة ١٣٠٠ ق.م والأسفار الخمسة هي:

١- **سفر التكوين La Genése**

وهو يؤرخ لبداية الخلق إلى نزول بني إسرائيل إلى مصر، وتقع في خمسين أصحاحاً.

٢- **سفر الخروج L'exode**.

وتقع في أربعين اصحاحاً تبدأ بالحديث عن اضطهاد الفراعنة لبني إسرائيل، وتشمل تلقى موسى «الوصايا العشر» وينتهي إلى بناء خيمة الشهادة والاجتماع.

٣- سفر اللاويين Le Lévitique (الإحبار):

وتقع في سبعة وعشرين اصحاحاً، ويشتمل على الشرائع الطقسية والفرضية، وواجبات الكهنة، ويسميه علماء الشريعة الإسرائيلية باسم «القانون الكهنوتي».

٤- سفر العدد Les Nombres

وهو ستة وثلاثون اصحاحاً. وسمي بهذا الاسم لبروز ظاهرة التعداد الدقيقة خلال نصوحه، وهو يروى قصة تيه بني إسرائيل في صحراء أو سيناء، ووصولهم إلى مؤاب.

٥- سفر التيه أو الاستثناء Le Deutéronome

ويسمى كذلك سفر «تثنية الاشتراع»، أي إعادة الشريعة وتكرارها على بني إسرائيل مرة ثانية عند خروجهم من سيناء ووصولهم إلى صحراء مؤاب، وهنا حصل نسخ لبعض تعاليم الشريعة، أو إضافة لأشياء لم ترد من قبل، وفي هذا السفر نص بجعل نظام الحكم ملكياً[١].

وهذا السفر الذي ينهي التوراة المنسوبة إلى موسى، يعبر – دينياً واجتماعياً – أصدق تعبير عن الفكر الإسرائيلي الصرف، ويقع هذا السفر في أربعة وثلاثين إصحاحاً ورد في آخرها قوله «فمات هناك موسى، عبد الرب، في أرض مؤاب بأمر الرب، وثم دفنه في الوادي، في أرض مؤاب، تجاه بيت فاعور، و لم يعرف أحد قبره إلى يومنا هذا»[٢].

---

(١) الاصحاح السابع عشر، الآيات ١٤ – ١٨. «إذا دخلت الأرض التي يعطيك الرب إلهك، وملكتها، وسكنت فيها، فقلت أقيم عليّ ملكاً كسائر الأمم الذين حولي، فاقم عليك من يختاره الرب إلهك، من بين أخوتك تقيم عليك ملكاً، وليس لك أن تقيم عليك رجلاً أجنبياً ليس بأخيك....».

(٢) الاصحاح ٣٤: ٥ – ٦.

تنسب أسفار العهد القديم إلى أسماء، والذين نسبت لهم الأسفار أو أكثرهم لم يكتبوها، حتى أن من نسبت لهم لم يكن موجوداً في التاريخ، إنما وضعت قصصهم وضعاً لهدف معين. وبعض هذه الأسفار ليست سوى أساطير وأغنيات شعبية ألصقها الكتاب ببعض الأنبياء أو المتنبئين من اليهود.

والحقيقة أن اليهود تخلصوا من أسفار موسى الحقيقية عندما انحرفت اعتقاداتهم، وأصبحت تخالف نصوص الشريعة، وكتبوا سواها يتلاءم مع ما يريدون من تاريخ وعقيدة.

والدليل على ذلك أن ما نسبوه إلى موسى خطأ، حيث جاء في سفر التثنية:

«فمات موسى عبد الرب في أرض مؤاب ر لم يعرف أنسان قبره إلى اليوم»[1]. ومن غير المعقول أن يكتب موسى هذا عن نفسه.

وجاء في السفر نفسه: «**ولم يقم نبي في بني إسرائيل مثل موسى**»[2]. وهذه العبارة حقيقة لا تقال إلا بعد موت موسى بزمن ليس بالقصير.

وجاء في سفر التكوين ما يلي: «**وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض ادوم قبلما هلك ملك لبني إسرائيل**»[3].

وهذه العبارة تدل على أنها كتبت في عهد ملوك بني إسرائيل أو بعده وعهد ملوك بني إسرائيل متأخر عن موسى بعشرات السنين أو مئات

---

[1] سفر التثنية: ٣٤: ٥.

[2] سفر التثنية: ٣٤: ١٥.

[3] سفر التكوين: ٣٦: ٣١.

السنين [1].

وبهذه الأدلة من الأسفار نفسها ندرك أنها ليست من أسفار موسى وإنما نسبت له لكثرة ورود اسمه بها.

وعن سفر الخروج يقول الباحث «سميث»: إن هذا السفر الذي نقرؤه بين أسفار الكتاب المقدس، لم يكتب إلا بعد فترة طويلة من الأحداث الواردة فيه. وربما كانت هذه الأحداث محفوظة جيلاً عن جيل، إذ كان بعضها، كما لا يزال الحال حتى الآن ضمن التلاوة الدينية التي يرتلها رجال الدين في المناسبات وبخاصة في عيد الفصح [2].

كذلك هناك أسفار نسبت إلى غير مؤلفيها الحقيقين، ومن الظاهر أن بعضهم كان متأخراً عمن نسبت لهم هذه الأسفار. ويرى البعض أن سفر يوشع كتبه إرميا، وبين يوشع وإرميا أكثر من ثمانية قرون تقريباً، ويرى آخرون أنه تصنيف صموئيل، ويرى فريق ثالث أنه تصنيف فينحاس [3].

وسفر القضاة ينسبه البعض إلى حزقيال وبنسبه آخرون إلى عزرا، وفريق ثالث ينسبه إلى فينحاس، وبين عزرا وفنيحاس أكثر من تسعة قرون، وسفر دانيال مما ورد فيه يستحيل أن يكون قد كتب في زمنه حيث عاش دانيال عندما سقطت بابل في يد ملك الفرس قورش سنة ٥٣٨، بل لا بد أنه كتب بعد ذلك بثلاثة قرون للأسباب التالية:-

١- إن هذا السفر يتضمن بعض الكلمات اليونانية المقدونية، مع أن اليهود في زمن أسرهم البابلي لم يكونوا قد خالطوا اليونانيين بعد

---

(١) انظر مبحث «حياة بنو اسرائيل في فلسطين» عهد الملوك.

(٢) J. Smith «god and Man in Early Israel. P.P 34-35

(٣) انظر «إظهار الحق» للعلامة رحمة الله الهندي ص٦٦.

ولا آتت اسماعها اللغة اليونانية.

٢- قد وصف السفر الكلدانيين، ولا يتسنى الأتيان به لكاتب سابق على عصر الكلدانيين.

٣- اقتبس هذا السفر بعضاً من أقوال إرميا وحزقيال وزكريا، مع أن هؤلاء الأنبياء لم يكونوا قد وجدوا إبان الأسر البابلي[١].

يقول وول ديورانت أن أقدام أسفار العهد القديم هو سفر التكوين وقد كتب بعضه في يهوذا وبعضه في إسرائيل ثم تم التوافق بين ما كتب هنا وهناك بعد سقوط دولتي اليهود، الرأي الغالب أن سفر التثنية من كتابة عزرا، ويبدو أن أسفار التوراة الخمسة اتخذت صورها الحاضرة حوالي سنة ٣٠٠ ق.م.[٢].

ويقول ويلس Wells أن للأسر البابلي تاثير كبير على حياة اليهود وكتابة العهد القديم. حيث يذكر أنهم لم يكونوا قبل الأسر شعباً متحضراً ولا متحداً، وربما لم يكن فيهم إلا قلة ضئيلة تستطيع القراءة والكتابة و لم يظهر قط في تاريخهم أن أسفاراً كانت تقرأ قبل الأسر، ولكن الأسر البابلي مدنهم ووحدهم وأبرز حاجة الشعب العبراني إلى جمع تاريخه، ورسم تقاليده وتنميتها فبدؤا يدونون الأسفار من مصادر مختلفة لهدف واحد هو خدمة مستقبلهم فلما عادوا من الأسر، كانوا شعبا يختلف اختلافاً عظيماً عن الشعب الذي خرج ، مما يصدق عليه ما يقوله المؤرخون من أن التوراة

---

[١] انظر «محنة التوراة على أيدي اليهود» لعصام الدين حفني ناصف ص٥٩ — ٦٠.

[٢] وول ديورانت في كتابه «قصة الحضارة» ج٢. ص ٣٦٧ — ٣٦٨.

هي التي صنعت اليهود وليس اليهود هم الذين صنعوا التوراة[١].

هذا ما بين لنا الظروف التي ساعدت على تدوين الأسفار، ولكن كتابها كثيرون ويبرز من بينهم اسم الكاهن عزرا ويذكر «هزمر» Hosmer أن عزرا في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد قاد جماعة من اليهود إلى فلسطين حيث استعاد بها الحياة اليهودية، وهو الذي أبرز أجزاء كثيرة مما سمي فيما بعد بالعهد القديم، وقد أكمل من بعده الكهنة ما بدأه[٢].

وليس مستبعداً نسبة بعض الأسفار المتأخرة إلى من نسبت إليهم، فبعد الأسر وبعد عهد عزرا بدأ عهد التدوين والاهتمام بكتابة الأسفار، فلم جاء عهد تحقيق الأسفار أدخل كثير منها في كتابات العهد القديم. وعلى هذا نجد أن هناك أسفاراً لا زال يرفضها البروتستانت المسيحيون حتى الآن وهناك أسفاراً أخرى يرفضها البروتستانت والكاثوليك ويعترف بها اليهود أو يعترفون ببعضها.

ومن المصادر المهمة للأسفار قرارات المحافل اليهودية، فعلى مر التاريخ كان زعماء اليهود يدفعون بقراراتهم لتصير جزءاً من الأسفار المقدسة. وبعد أن اتخذت الأسفار وضعها النهائي قبيل الميلاد. استمر زعماء اليهود في محاولاتهم تقديس قراراتهم فدفعوها إلى التلمود ثم إلى بروتوكولات حكماء صهيون وكلا الأمرين مقدس عندهم ولا يقل شئناً عن قداسة العهد القديم.

إلى ذلك فقد دخلت الأساطير والخيال وبعض العقائد الوثنية إلى

---

(١) Wells «A Short History of the World. P.P.89 -96-

(٢) J- Hosmer The Jews, P.75-76

– جاء في كتاب إظهار الحق للعلامة رحمه الله الهندي ص ٣٢٨-٣٢٩ أقوال بعض المؤرخين الغربيين التي تقرر أن توراة موسى ضاعت، فأوجدها مرة أخرى بألهام.

– ويبدو أنه بسبب دعوى الإلهام هذه وبسبب جهود عزرا في إعادة بناء الهيكل، سمي اليهود عزراً "ابن اله" كتاب اليهودية" شلبي ص ٢٦١.

أساس العقيدة اليهودية وإلى نصوص الكتب المقدسة عندهم[١].

وفي هذا يقول (ديوارنت) أن أساطير الجزيرة العربية كانت معيناً غزيراً لأسفار العهد القديم ومن هذه الأساطير أخذت قصص الخلق والطوفان والراجح أن اليهود أخذوها من مصادر سامية وسومرية قديمة.

ويقول أن القصص الشعبية العالمية كانت مصدراً من المصادر التي اقتبس منها كتاب أسفار العهد القديم ويضيف أن قصة الطوفان أيضاً كانت واسعة الانتشار في الأدب الشعبي، فلا يكاد يوجد في الأمم القديمة أمة لم تعرفها، وقلما وجد جبل في آسيا لم يرسى عليه راكب السفينة التي قدر له أن ينجو من الطوفان[٢].

كذلك يذكر (ادولف إرمان) Adolf Erman أن الفكر المصري يعتبر مصدراً رئيسياً لأسفار العهد القديم.

ويقول أن حكيماً مصرياً وضع نصائحه في ثلاثين باباً في صورة نصائح والد لولده، وهو نفس الطريق الذي سلكه حكماء الشرق منذ القدم، وقد تكررت هذه الحكم بشكل واضح في سفر الأمثال[٣].

ومن المصـــادر الرئيســـية للعهد القديم، الفكر البابلي[٤]، والمأثورات

---

[١] انظر «تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم» لمحمد عزة دروزة ج٢. ص ١٨٨.

[٢] وول ديورانت «قصة الحضارة» ج٢. ص ٣٦٨ — ٣٦٩.

[٣] انظر كتاب «التوراة» للدكتور فؤاد حسنين ص ٦٨ — ٦٩.

[٤] وقد عثر علماء الحفريات الأثرية على نصوص بابلية، تروى كلا من قصتي الخليقة والطوفـــان وهي نصوص ترجع إلى زمن يسبق عودة اليهود إلى فلسطين بعد السبي ويقول النقـــاد أن اليهـــود استولوا عليها في أثناء أسرهم هي قوام للاصحاحات العشر الأولى من سفر التكوين.

— راجع في هذا الخصوص:

(Wells: The Outline of History. P.P. 275-291)

الفارسية[1]، وتشريع حمورابي[2].

مما تقدم تبين لنا أن الفساد سرعان ما تطرق إلى بني إسرائيل بعد موسى وأن أسفار العهد القديم كتبت متأخرة، أي في عهد الفساد والاضطراب. وأن كتّابها ليسوا هم الذين اسندت لهم هذه الأسفار، وليس الوحي مصدراً لهذه الأسفار، والنتيجة أن اليهود، كتبوا التوراة انعكاساً لأخلاقهم وآمالهم، وكانت لهم أهداف ومقاصد يريدونها، وخاصة تبرئة أنفسهم من العيوب وإلصاقها بغيرهم، وصبغ أنفسهم ونسلهم بالمهتدين، ورمي الآخرين بالضلال.

وهكذا كتبت أسفار العهد القديم باسم الله والله منها برئ، إنها في الحقيقة صدى لأنفعالات اليهود وأحاسيسهم. وبهذا السبب وبسبب كثرة الكتّاب الذين اشتركوا في تدوين العهد القديم، كثرت الأخطاء فيه[3].

---

[1] في خصوص ذلك راجع كتاب «الله» لعباس العقاد ص ١١٧، حيث يقول: قصة الخليقة في العقائد الإسرائيلية الأولى تشابه قصة الخليقة في ألواح بابل، وعقيدة «المخلص» موجودة في الديانة الفارسية وموجودة في الديانة الإسرائيلية... وكان البابليون يؤمنون بأن الإنسان تمرد على قسمة الموت، وطمح إلى خلود كخلود الأرباب، فبحث عن وسيلة يتغلب بها على الفناء».

[2] Jeremias «The Old Testament in the Light of the Ancient East Passim»
- إن القوانين الإسرائيلية في معظمها مأخوذة مباشرة من تشريع «حمورابي» وهو يعود إلى نحو ١٩٤٠ ق.م.

[3] انظر حول ذلك كتاب «اليهودية» للدكتور شلبي، ص ٣٦٦ – ٣٦٨. حيث يذكر بعض الأخطاء التي حصلت في أسفار العهد القديم والتي يصل بها الأمر إلى التناقض مثلاً: وقع في الفقرة الثامنة والعشرين من الزبور الخامس بعد المائة في النسخة العبرانية العبارة التالية: «لم يعصوا كلامه»، وفي النسخة اليونانية جاءت هذه العبارة هكذا: «وقد عصوا كلامه»، وأحدها خطاء يقيناً وقد اعترف بذلك مفسروا العهد القديم من الغربيين.

يعتبر أكثر اليهود التلمود كتاباً متزلاً ويضعونه في مترلة التوراة ويرون أن الله أعطى موسى التوراة على طور سيناء مدونة، ولكنه أرسل على يده التلمود شفاها ولا يقنع بعض اليهود بهذه المكانة للتلمود، بل يرفعون مكانها إلى مرتبة أسمى من التوراة، ويرى البعض أن الخلاص يكون بالاشتغال بالتلمود وليس فقط بالتوراة لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في شريعة موسى.

وتضطرب آراء اليهود أحياناً وهم يضعون التلمود في تلك المكانة، فلا يكتفون بالقول أن التلمود متزل، بل يعلنون أن التلمود وإن كان أقوال الحاخامات، فهو أيضاً في مكانة التوراة، لأن أقوال الحاخامات هي قول الله الحي، وإن الله يستشير الحاخامات عندما توجد مسألة معضلة لا يمكن حلها في السماء[1]، وإذا خالف أحد اليهود أقوال الحاخامات يعاقب أشد العقاب.

لأن الذي يخالف شريعة موسى خطيته قد تغفر، أما من يخالف التلمود فيعاقب بالقتل[2]. **وما يميز العهد القديم عن التلمود: أن العهد القديم هو الذي يضم هذه الأسفار التي كانت فيما ترى اليهودية ثمرة الوحي، أي الشريعة والتعاليم المدونة الآتية عن طريق «يهوه» إلى بني إسرائيل أو شعبة كما يزعمون.**

أما التلمود: فهو هذه الأحاديث الشفوية التي سجلت بعد ذلك، والتي كانت ثمرة النظر، ودراسة الأسفار التي جاءت عن يهوه. وهذه

---

(1) انظر كتاب «الكنـــز المرصود في قواعد التلمود» للفرنسي روهلنج ترجمة د. يوسف نصر الله دار العلوم بيروت ١٩٩٩ ص ٣٢ – ٣٣.

(2) كتاب «الكنـــز المرصود في قواعد التلمود». ص ٨٧.

الدراسة وصلت صورها الكاملة في الفقرة التي تلت سقوط بيت المقدس، أي بعد سنة ٧٠م.

وهذه الفترة تنقسم إلى ثلاث مراحل:

١- **مرحلة المعلمين** (**Tannaim**) وكانوا جميعاً من الفريسين (Pharisees) الذين أقاموا بموضع قرب يافا.

٢- **مرحلة الموضحين** (**Amorain**) وفيها كان التأثير البابلي وذلك حوالي سنة ٢٢٠م. وفيها تم جمع التلمود البابلي في مدرسة سورا Sura، أما المرحلة الثالثة والأخيرة. فهي مرحلة المقررين والتي أكمل فيها التلمود، وتمتاز هذه المرحلة بالبث في المسائل الهامة والبارزة في أمور اليهود، وهذه المرحلة انتهت حوالي سنة ٥٥٠م. ومنذ ذلك الوقت لم يضف شيء إلى التلمود.

وتلت هذه الفترة من تاريخ التلمود فترة أخرى خاصة بزعامة مدرستين ببابل، وعرفت هذه الفترة **بعصر الماجدين** (**Geonim**) وهو اللقب الذي أضفى على رؤوس هاتين المدرستين. وهي من القرن السادس الميلادي إلى النصف الأول من القرن الحادي عشر، وفيه اعترف اليهود بزعماء هاتين المدرستين مرجعاً دينياً.

نشأة التلمود وأثره على اليهود:

ينقسم التلمود إلى جزئين هامين:

١- المشناه Mishnah وهو الأصل (المتن)،

٢- جمارا Gemara، شرح المشناه.

- ومشناه:

أول لائحة قانونية وضعها اليهود لأنفسهم، بعد التوراة، جمعها يهوذا هاناسي Judah Hanasi فيما بين ١٩٠,٢٠٠م، أي بعد قرن تقريباً من تدمير (تيتس) الروماني الهيكل.

- أما جمارا فاتنان:

جمارا أورشليم (فلسطين) وجمارا بابل.

- أما جمارا أورشليم:

هو سجل للمناقشات التي أجراها حاخامات فلسطين (أو بالأخص علماء موارس طبريا) لشرح أصول المشناه، ويرجع تاريخ جمعه إلى عام ٤٠٠م.

- وجمارا بابل:

هو سجل مماثل للمناقشات حول تعاليم المشناه، دونها علماء بابل اليهود وانتهوا من جمعه سنة ٥٠٠م تقريباً.

فمشناه مع شرحه جمارا أوشليم يسمى «**تلمود أورشليم**» ومشناه مع شرحه جمارا بابل يسمى «**تلمود بابل**» وكلاهما يطبع على حدة.

- المشناة:

هو خلاصة «**القانون الشفوي**» الذي تناقله الحاخامات منذ ظهور حركة الفريسيين التابعين لأهواء النفس ونشطت حركتهم بعد ظهور عيسى ابن مريم عليه السلام مما أدى أخيراً إلى تسجيل المبادئ الهدامة التي قامت عليها دعوة الفريسيين التي استنكرها المسيح.

وفي مقدمة كتابه « **شرح المشناه**» كتب الفيلسوف اليهودي موسى

بن ميمون Maimonides ما يلي تعريفاً بالمشناه: «**منذ أيام معلمنا موسى حتى حاخامنا المقدس (يهوذا هاناسي) لم يتفق أحد من علماء اليهود على أية عقيدة من العقائد التي كانت تدرس علانية باسم «القانون الشفهي»، حتى أتى حاخامنا المقدس الذي جمع لأول مرة كل ما يتعلق بالسنة والأحكام والقرارات، وشرح القانون المروي عن موسى-معلمنا- المأمور به في كل جيل**»[1].

نشأة المشناه: مشناه في العبرية «**Learning**» أو «**القانون الثاني**». ويزعم اليهود أنه أنزل على موسى في طور سيناء، فيروي اليهود عن الحاخام ليفي بن شما Chama الذي يروي عن سيمون بن لاكيس Lakish الذي قام مفسراً لما جاء في التوراة «**إنّا سنعطيك ألواح الحجر، وقانوناً ووصايا كتبناها، لتعلمهم**»[2] إن المراد من الألواح: الوصايا العشر، والقانون: هو القانون المكتوب، والوصايا: هي مشناه. «**وكتبناها**» يعني الذي كتبه الأنبياء، كتابات مقدسة (يتناقلها اليهود). «**لتعلمها**» معناه الجمارا، فهذا يعلمنا أن هذا كله أعطي لموسى في طور سينا[3].

يتكون المشناه من ستة مباحث تسمى «**سيداريم**» أي «**أحكام**».
والتلمود يشار إليه أحياناً بكلمة شاس Shass، وهي اختصار للكلمة العبرية، Shishah Sedarium.

ولغة المشناه هي اللغة العبرية الحديثة «**New- Hebrew**» فيها أثر من اليونانية واللاتينية. والجمارا: معناها «**الإكمال**» Completion بدأه

---

(١) Introduction, Hebrew Literature P.P.5.6

(٢) سفر الخروج: الأصحاح: ٢٤: ١٢.

(٣) كتاب الأدب العبري، ص ٣. Hebrew literature, New York 1901

لأول مرة، ابنا الحاخام يهوذا هاناسي: جامالئيل وسيميون، ووضعه في صورته الختامية الحاخام جوس José سنة ٤٩٨م تقريباً.

وفي دراسة لنصوص التلمود يتبين لنا المغالاة والشطط الذي وقع به حاخامات اليهود. ففي نص على لسان الله، يروي التلمود أن الله ندم لما أنزله باليهود وبالهيكل ونهب أولادي.

وفي رأي التلمود أن الله لا يتصف بالعصمة، لأنه غضب مرة على بني إسرائيل فاستولى عليه الطيش، فحلف بحرمانهم من الحياة الأبدية، ولكنه ندم على ذلك بعد أن هدأ غضبه ولم ينفذ قسمه لأنه عرف أنه فعل فعلاً ضد العدالة.

ويقرر التلمود أن الله هو مصدر الشر كما أنه مصدر الخير، وأنه أعطى الإنسان طبيعة رديئة وسنّ له شريعة، فلم يستطع بطبيعته الرديئة أن يسير على نهج الشريعة، فوقف الإنسان حائراً بين اتجاه الشر في نفسه، وبين الشريعة المرسومة إليه، وعلى هذا فإن داود الملك لم يرتكب خطيئة بقتله أوريا واتصاله بأمراته لأن الله هو السبب في كل ذلك [١].

وجاء في التلمود أن الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة، وأن اليهودي جزء من الله، فإذا ضرب أمي إسرائيلياً فكأنه ضرب العزة الإلهية، والفرق بين درجة الإنسان والحيوان، هو بقدر الفرق بين اليهود وغير اليهود، ولليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب وليس له أن يطعم غير اليهودي، والشعب المختار هم اليهود فقط، أما باقي الشعوب فهم حيوانات. ويلزم التلمود بني إسرائيل أن يغشوا من سواهم فقد جاء فيه:

---

[١] التلمود شريعة إسرائيل، ص ١٧-١٩.

يلزم أن تكون طاهراً مع الطاهرين ودنساً مع الدنسين. ويمنع التلمود اليهود أن يحيوا غير اليهود ما لم يخشوا شرهم، ويجيز التلمود استعمال النفاق مع غير اليهود ولا يجيز أن يقدم اليهود صدقة لغير اليهود[١].

وجاء في وصايا موسى: «**لا تسرق مال القريب**»، وفسر علماء التلمود هذه الوصية بجواز أن يسرق اليهودي مال الغريب أي غير اليهودي، فسلب ما له ليس مخالفاً للوصايا، وسار الفكر اليهودي في التلمود على هذا النمو معد سرقة اليهودي مال غير اليهودي استرداداً لأموال من ساليبها.

وقد أجاز التلمود استيلاء اليهود على ثروات العالم بالغش مع غير اليهود في حالة البيع أو الشراء وقال الحاخام «**رشي**» مصرح لليهودي أن يغش غير اليهودي ويحلف له إيماناً كاذبة.

- كما أجاز التلمود استعمال الربا مع غير اليهود فقال: غير مصرح لليهودي أن يقرض الأجنبي إلا بالربا [٢].

- وجاء في التلمود: محرم على اليهودي أن ينجي أحداً من الأمميين من هلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها، بل إذا رأى أحد الأمميين يقع في حمزة لزمه أن يسدها بحجر. وهذا دليل على أنه ليست لأرواح غير اليهود حرمة لدى اليهود.

---

[١] الكنــز المرصود في قواعد التلمود، ص ٥١-٥٥.

[٢] أنظر «التلمود شريعة إسرائيل»، ص ٢٢ والصفحات التي بعدها.

- وينص التلمود أيضاً على أن من العدل أن يقتل اليهودي كل أممي لأنـــه بذلك يقرب قرباناً إلى الله[1].

- وحول المرأة جاء في التلمود، قال موسى: لا تشته امرأة قريبك، فمن يزن بامرأة قريبة يستحق الموت، ولا يعتبر التلمود القريب إلا اليهودي فقط فاتيان زوجات الأجانب جائز، واستنتج من ذلك الحاخام (رشي) أن اليهودي لا يخطئ إذا اعتدى على عرض الأجنبي لأن كل عقد نكاح عند الأجانب فاسد، لأن المرأة التي لم تكن من بني إسرائيل هي كبهيمة، والعقد لا يوجد مع البهائم وما شاكلها، وقد أجمع على هذا الرأي الحاخامات (بشاي وليفي وجرسون) فلا يرتكب اليهودي محرماً إذ أتى امرأة مسيحية، وقال(ميمانود) أن لليهود الحق في اغتصاب النساء الغير مؤمنات أي الغير يهوديات[2].

- وينص التلمود أنه إذا سرق يهودي أجنبياً وكلفت المحكمة اليهودي أن يحلف اليمين حلف زوراً، ويعين التلمود يوماً يسمى يوم الغفران العام، وفيه يمحى كل ما ارتكبه اليهود من ذنوب ومن ضمنها الإيمان الزور[3].

- وبشأن المسيح جاء في التلمود: إن يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم بين القار والنار، وإن أمه مريم أتت به من العسكري «**باندارا**» عن طريق الخطيئة، وإن الكنائس النصرانية هي مقام القاذورات، والواعظون فيها أشبه بالكلاب النابحة، وإن قتل المسيحي من الأمور المأمور بها، وإن العهد مع المسيحي لا يكون عهداً صحيحاً يلتزم اليهودي القيام به، وإن من

---

[1] المرجع السابق، ص ٤٠-٤١

[2] الكنـــز المرصود في قواعد التلمود ص ٧٣.

[3] أنظر الكنـــز المرصود في قواعد التلمود ص ٧٤-٧٦.

الواجب أن يلعن اليهودي ثلاث مرات رؤساء المذهب النصراني وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة لنبي إسرائيل.

العقيدة التلمودية والهندوسية:

هناك تشابه بين معتقدات التلمود والهندوسية، وهذه الجوانب المتماثلة بين العقيدتين تؤكد أن هناك علاقة بينهما ومنها:

١- يعتقد التلمود أن اليهود الذين يرتدون عن دينهم بقتلهم يهودياً آخر. لا يدخلون الجنة وإنما تدخل أرواحهم في الحيوانات والنباتات ثم تذهب إلى الجحيم وتعذب عذاباً أليماً مدة اثنتي عشر شهراً، ثم تعود ثانية لتدخل في الجمادات ثم في الحيوانات، ثم في الوثنيين، حتى ترجع إلى جسد يهودي، بعد تطهيرها[١].

٢-اليهود يقدسون المال إلى أبعد الحدود، والهندوس اتخذوا المال آلهة تسمى «لاكشمي».

٣- اخترع السامري اليهودي عجلاً ليعبده قومه ومن الهندوس من يعبد أو يقدس البقر.

٤- اليهود يعتقدون أن غير اليهود نجسون ولا يمكن لليهودي أن يدخلهم إلى بيته، أو يأكل عندهم، وليس له أن يتعامل معهم إلا بغرض التجارة.

والهندوس أيضاً يؤمنون بنفس العقيدة القاضية بنجاسة غيرهم، بمن فيهم المنبوذون والمسلمون والمسيحيون وغيرهم. ولا يزال الورعون من الهندوس والفلاحون منهم، يباشرون في حياتهم هذه العقيدة، فهم لا يأكلون ولا يشربون مع مؤمني الأديان الأخرى أو المنبوذون ، اللهم إلا

---

[١] المرجع السابق، مبحث أرواح اليهود والمسيحيين.

الذين تعلموا أو تنوروا منهم، وهم لا يزالون قلة.

٥- يرى اليهود أن تربة فلسطين طاهرة، وهم يدفنون المتقين من مواهم في أرض فلسطين منذ القدم وأن لم يتيسر لهم ذلك، يضعون مع الكفن شـــيئاً من التراب جلبوه من فلسطين.

والهندوس أيضاً يفعلون ما يماثل ذلك، فهم يضعون رماد موتاهم في نهر الغانج المقدس، بغض النظر عن أي مكان من الأرض مات فيه هؤلاء، وأن لم يتيسر لهم ذلك يضعون قطرات من ماء النهر الغانج فوق الكفن قبل حرق الجثة.

بروتوكولات حكماء صهيون.[1]:

إن هذه البروتوكولات هي القرارات السرية التي أجمع عليها في مؤتمر بال ١٨٩٧، وتعتبر خطة عمل للانتقام من البشرية جمعاء التي اعتقد اليهود أنها اشتركت كلها بطريق أو بآخر بإذلالهم والنيل منهم.

وقد وقعت هذه القرارات بيد سيدة فرنسية سنة ١٩٠١ وعملت على إرسالها إلى روسيا خوفاً من الانتقام منها وثم نشرها على يد سرجي نيلوس عام ١٩٠٢ باللغة الروسية. وقد ثارت ثورة تيودور هرتزل الذي دعى إلى مؤتمر بال انه قد سرق من «**قدس الأقداس**» بعض الوثائق السرية التي قصد إخفاؤها عن غير أصحابها. وأن ذيوعها قبل الأوان يعرض اليهود في العالم للخطر، فلما ظهرت هذه الوثائق مطبوعة بعد ذلك هب اليهود وأنكروا صلتهم بها وادعوا أنها اختلقت عليهم، ولكن ما حصل من أحداث

---

[1] - أنظر في هذا الخصوص كتاب: «اليهودية» (مقارنة الأديان) لدكتور شلبي ص ٢٧٦-٢٨٨.

بعدها يطابق ما ورد في البروتوكولات، وتماشيا مع مصلحة اليهود و لم يكن ذلك مجرد مصادفة.

عدد البروتوكولات أربعة وعشرين، وهي غير متناسقة ربما أن ما وصل إلى يد السيدة الفرنسية كان جزءاً أو أوراقاً غير متسلسلة، وهدف هذه الوثائق هو إقامة وحدة عالمية تخضع لسلطان اليهود وتديرها حكومة يهودية.

ويمكن تقسيم هذه البروتوكولات إلى قسمين كبيرين:

القسم الأول:

ويبحث في موقف اليهود من العالم قبل تحقيق هدفهم.

ويبحث القسم الثاني:

في موقف اليهود من العالم بعد أن يصبحوا أصحاب السلطان عليه والبروتوكولات العشر الأول تتبع القسم الأول تقريباً.

أما باقي البروتوكولات فتتبع القسم الثاني.

من أهم ما يعني به اليهود قبل تكوين الحكومة اليهودية العالمية:

- أعداد الشعب اليهودي للسلطان، وتثبيت الاعتقاد بأن اليهود هم شعب الله المختار وهم أبناء الله وأحباؤه، لا يتقبل العبادة إلا منهم ونفوسهم مخلوقة من نفس الله وعنصرهم من عنصره.

- وغيرهم « **الغوييم** »[1] خلقوا ليخدموا اليهود و لم يمنحوا الصورة

---

[1] الناس عند اليهود قسمان: يهود وغوييم أو «أمميون» أي كفرة وثنيون. وقد ورد ذلك في القرآن الكريم حيث جاء في سورة آل عمران الآية ٧٥: «بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل» حيث سماهم القرآن أميين.

البشرية إلا بالتبعية لليهود ليسهل التعامل بين الفئتين إكراماً لليهود، فاليهود أصلاء في الإنسانية، والغوييم أتباع فيها.

- يرى اليهود في المرحلة الأولى تمزيق الأوطان والقضاء على الشعوب وإفساد نظم الحكم وإغراء الملوك والحكام باضطهاد الشعوب وإغراء الشعوب بالتمرد على سلطة الحكام ونصوص القانون.

- ويعمل اليهود في هذه المرحلة بنشر الإباحية والفوضوية، وتقويض الأسر ويدفعون الناس للشهوات والانحلال، والبعد عن كل القيم الإنسانية.

- وتهتم البروتوكولات بأن يسيطر اليهود في هذه المرحلة على الصحافة ودور النشر، وجميع وسائل الإعلام، ويستعمل اليهود المال وسيلة من أكبر وسائلهم.

وإذا تحقق انتصار اليهود، فإنهم يقيمون مملكة استبدادية تحكم العالم كله. مقرها أورشليم فإذا استطاعت هذه الحكومة أن تسقط كل الحكومات في العالم تنتقل العاصمة إلى روما، حيث تستقر إلى الأبد، ويتعاقب على العرش حكام من ذرية داود.

أنبياء بني إسرائيل:

يذكر القرآن الكريم أنبياء بني إسرائيل بصورة طيبة، ويدعونا للإيمان بهم وبما أنزل عليهم من الله من آيات بينات.

بينما نجد التوراة المحرفة تطعن بالأنبياء وتحط من مكانتهم ومن مكانة عقيدتهم.

وعلى هذا سنعرض أولاً لأنبياء بني إسرائيل أو أكثرهم ، فيصورهم في

صورة كريمة طبقاً للقانون الإلهي في اختيار أنبيائه ورسله ﴿ **الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس**﴾[1]. فصفات الرسل واحدة، وأنبياء بني إسرائيل ككل الأنبياء هم صفوة أخيار، لهم جميعاً صحة العقول، والصدق في القول، والأمانة في تبليغ ما عهد إليهم أن يبلغوه، والعصمة من كل ما يشوه السيرة النبوية.

وحتى يكون البحث دقيقاً سنعود في بحثنا إلى أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام ومن ثم إلى إسماعيل – اسحق – يعقوب – يوسف – موسى – هارون – داود – سليمان.

ونورد ما ذكره القرآن الكريم من آياته عنهم:-

إبراهيم: –

يقول الله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ۝ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ۝ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ۝ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۝ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ۝ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ۝ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝ رَبِّ هَبْ ... وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۝ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ۝ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[2].

ويقول تعالى في سورة مريم: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا

---

[1] سورة الحج الآية ٧٥.

[2] سورة الشعراء الآيات ٦٩ – ٨٩.

نَّبِيًّا ۝ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ۝ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ۝ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴾ [1].

ويقول في سورة إبراهيم:

﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [2].

مما تقدم نرى أن القرآن الكريم قد وصف إبراهيم وصفاً جميلاً ووضعه في مكانة سامية بين الأنبياء، ويقول الباحثون[3] في وصف إبراهيم عليه السلام «**أن العقيدة الحقة تغلغلت في نفسه، واستولت على فكره، واستغرقت كل خطوات قلبه، وملكت عليه مشاعره ووجدانه، فهو يستهين بالنار يلقى فيها، ويتقبل كل عذاب دون أن يتراجع أو يتقهقر، وقد كانت ثورته على الأصنام كلامية وعملية، وكان دفاعه عن عقيدته قوياً دون أن يهاب سطوة ملك أو تجمهر جماهير، وهو مع هذا كان رقيق القلب يحاول أن يستغفر لأبيه مع علمه بضلاله**».

إسماعيل وإسحاق:

كانت سارة زوجة إبراهيم عقيماً لا تلد، وأحزنها ذلك كثيراً وقد أصبحت متقدمة في السن، فأشارت على زوجها أن يدخل بأمتها (هاجر)

---

[1] سورة مريم الآيات ٤١ — ٤٤.

[2] سورة إبراهيم الآية ٣٥.

[3] عبد الوهاب النجار. «قصص الأنبياء» ص ١٥١ — ١٥٢.

التي قدمها لها حاكم مصر[1] ورغبت أن تلد له هاجر يكون فرحاً لأبنه وقرة عين، فلبى إبراهيم ونفذ رغبتها. فأنجبت هاجر غلاماً اسماه إسماعيل ولكن لم تبق الحال على ما عليه من الود فالغيرة نهشت قلب سارة حتى تم إبعاد هاجر وابنها إلى مكان بعيد واستقر بهم الحال في ارض جرداء، وتركهم إبراهيم ولكنه بقي يفد إليهم من حين لآخر حتى رأى في منامه رؤيا أنه يذبح ولده ويورد القرآن الكريم الرؤيا.

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۞ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ۞ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۞ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۞ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ۞ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ۞ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ۞ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۞ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۞ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۞ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ ﴾[2].

ومن سياق الآيات نرى أن الله تعالى قد نجى إسماعيل من الذبح وفداه، وهذا دليل على أن الذبيح كان إسماعيل وليس إسحاق كما تذكر التوراة.

وقد جاء في الآيات ذكر البشارة بإسحاق بعد قصة الذبيح إسماعيل وتذكر الآيات البشارة بمولد إسحاق وأنه سيكون نبياً وبأنه سيكبر ويولد هل ولد يسمى يعقوب يقول تعالى:

---

[1] انظر «قصص القرآن» لمحمد جاد المولى ص ٥٢-٥٣ – وكتب التاريخ الإسلامي.

[2] سورة الصافات الآيات ١٠٢ – ١١٣.

﴿وَبَشَّرْنَـٰهُ بِإِسْحَـٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [1] ويقول أيضاً: ﴿فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [2] والتناقض فيما ترويه التوراة عن قصة الذبيح وتخصيصه بإسحاق يتبين مما ورد في سفر التكوين «إن الله امتحن إبراهيم فقال له يا إبراهيم فقال هائنذا، فقال: خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق، واذهب إلى جبل الموريا واصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك...» [3].

ونسب هذا الأمر إلى إسحاق غير صحيح فإسحاق لم يكن ابناً وحيداً لإبراهيم إذ ولد وكان عمر إسماعيل أربع عشرة سنة كما تقول التوراة وقد عاشا معاً حتى مات إبراهيم ودفناه معاً في مدينة حبروية (الخليل) [4].

يعقوب ويوسف:

يذكر القرآن قصة يوسف ويضع يعقوب في مكانة سامية من الحكمة والثبات:

يقول تعالى في القرآن الكريم على لسان يوسف: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَـٰجِدِينَ ۝ قَالَ يَـٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [5].

---

[1] سورة الصافات الآية ١١٢.

[2] سورة هود الآيات ٧١ — ٧٤.

[3] سفر التكوين الاصحاح الثاني والعشرين — الفقرات ١ — ٣.

[4] سفر التكوين الاصحاح الخامس والعشرين — الفقرات ١ —٣.

[5] سورة يوسف الآيتان ٤ — ٥.

﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾[1].

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ... ﴾[2].

ويصف الله تعالى في القرآن الكريم يوسف – في سورة مسماة باسمه – بالعلم والحكمة والعفة وضبط النفس، قال تعالى:

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۞ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[3].

﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ۞ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[4].

موسى وهارون:

لقد أورد القرآن الكريم قصة موسى وهارون في عدة مواضع وقص الله تعالى حكاية موسى ورعايته له منذ طفولته المبكرة فقد أنشأه نشأة طيبة، واصطفاه لرسالته وجعل هارون سنداً له بناء على رجاء موسى ودعم دعوته بالمعجزات وحماه وقت الصعاب.

---

[1] سورة يوسف الآية ١٨.

[2] سورة يوسف الآية ٨٦.

[3] سورة يوسف الآيات ٢٢ – ٢٤.

[4] سورة يوسف الآية ٣٣ – ٣٤.

قال تعالى:

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [1].

﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [2].

﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۞ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ۞ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ۞ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ۞ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ۞ هَٰرُونَ أَخِى ۞ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ۞ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ۞ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۞ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۞ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ۞ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [3].

﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۞ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [4]..

وقد تعرض موسى عليه السلام لإيذاء بني إسرائيل، واتهم باتهامات فقيل أنه اتهم بقتل هرون أخيه وقيل أنه دبرت ضده مؤامرة ليرمى بالزنا في حفل من الناس ، وقد تصدى القرآن الكريم لهذه الافتراءات ودافع عن

---

[1] سورة القصص الآية ٧.

[2] سورة القصص الآيتان ١٥ — ١٦.

[3] سورة طه الآيات ٢٤ — ٢٦.

[4] سورة الأعراف الآيتان ١٤٤ — ١٤٥.

موسى وأثبت براءته.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [1].

داود:

لقد حبا الله داود بالفضل والنعم فمنحه النبوة والملك. وقد ذكر الله تعالى داود في القرآن الكريم في عدة آيات حيث يقول:
﴿ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾ [2].
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًاۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۞ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِۖ وَٱعْمَلُواْ صَـٰلِحًاۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [3].

﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۞ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ۞ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةًۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۞ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ [4].

وقد ورد في القرآن الكريم قصة حول داود والملكين الذين تسورا المحراب يختصمان أمامه وقد حكم لهما داود ولكن الله عاتبه فاستغفر الله وتاب عليه [5].

---

[1] سورة الأحزاب الآية ٦٩.

[2] سورة البقرة الآية ٢٥١.

[3] سورة سبأ الآيتان ١٠ — ١١.

[4] سورة ص الآيات: ١٧ — ٢١.

[5] هذا حول قصة داود وأحد رعاياه «اوريا» وامرأة اسمها «سابغ» وقد صور بنو اسرائيل اتصال داود بسابغ في صورة الزنا، وصوروا داود بأنه دبر مؤامرة ليتخلص من زوج أوريا، انظر سفر صموئيل الثاني الاصحاح الحادي عشر.

والقصة أن «اوريا» قد خطب «سابغ» لتكون زوجة له، ولكنه استدعي للقيام بواجبه في الحرب قبل أن يتم الزواج بسابغ وطالت الحرب وطال غياب أوريا عن خطيبته، وقد رأى داود سابغ في هذه الفترة، فخطبها من أهلها فاستجابوا لطلبه، وقد تم زواجه بها وولدت له سليمان. ونتيجة ما حصل عوقب داود بطريق غير مباشر إذ تسور عليه ملكان بصورة رجلين يشكو أحدهما الثاني بأنه له تسع وتسعون نعجة وطمعاً بالآخر يريد أن يضم نعجته الوحيدة إلى نعاجه، وقد أبدى الشاكي أساليب الخداع في الفصاحة والنفوذ ليحصل على مأربه، وقد حكم داود في ذلك بأنه ظلم لا بد أن يقاوم، وابتسم الملكان ابتسامة، واختفيا، ووراءهما صوت ينبعث مستغرباً: لماذا إذاً ضممت «سابغ» إلى عشرات النساء عندك وحرمت منها «اوريا». وهنا انتبه داود وأدرك أنه قد زل، فأنكب على استغفار الله ويرجوه المغفرة، فغفر الله له.

يقول الله تعالى في ذلك:

﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ۝ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ۝ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ۝ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ۝ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾[1].

---

[1] سورة ص الآيات ٢١ – ٢٥.

سليمان:

ذكر القرآن الكريم سليمان عليه السلام وذكر أفضال الله عليه ونعمه وهو وريث داود نبياً وملكاً.

يقول تعالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ۝٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ۝٧٩ وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ۝٨٠ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ ۝٨١ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴾[1].

ففي هذه الآيات يذكر المفسرون ما ورد فيها حول حكم داود وسليمان في الحرث فيقولون إن زرعاً ناضجاً أكلته ليلاً غنم لقوم، فشكا أصحاب الزرع غرماءهم إلى داود وكان حاضراً في المجلس سليمان فحكم داود بالغنم لأصحاب الزرع عوضاً عن التلف. قال سليمان: غير هذا أرفق فسئل ماذا يرى فقال تدفع الغنم لصاحب الزرع عاماً ينتفع بألبانها وأشعارها وأولادها، وفي خلال هذا العام تدفع الأرض لصاحب الغنم ليعيد زرعها وتنميتها. وبعد العام يسترد كل ماله. وأخذ داود بما قال به سليمان.

- ومن أفضال الله على سليمان ما ذكره القرآن الكريم:

﴿ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ

---

[1] سورة الأنبياء الآيات ٧٨ – ٨٢.

شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ۝ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[1].

-﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[2].

هذا ما ذكره الله تعالى في آيات القرآن الكريم عن أنبياء بني إسرائيل، وقد وصفهم بالقادة الصالحون والرسل المصطفون الذين ناضلوا وكافحوا ضد البغي والشر في بني إسرائيل ليسيروا هم في طريق الحق والهداية، ولكن بني إسرائيل كانت قلوبهم قاسية فحادوا عن الطريق وصموا آذانهم عن الإرشاد الآلهي وضلوا السبيل واتهموا الأنبياء زوراً وبهتاناً وقتلوا العديد منهم.

أنبياء بني إسرائيل كما وردت في التوراة ومراجعهم:

ورد في تاريخ بني إسرائيل عدد من الأنبياء ولكن بعض هؤلاء كان من المتنبئين يحاولون قراءة قلوب الناس والتنجيم، ويتقاضون على ذلك أجراً ولهذا صاح بهم حزقيال: قل للذين هم أنبياء من تلقاء ذواتهم اسمعوا كلمة الرب، هكذا قال الرب: ويل للأنبياء الحمقى الذاهبين وراء روحهم، ولم يروا شيئاً، أنبياؤك يا إسرائيل صاروا كالثعالب في الخرَب... رأوا باطلاً وعرافة كاذبة، القائلون وحى الرب، والرب لم يرسلهم...[3].

---

[1] سورة النمل الآيتان ١٦ – ١٧.

[2] سورة سبأ الآيتان ١٢ – ١٣.

[3] حزقيال. الاصحاح ١٢: الفقرات ٢ – ٦.

أما الأنبياء الكبار المعتدّين في ذلك العهد فهم: -

إشعيا: (٧٢٩ - ٦٨٨ ق.م).

وعنه يقول «ويش» Weech: كان إشعيا من سكان أورشليم، وهو ينتمي إلى الطبقات العليا بين السكان ويحتمل انتسابه للأسرة المالكة، وقد بدأ نبوءته بالرؤيا التي قصها في السفر المنسوب إليه، ومن نبوءاته التي تحققت سقوط السامرية، وهجوم سنحريب على أورشليم، وهو أول من وضح أن «يهوه» إله عالمي. وأن الممالك كلها أدوات في يده، وهو يدفع إحداها لتقتص من الأخرى على ذنب وقعت فيه واشعيا أول من تنبأ بمجيء المسيح [1].

وقد كان اشعيا يحمل على من يتظاهرون بالورع، مع جمع الأموال والسيطرة على الأقوات وحرمان الفقراء.

أرميا: (٦٥٠ - ٥٨٠ ق.م.)

تنبأ بسقوط أورشليم، ونادى بالخضوع لملوك بابل، فأضطهده اليهود واعتدوا عليه، وكان أرميا شديد الحقد على قومه يدافع عن بابل ويعلن في الملأ أنها سوط عذاب في يد الله، ويتهم حكام يهوذا بأنهم بلهاء معاندون، وينصحهم بأن يسلموا أمرهم كله إلى نبوخذ نصر، حتى ليكاد من يقرأ أقواله في تلك الأيام أن يتهمه بالخيانة الوطنية، وأن يظن أنه من صنائع بابل المأجورين [2].

---

(١) Weech: Civilization of the Near East. P.90.

(٢) وول ديورانت «قصة الحضارة» ج٢ ص ٣٥٨.

ويقول Weech[1] عن أرميا إنه كان رجلاً مثقفاً فصيحاً، وقال أرميا بأن الدين مسألة عقيدة، وليست مسألة طقوس وقد ذهب إلى مصر بعد سقوط أورشليم[2].

حزقيال: (القرن السادس ق.م)

عاصر فترة سقوط مملكة يهوذا. وكان من رجال الدين، وكان يلجأ إليه كثير من الناس ليعرفوا منه أمر المستقبل، وكانت تنبؤاته كئيبة توحي بالتشاؤم من المستقبل وكان الناس لا يهتمون له في بادئ الأمر ثم التفوا حوله بعد أن تحققت نبؤته عن تدمير أورشليم، وينسب له أنه نقل الفكر اليهودي من عهد يهوه إلى ما هو عليه الآن. ورفض القول بأن الأبناء يؤخذون بذنوب آبائهم، وأعلن أن كل إنسان يؤخذ بذنبه فقط واهتم حزقيال بالطقوس الدينية، وقال بالبعث والحساب وبالمسيح الذي سيجيء من نسل داود ويصبح ملكاً لليهود[3].

دانيـــال:

ويشتهر سفره بالمنامات التي أعلنت مستقبل الشعب اليهودي، ووعدهم بالخلاص على يد المسيح.

إبراهيم وإسحق:

جاء في سفر التكوين «حدث جوع في الأرض فانحدر إبرام إلى مصر ليتقرب هناك لأن الجوع في الأرض كان شديداً، وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراى امرأته: إني قد علمت أنك إمرأة حسنة المنظر،

---

(١) Civilization of the Near East. P.90.

(٢) انظر سفر أرميا: الاصحاح ٢٧: الفقرات ٥ – ١٠.

(٣) Civilization of the Near East. P. 90-91.

فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته، فيقتلوني ويستبقونك، قولي أنك أختي ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك، وحدث لما دخل إبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جداً فمدحوها لدى فرعون فأخذت إلى بيت فرعون فصنع إلى إبرام خيراً بسببها وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال، فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي إمرأة إبرام، فدعا فرعون إبرام وقال ما هذا الذي صنعت بي؟ لماذا لم تخبرني أنها إمرأتك؟ لماذا قلت أنها أختي حتى أخذتها لتكون لي زوجة؟ والآن هو ذا امرأتك خذها واذهب[1].

كذلك حرص كتبة التوراة على القول أن إبراهيم كان يحابي ابنه اسحق وأنه أورثه كل ما كان له، أما بنو السراري اللواتي كن لإبراهيم فقد أعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم عن اسحق ابنه شرقاً إلى أرض المشرق وهو بعد حي[2]. وإذا كان واضعوا التوراة قد حرصوا على أبعاد إسماعيل فيمن أبعدوا، فقد نسوا ذلك وعادوا فذكروا ما يدل على أن إسماعيل ظل بجوار أبيه حتى موته، واشترك اسحق في دفنه[3].

يعقـــــوب:

وتذكر التوراة الخداع والمكر الذي جرى بين أبناء إسحاق في تولي الأمر بعده والمكائد التي صاغوها وكيف سيطر يعقوب على ميراث أبيه ثم كيف حقد ابن إسحاق عيسو على أبيه وساعده خاله على الهرب وهناك خطب له ابنته «راحيل» ثم غشه خاله وأدخل عليه ابنته الكبرى «ليئة» بدلاً عنها. فلما غضب يعقوب لذلك طالبه خاله بالعمل لديه سبع سنين

---

(1) سفر التكوين: الاصحاح ١٢: الفقرات ١٠ — ١٩.

(2) التكوين: اصحاح ٢٥: ٥ — ٦.

(3) الاصحاح السابق — الفقرة ٩.

أخرى كي يزوجه ابنته الصغرى راحيل ففعل، ثم تتحدث التوراة عن لقاء يعقوب أخيه عيسو وإن الأخير كان كريماً معه فركض للقائه وعانقه[1].

وحول تصرفات يعقوب هذه كما وردت في التوراة يقول «سميث» Smith «ولا نجد بحال من الأحوال وسيلة لقبول تصرفات يعقوب، فقد كان واضحاً أنها غير عادلة وكان يسلك مختلف السبل وينتهز كل الفرص لينال حقوق أخيه، كان مستعداً أن يستعمل أساليب المكر والختل والحيل ليحقق أهدافه، فيعقوب بهذا يعتبر نموذجاً حقيقياً لأخلاق اليهود، وعلى هذا تعتبر تسميتهم باسمه ميراثاً دقيقاً، فقد ورثوا عنه أكثر مما ورثوا عن إبراهيم الذي كان رجل عقيدة وإيمان أكثر منه رجل ختل ودنيا» [2].

كما وإن التوراة تروي أحداثاً عجيبة تجري في بيت رسول يستغربها العقل الحق، ومن هذه الأحداث أن زوجة يعقوب (راحيل) كانت وثنية، حتى بعد أن مضت عدة سنوات على زواجها منه، وقد بلغ بها الحال أنها سرقت أصنام أبيها وفرت بها هاربة من بيت أبيها مع زوجها إلى فلسطين[3].

كذلك تروي التوراة أحداث أخرى منها أن رأو بين ابن يعقوب البكر زنا «ببلهة» زوجة أبيه وأم أخويه دان ونفتالى، وشاع هذا الخبر حتى سمعه يعقوب[4]. وأحداث مماثلة[5].

---

(1) التكوين. الاصحاحان: ٣٢ و ٣٣.

(2) J.W.D. Smith: «God and Man in Early Israel P.P.15-17.

(3) سفر التكوين الاصحاح ٣١: الفقرة ١٩.

(4) التكوين: ٣٥: ٥٢٣.

(5) التكوين: الاصحاح: ٣٤.

موسى أبطأ في النزول من الجبل، اجتمع الشعب على هرون وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا، لأن هذا موسى، الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه، فقال لهم هرون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها. فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هرون، فأخذ ذلك من أيديهم، وصوره بالأزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً، وقال: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر، وبنى مذبحاً أمامه، ونادى هرون وقال غداً عيد الرب، فبكروا في الغد، وأصعدوا محرقات، وقدموا ذبائح سلامة، وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب»[1].

داود وسليمان:

جاء في سفر راعوث أن نسب داود ليس إسرائيلياً خالصاً واسم هذا السفر مقتبس من اسم امرأة من مؤاب اسمها راعوث، والقصة أن إسرائيلياً من بيت لحم ومن سبط يهوذا نزح إلى مؤاب مع زوجته وولديه تحت ضغط الجوع، ثم مات الرجل، وبعد فترة تزوج الولدان من فتاتين من مؤاب إحداهما اسمها (عرفة) والثانية اسمها (راعوث). ثم مات الولدان. وارادت أمهما العودة إلى بيت لحم فحاولت أرملتا ابنيها العودة معها، ولكن المرأة نصحتهما بالذهاب إلى أهلهما. فقبلت عرفة ورفضت راعوث، وأصرت على أن تصحب حماتها. وفي بيت لحم تزوجت راعوث رجلاً من أقارب حماتها اسمه (بوعز)، فولدت له ولدا سمي (عوبيد). وكبر هذا وتزوج وولد له ولد سمي (يسىّ) وهو والد داود[2].

كذلك بالعودة إلى ما ذكرناه في قصة داود عن أوربا — نذكر

---

(1) سفر الخروج الاصحاح: ٣٢: ١ — ٦.

(2) سفر راعوث.

موسى وهرون:

يقول (هزمر) Hosmer أن مكانة موسى جاءت من كفاءته التي استطاع بها أن يقود بني إسرائيل ويخرجهم من مصر، ثم من مقدرته على إملاء التوراة التي كانت قانون هذه الجماعة بعد أن لم يكن لها قانون، كما كانت القاعدة التي قام عليها بناء الدولة من الناحية السياسية[١].

ومن أبرز ما ترويه التوراة من أحداث تتصل بموسى وبربه وشعبه، مسألة سرقة بنو إسرائيل حلي المصريين تنفيذاً لوصية الرب التي أوصى بها موسى وبلغها هذا إلى قومه فعملوا بها[٢]. وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى طلبوا من المصريين أمتعة فضة، وأمتعة ذهب، وثياباً، وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم، فسلبوا المصريين[٣].

وفي تعليقه على هذا النص يقول (دروزة) «مهما كان من أمر فإن تسجيل هذا الخبر بهذا الأسلوب يدل على ما كان وظل يتحكم في نفوس بني إسرائيل من فكرة استحلال أموال الغير وسلبها بأية وسيلة ولو لم تكن حالة حرب ودفاع عن النفس، كما أنه كان ذا أثر شديد بدون ريب في رسوخ هذا الخلق العجيب في ذراريهم ثم فيمن دخل في دينهم من غير جنسهم»[٤].

أما هرون – فحسب ما جاء في التوراة – قد استجاب لقومه حينما استبطأوا موسى وطلبوا منه أن يقيم لهم إلهاً يعبدونه، «ولما رأى الشعب أن

---

(١)

James Hosmer. The Jews P.14

(٢) سفر الخروج: الاصحاح: ٣- الفقرتان ٢١ – ٢٢.

(٣) الخروج ا لاصحاح ١٢: الفقرات ٣٥ – ٣٦.

(٤) محمد عزة دروزة: «تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم». ج١١ ص ٧٨ – ٧٩.

القصة كما أوردها الكتاب المقدس: «أرسل داود قائده يؤاب وجنوده ومن بينهم جندي اسمه أوريا، فخربوا بني عمون وحاصروا ربه، وأما داود فأقام في أورشليم، وفي المساء قام داود عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح إمرأة تستحم للطهارة من طمثها وكانت جميلة المنظر جداً، فارسل لها داود وأخذها ودخل بها، وعندما جاء موعد الطمث لم تحض، فأدركت أنها حملت من داود إذ كان زوجها بعيداً في المعركة فأرسلت إلى داود، وقالت أني حبلى، فأرسل داود إلى يؤاب يقول أرسل إلى اوريا، فأرسله، فسأله داود عن سلامة يؤاب وسلامة الشعب ونجاح الحرب، وقال داود له: انزل إلى بيتك واغسل رجليك، ولكن اوريا لم يذهب إلى بيته ونام على باب الملك مع عبيد سيده، ولما عرف داود ذلك سأله عن السبب فأجاب أوريا: إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام، وسيدي يؤاب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء، وأنا آتي إلى بيتي لآكل وأشرب واضطجع مع امرأتي؟ وحياتك لا أفعل هذا الأمر. فقال داود لأوريا: أقم هنا اليوم أيضاً وغداً أطلقك، وفي الصباح كتب داود مكتوباً إلى يؤاب وأرسله مع أوريا، وفي هذا المكتوب يقول داود: اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت، ففعل يؤاب، ودفع أوريا وجماعة معه حتى دنوا من سور المدينة ثم تقهقر يؤاب عنهم فماتوا جميعاً، وأرسل بذلك إلى داود، وقال يؤاب للرسول: إن غضب الملك لأننا دنونا من المدينة وتعرض رجالنا لمقذوقات السكان من خلف الأسوار؟ فقل له: إن أوريا قد مات. فلما سمعت امرأة أوريا أن بعلها قد مات ندبته، ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له إمرأة وولدت له ابناً هو (سليمان) ويختم الاصحاح بقوله: وأما الأمر الذي فعله داود فقبح في عيني الرب»[1].

---

(1) سفر صموئيل الثاني: الاصحاح الحادي عشر، سفر صموئيل الثاني: الاصحاح الثالث عشر.

ولما آل الملك إلى سليمان، قتل جميع منافسيه ليستريح من متاعبهم، ولكن عمله هذا لم يغضب الرب، لأن الرب أحب الملك الشاب ووهبه حكمة لم يهبها أحداً من قبله ولا من بعـــــده[١]. ويذكر سفر الملوك الأول أيضاً أنه قتل أخاه أدونيا، وقتل يؤاب قائد جيشه وهو ممسك بقرون المذبح مستجيراً وقتل شمعي أحد كبار الرجال في مملكة أبيه.

وينسب الكتاب المقدس انحرافات دينية لسليمان: «وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون، مؤابيات، وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحيثيات، ومن الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة وكان له سبعمائة من النساء السيدات، وثلاثمائة من السراري، فأمالت نساؤه قلبه، وكان في زمان سيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، و لم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه فذهب سليمان وراء عشتروت آلهة الصيدونيين. وملكوم رجس العمونيين، وعمل سليمان الشر في عيني الرب، و لم يتبع الرب تماماً كداود أبيه، حينئذ بني سليمان مرتفعاً لمولك رجس بني عمون، وهكذا فعل لجميع نسائه العربيات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن، فغضب الرب على سليمان، لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين وأوصاه في هذا الأمر لا يتبع آلهة أخرى فلم يحفظ ما أوصى به الرب[٢].

هذه صورة عما ورد في الكتاب المقدس حول أنبياء بني إسرائيل وهي محفوفة بالاتهام والتشنيع وهي دليل واضح على طبيعة وأهواء من نصّ الكتاب المقدس.

---

[١] سفر الملوك الأول: ٢: ٢٨.

[٢] سفر الملوك الأول: الاصحاح ١١: ١ — ١٠.

وبقية عبادة العجل تتجدد في حياة بني إسرائيل مرات عدة [1]. كما عبد بنو إسرائيل الحية [2].

عبادة «يهوه»:

إن الصفات التي ذكرها اليهود ليهوه تبعده كل البعد عما يتصف به الإله عند أي جماعة من جماعات المتدينين، وتجعله هذه الصفات لا مرشداً وهادياً، وإنما تجعله يمثل انعكاساً لصفاتهم واتجاهاتهم. «**ويبدو أن الفاتحين اليهود عمدوا إلى أحد آلهة كنعان فصاغوه في الصورة التي كانوا هم عليها وجعلوا منه إلها**» [3].

إن صفات الإله «يهوه» تتشابه مع صفات الإنسان إنه في السماء يجلس على العرش محاطاً بالملائكة الذين يقومون بخدمته.

ومن صفاته الحسية أنه كان يسير أمام جماعة بني إسرائيل في عمود سحاب... جاء في سفر الخروج: «**وارتحلوا من سكوت، ونزلوا في إيثام طرف البرية، وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق، وليلاً في عمود نار ليضيء لهم**» [4].

ومن الأوصاف البشرية المحضة ليهوه تذكر التوراة «**ثم صعد موسى وهرون وناداب وابيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل، ورأوا إله إسرائيل**

---

(1) فقد عمل يربعام بن سليمان عجلي ذهب ليعبدهما اتباعه حتى لا يحتاجوا إلى الذهاب إلى الهيكل (سفر الملوك الأول الاصحاح ١٢: ٢٦ – ٢٨). وعبد أهاب ملك إسرائيل الأبقار بعد سليمان بقرن واحد.

(2) سفر الملوك الثاني الاصحاح ١٨: ٤.

(3) ظهر على آثار كنعانية تعود إلى ٣٠٠٠ سنة ق.م. اسم إله كنعاني يسمى «ياه أو ياهو» فيهوه ليس خالقاً لهم وإنما هو مخلوق لهم.

(4) سفر الخروج الاصحاح ١٣: ٢ – ٢١

عقيدة اليهود:

لقد أهمل بنو إسرائيل المصدر الحقيقي للعقيدة وهو وحي السماء واتبعوا مصادر أخرى، فقد حدث لنبي إسرائيل أحداث خطيرة ومروا بظروف مختلفة ولم يستطيعوا في أي فترة من فترات تاريخهم أن يستقروا على عبادة الله الواحد الذي دعا له الأنبياء، وتعد كثرة أنبيائهم دليلاً على تجدد الشرك فيهم، كذلك كانت الحاجة إلى أنبياء يجددون الدعوى إلى التوحيد، ولكن لم تجد هذه الدعوى آذاناً صاغية وقبولاً. فاليهود كانوا في مطلع ظهورهم على مسارح التاريخ بدواً رحلاً تسيطر عليهم الأفكار البدائية كالخوف من الشياطين والاعتقاد في الأرواح، وكانوا يعبدون الحجارة والأغنام والأشجار»[١].

وقد ظل بنوا إسرائيل على هذا الاعتقاد حتى جاء موسى وخرج بهم من مصر. «**وقد حاول موسى أن يكوّن أمة من الجماعات التي تبعته**»[٢] ولكن بني إسرائيل «**لم يتخلوا قط عن عبادة العجل الذهبي لأن عبادة العجول كانت لا تزال حية في ذاكرتهم منذ كانوا في مصر. وظلوا زمناً طويلاً يتخذون هذا الحيوان القوي آكل العشب رمزاً لإلههم.**

وتقرر التوراة قصة العجل الذي عمله لهم هرون فعبدوه بعد أن تأخر موسى في العودة إليهم، وكيف خلعوا ملابسهم وأخذوا يرقصون عراة أمام هذا الرب، وقد أعدم موسى ثلاثة آلاف منهم عقاباً لهم على عبادة هذا الوثن»[٣].

---

(١) J. Shot Well «The Religions Revolution of today. P.30.

(٢) Foster Kent «A History of the Hebrew People. P.42.

(٣) سفر الخروج: الاصحاح ٢٢: ١٨ — ٢٦.

وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف، وكانت السماء في النقاوة، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل[1]**....«فيصنعون لي مقدساً لأسكن في وسطهم»**[2].

ويطلب يهوه من بني إسرائيل أن يرشدوه، فقد قرر « **أن يجتاز في أرض مصر هذه الليلة ويضرب كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم**[3]، **ولكنه يريد أن ينأى ببني إسرائيل عن ضرباته، لذا طلب منهم أن يميزوا بيوتهم بدماء الكباش المضماة، بل ليجعلوا الدم على القائمتين والعتبة العليا في البيوت**[4].

والإله **«يهوه»** يأمر بني إسرائيل بالسرقة **«أن تطلب كل امرأة منهم من جارتها أو من نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين»**[5].

وكان بنوا إسرائيل يرون ما ينالونه من نصر على أعدائهم منحة يهوه إليهم، كما يرون أن ما يقع عليهم من هزائم ليس إلا انتقاماً من يهوه يتزله بهم لمخالفتهم أوامره [6].

وتصور التوراة أن لموسى مونه على يهوه وســـلطان، ينصحه فينصح

---

(1) سفر الخروج الاصحاح ٢٤: ٩ – ١١.

(2) سفر الخروج الاصحاح ٢٥: ٨.

(3) سفر الخروج الاصحاح ١٢: ١٢.

(4) الخروج: ١٢: ٤.

(5) سفر الخروج الاصحاح ٣: ٢٢.

(6) بالمقارنة مع ما جاء في القرآن يقول الله تعالى: «إن الحسنات يذهبن السيئات» سورة القارعـــة الآية ٩. ويقول تعالى في سورة الزمر الآية ٥٣: «إن الله يغفر الذنوب جميعاً». فإله المسلمين غفور رحيم بعكس وعيد الرب يهوه لبني إسرائيل.

ويتخذ موسى موقف المرشد المعلم، فمن ذلك أن يهوه غضب على بني إسرائيل وقال لموسى: «اتركني ليحمى غضبي عليهم وأفنيهم... فراجعه موسى وقال له: ارجع عن حمو غضبك، وأندم على الشر أن توقعه بشعبك. ماذا يقول عنك الناس إذا سمعوا بفعلتك؟... فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه[1].

يقول غوستاف لوبون حول معبودات بني إسرائيل التي تأثروا بها من جيرانهم أن اليهود لم يستعيروا من جيرانهم في الاتجاهات الدينية والاجتماعية إلا أحط ما كان عندهم. «فعندما خرج هؤلاء البدويون الذين لا أثر للثقافة فيهم، من باديتهم ليستقروا بفلسطين وجدوا أنفسهم أمام أمم قوية متمدنة من زمن طويل فكان أمرهم كأمر جميع الأجناس المتخلفة التي تكون في أحوال مماثلة، فلم يقتبسوا من تلك الأمم العليا سوى أخس ما في حضارتها، أي لم يقتبسوا غير عيوبها وعاداتها أو دعارتها وخرافاتها، فقدموا القرابين لجميع آلهة آسيا، قربوا لعشتروت، ولبعل ولمولك من القرابين ما هو أكثر جداً مما قدموه لإله قبيلتهم «يهوه» العبوس الحقود الذي لم يثقوا به إلا قليلاً من الزمن على الرغم من كل إنذار جاء به أنبيائهم[2].

أهمية يهوه في العقيدة اليهودية:

بدأت مرحلة عبادة «يهوه» عندما دعى موسى إليه وهو عنده الإله الواحد ورمز له باسم «يهوه» أي السيد[3] ، ولكن بني إسرائيل لم

---

(1) سفر الخروج الاصحاح ٣٢: ١٠ – ١٤

(2) غوستاف لوبون: «اليهود في تاريخ الحضارات الأول» ص ٢٠.

(3) لا يعرف بالتحديد متى ظهر اسم يهوه أول مرة والمرجح أنه كان بعد أن استوطن اليهود أرض كنعان. ومعنى هذا الاسم سر مجهول، وقد يكون معناه «أنا الذي (هو أنـــا)» أو «الخالـــد». وفي كتاب الفرس المقدس يقول أهورا مزدا لزرادشت «أنا الذي هو أنا» وفي «كتاب المـــوتى» يرمـــز قدماء المصريين إلى الحياة بكلمة «عنخ» ومعناها «ذاك الذي يعيش».

لفرعون هكذا يقول الرب إله إسرائيل أطلق شعبي ليعبدوا لي في البرية»[1].

ولم يدع قط أنه إله البشر أجمعين، بل هو على النقيض من ذلك أقر بأن ثمة آلهة آخرين وأبدي غيرته منهم، فالوصية الأولى من الوصايا العشر تساعد على فهم ذلك فيهوه فيها يقول: «**أنا الرب الهك الذي أخرجك من أرض مصر بيت العبودية، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي**»[2] فيهوه في هذه الوصية لم يقل أنه هو الإله الوحيد في العالم، بل اتجه بكلامه مخاطباً بني إسرائيل وقال لهم إن بني إسرائيل يجب ألا يكون لهم آلهة سواه [3]. فشعب إسرائيل لم يعرف الإله الواحد. إله الخلق أجمعين، لم يعرف هذا الإله ولم يعبده ولم يثبت على ميثاقه، وإنما كان يعبد إلهاً يسميه إله إسرائيل، ويحسب أن هذا الإله يميزه ويختاره على عامة الخلق لغير طاعة ولا إيمان، ولا فضيلة ولا إحسان، ولكنها وثيقة كتبها شعب إسرائيل على إلهه منذ القدم، وهذا الإله مسؤول عنها كما يسأل المدين عن القرض ورباه، لقد كان إلههم إله عشيرة واحدة يسميها عشيرته وشعبه، وتسميه هي ربها وإلهها دون العالمين»[4].

وتبعا لذلك كان ممنوعاً على غير اليهود أن يقبلوا في الجماعة اليهودية وأن يدينوا بالولاء لرب بني إسرائيل، فقد نصت التوراة على التالي: «**لا يدخل منهم أحد في جماعة الرب إلى الأبد**»[5].

---

(1) سفر الخروج. اصحاح ٥: ١.

(2) سفر الخروج اصحاح ٢٠: ١ –٢.

(3) انظر «قصة العقائد» لسليمان مظهر، ص ٣٣.

(4) Kent: «History of the Hebrew people. P. 204.

(5) سفر التثنية. اصحاح ٢٣: ٣.

يستجيبوا لموسى استجابة حقيقية، فلقد عبدوا العجل في حياة موسى وبعده.

وكما جاء في سفر الخروج فيهوه إلهاً للنار وذلك ما جعله يتراءى لموسى في شجيرة مشتعلة «وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة. فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق»[١].

كان النطق باسم «يهوه» محظوراً إلا في المقامات الخاصة «لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً لأن الرب لا يبرئ من ينطق باسمه باطلاً...»[٢].

وقد انتابت دين اليهود تغييرات تترى لم تقتصر على أن استبدلت باسم إبرام مؤسس هذا الدين اسم إبراهيم وباسم الجماعة القومي «إسرائيليون» اسم يهود بل شملت كذلك اسم الله، فكان: «الوهيم» في قصة نوح، «الشداي» في قصة إبرام. «يهوه» في قصة يعقوب.

وقد لقب هذا الإله نفسه في بادئ الأمر بـ «إله إبراهيم واسحق ويعقوب» وقال الله أيضاً لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل، يهوه إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب ارسلني إليكم»[٣].

ثم أصبح يلقب نفسه بـ «إله العبرانيين» تدخل أنت وشيوخ بني إسرائيل إلى ملك مصر وتقولون له الرب إله العبرانيين التقانا»[٤].

ثم بإله إسـرائيل. « **وبعد ذلك دخل موسى وهرون وقالا**

---

[١] سفر الخروج الاصحاح ٣: ٢.

[٢] سفر الخروج الاصحاح ٢٠: ٧.

[٣] سفر الخروج. الاصحاح ٣: ١٥.

[٤] سفر الخروج. الاصحاح ٣: ١٨.

الآخرة والبعث في عقيدة اليهود:

اليهودية ليست عقيدة أو نظاماً من العقائد يتوقف على قبولها الفداء أو الخلاص في المستقبل، ولكنها نظام للسلوك البشري، وناموس البر الذي يتحتم على الإنسان اتباعه[1]. فالجزاء في العقيدة اليهودية على ذلك يكون حسب الأعمال لا حسب الاعتقاد. «فاليهودية تهتم بالأعمال ولا تعنى بالإيمان. وتبعاً لذلك من الواضح ألا تتكلم عن الآخرة والبعث والحساب، فقلما يشير اليهود إلى حياة أخرى بعد الموت، ولم يرد في دينهم شيء عن الخلود. وكان الثواب والعقاب يتم في الحياة الدنيا. ولم تدر فكرة البعث في خلد اليهود إلا بعد أن فقدوا الرجاء في أن يكون لهم سلطان في هذه الأرض ولعلهم أخذوا هذه الفكرة عن الفرس، أو لعلهم أخذوا بعضاً منها عن المصريين، ومن هذه الخاتمة الروحية ولدت المسيحية[2].

ولم يرد في كتب اليهود شيء عن البعث واليوم الآخر، وإنما ورد حديث عن الأرض السفلي والجب التي يهوي إليها العصاة ولا يعودون وإن الذي ينزل إلى الهاوية لا يصعد[3].

ولكن باتصال اليهود مع ديانة الفرس (الزرادشتية) خلال الأسر البابلي اقتبس اليهود الاعتقاد في حياة أخرى بعد الموت، ولأول مرة عرفوا أيضاً أن هناك جنة وناراً فنقلوا ذلك الاعتقاد إلى دينهم[4]. وفي هذه الأجواء بدأ إشعيا كلامه الذي يشير إلى يوم البعث وإلى الحساب

---

(1) The Jewish Encyclopaedia.

(2) وول ديو رانت: «قصة الحضارة» ج ٢ ص ٣٤٥.

(3) Arthur Hertzberg «Judaism» P.205 : يقول إن الكتاب المقدس نفسه يعد الحياة الدنيا وحدها هي عالم الإنسان وليس هناك اعتقاد بعد ذلك من بعث أو جنة أو نار.

(4) سليمان مظهر: «قصة العقائد. ص ٣١٨.

والجزاء[1]، كما أخذ دانيال يحذر الناس ويذكرهم بيوم البعث، ويقول في ذلك: «**كثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار، إلى الازدراء الأبدي**»[2] ويرى الباحث الفرنسي «**جنيبير**»[3] أن «**يوم الرب**»، بالمعنى الذي قصده الأنبياء، معنى التهديد والوعيد والانتقام من العصاة وفي مقدمتهم الشعب الإسرائيلي نفسه، هذا اليوم كان موضع تهكم وسخرية من الكثيرين، وكانوا يرون أنه بعيد جداً، وأطلقوا عليه لتأكيد هذا البعد الاسم العبري «**أحريت هيّاميم**» التي معناها، آخرة الأيام أو «**الآخرة**» أو «**اليوم الآخر**»، وهو يوم لم تذكر التوراة عنه شيئاً، لا على عهد موسى ولا عهد القضاة، على الأقل في النص الموجود بين أيدينا. وكأن اليهود بإطلاقهم اسم «**آخرة الأيام**»، أو نحو ذلك، لم يكونوا على أدنى شبه بما استعمله المسيحيون أو المسلمون، الذين يؤمنون بالآخرة، وبأنها قريبة جداً، فاليهود يسخرون كما قلنا من بعدها مما اضطر نبيهم حزقيال[4] إلى مهاجمتهم بسبب ذلك في قوله: «**وكان إليّ كلام الرب قائلاً، يا ابن آدم، ما هذا المثل السائر بينكم على أرض إسرائيل إذ تقولون، ستطول الأيام، وتخيب كل رؤيا. لذلك قل لهم، هكذا قال السيد الرب، أني مبطل هذا المثل فلا يعودون يتمثلون به في إسرائيل، بل قل لهم قد اقتربت الأيام، وكلام كل رؤيا. لأنه لن تكون من بعد رؤيا باطلة، ولا عرافة مشتبهة في وسط بني إسرائيل. لأني**

---

(1) إشعيا يقول في الاصحاح ١٣: الفقرات ٦ -٩: «ولولوا فإن يوم الرب قريب قادم من لدن القدير قدوم اجتياح. لذلك تسترخي كل يد ويذوب كل قلب لإنسان فيفزعون ويأخذهم الطلق والمخاض ويتضورون كالتي تلد، ويحملن بعضهم إلى بعض ووجوههم مثل اللهيب، هو ذا يوم الرب قد حضر، يوم قاس فيه سخط وغضب مضطرم، ليجعل الأرض خراباً، ويبيد منها مذنبيها.

(2) سفر دانيال: الاصحاح ١٢: الفقرة ٢.

(3) Ch. Guignebert: «Le Monde Juif vers le temps de Jésus», Paris 1950.Chapter 4. P.P. 162. 55.

(4) سفر حزقيال: الاصحاح ١٢: الفقرات ٢١ وما بعدها.

« أنا الرب إلهكم الذي ميزكم عن الشعوب ، تكونون لي قديسين لأني قدوس، أنا الرب وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لي»[1].

«إنك يا إسرائيل شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض، ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق بكم الرب واختاركم، ولا لأنكم أقل من سائر الشعوب، بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم» [2].

وفي هذا الاختيار يقول الباحث Arthur Hertzberg أنه في سيناء عندما تجلى الله لموسى ولبني إسرائيل تم زواج بين الله وبين إسرائيل، وسجل عقد الزواج بينهما، وكانت السماوات والأرض شهوداً لهذا العقد[3].

إنه لمن المستغرب أن تصل الأمور إلى هذه الدرجة من الوصف لعلاقة الله العلي القدير خالق الكون ومدير الأمر بشعب خلقه ليعبده، فتصل بهم درجة اسفاف إلى وصف علاقتهم به بعقد زواج.

ويرى اليهود أن امتياز الشعب اليهودي هو في الوقت نفسه مسؤولية عليهم، وعدم رعايتهم هذه المسؤولية بأمانة وصدق يجعلهم هدفاً للانتقام، وعلى هذا يفسرون ما نزل بهم من ضر بأنه عقاب لهم على عدم حملهم الأمانة، وعدم سيرهم بمقتضى هذا الامتياز[4].

---

[1] سفر لاويون: الاصحاح ٢: ٢٤ — ٢٦.

[2] سفر التثنية: اصحاح ٧: ٦ — ٨.

[3] Arthur Hertzberg: Judaism P. 119.

[4] المصدر السابق ص ١٣.

أنا الرب أتكلم، والكلمة التي أتكلم بها تتم ولا تؤخر من بعد، بل في أيامكم يا أيها الجنس المتمرد، أتكلم بالكلمة وأتممها، يقول السيد الرب».

على أن اليهود عندما تكلموا عن الآخرة، لم يكونوا في أكثر الأحوال يعنون ما تعنيه الأديان الأخرى من وجود دار للحساب على ما قدم الإنسان في الحياة الدنيا إنما كانوا يعنون بها شيئاً آخر، فالشعب اليهودي عند الباحثين قسمان:

قسم عاش حياته الدنيا سعيداً حراً وهؤلاء يعدهم الفكر اليهودي قد حصلوا على الجانب المادي من رضا إلههم، أما القسم الآخر وهم الذين فقدوا هذا الجانب وعاشوا تحت سلطان الغوييم أو عاشوا في المنفى مشردين فهؤلاء يرى الفكر اليهودي أن من حقهم أن يعودوا للحياة مرة أخرى لينالوا نصيبهم من المتعة أو النعيم[1].

وعلى العموم فإن فكرة البعث لم تجد لها أرضاً خصبة في عالم اليهود، وقد حاول بعض طائفة الفريسيين القول بها، ولكن هذه المحاولة لقيت معارضة شديدة، أما باقي الفرق اليهودية فلم تعرف عنها شيئاً[2].

الشعب المختار والمخلص:

من الأسس التي قامت عليها اليهودية فكرة الشعب المختار. يروى أن يهوه قطع وعداً لإبراهيم بأن يفضل الشعب اليهودي جميع الأجناس[3]. ومن نصوص التوراة في هذا الخصوص:

---

(1) Ch. Guignebert: Le Monde Juif vers le Temps de Jésus.

(2) المصدر السابق ص ١٢٠.

(3) Wells: the Outline of History vol: 2. P.P. 291

واستنادا إلى مبدأ الاختيار نتج مفهوم آخر وهو عقيدة المخلص فاليهود وجدوا أنفسهم والبلاء نزل بهم والنكبات تحل عليهم ليسوا خيرة البشر كما زعموا، ولا صفوة الخلق كما أملوا، فأتجه تفكيرهم في عصورهم اللاحقة إلى منقد ومخلص لينقذهم من هذا الواد السحيق ويرفعهم إلى المكانة التي أرادوها. وأطلقوا على هذا الملخص «**المسيح المنتظر**».

وتأتي فكرة انتظار المخلص، أو المسيح، مقترنة بفكرة تجديد العهد مع الرب أو فكرة «**العهد الجديد**» عندئذ تتجدد أمة الله، لتصبح جديرة بالله، وعندئذ تصير أورشليم مدينة لا مثيل لها بين المدائن، يقيم فيها الرب على جبل صهيون، ويتجمع فيها المشردون من بني إسرائيل، وتزول فيها الأحقاد، بل يموت منها الموت نفسه[١].

وقد وصف اليهود «**المسيح المنتظر**» بأنه رسول السماء، والقائد الذي سينال الشعب المختار بهديه وإرشاده ما يستحقه من سيادة وسؤدد[٢]. ومن وصف Guignebert يتضح أن المسيح المنتظر ليس إنساناً عادياً بل هو إنسان سماوي وكائن معجز خلقه الله قبل الدهور، ويبقى في السماء حتى تحين ساعة إرساله، وعندما يرسله الله يمنحه قوته، وهو يحمل لقب «**ابن الإنسان**» أي أنه سيظهر في صورة الإنسان[٣] وإن كانت طبيعته تجمع بين الله وبين الإنسان[٤].

ويرى Wells أن فكرة المسيح عند اليهود كانت خطوة طبيعية ناشئة عن خطوات سبقتها. وتلك الخطوات هي الاعتقاد بأن الخلق أجمعين ليسوا من أبناء إبراهيم، وإنما هم أمم وقبائل، وإن الشعب اليهودي أرقى هذه

---

[١] انظر سفر إشعيا الاصحاح ٢٥: الفقرات ٦ — ١٠.

[٢] Ch. Guignebert: Le Monde Juif vers le temps de Jésus p. 140.

[٣] المصدر السابق ص ١٤١.

[٤] James Hosmer «Tthe Jews P. 85»

الأجناس وتلك الأمم، وأن الههم يهوه أعظم وأقوى آلهة القبائل خطرا، ونشأت من هذه الأفكار الثلاثة فكرة المسيح المنقذ رجاء أن يحقق لليهود ما ترامى به الزمن من وعود يهوه التي طال الأمد عليها[1].

وقد ورد بعض الفقرات في سفر إشعيا تتحدث عن المسيح المنتظر:

- **«ها العذراء تحبل وتلد ابناً»**[2].

- **«يولد لنا ولد، ونعطى ابناً، وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيباً، ويكون إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام...»** [3].

ومرت فترة طويلة دون أن يجيء المسيح الذي ينتظره اليهود. وانتهز بعض اليهود فرصة هذا الترقب فأدعى كل منهم أنه المسيح، ويسجل التاريخ أخباراً لمسيح كاذب من حين إلى حين[4].

أحكام من فقه الشريعة اليهودية:

نورد بعضاً من الأحكام التي تميز شريعة اليهود عن غيرها:

في الزواج: تعتبر العزوبية لليهودي أو اليهودية أمراً منافياً للدين. «فكل يهودي يجب عليه أن يتزوج. وإن الذين يبقون عزاباً يتسببون في أن تخلى الله عن شعبه إسرائيل»[5]. «فالزواج فرض على كل إسرائيلي»[6].

---

(1) Wells: The Outline of History vol. 2. P.292.

(2) سفر إشعيا. الإصحاح السابع: ١٥.

(3) سفر إشعيا. الاصحاح التاسع: ٦ – ٧ والاصحاح الحادي عشر: ١ – ١٢.

(4) Margolis and Marx: A Histroy of the Jewish People P.259

(5) Jean de Pauly: «Code civil et Pénal du Judaisue: Paris, 1896.

(المادة ٣٩٣) من التشريع المدني والجنائي في الفقه اليهودي.

(6) كتاب الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية للإسرائيليين. لبن شمعون، مطبعة كوهين وروزنتال مصر ١٩١٢. (المادة ١٦).

كما ويحرم الزواج بين اليهود وغيرهم، ويسمى غير اليهود في كتب الشريعة الإسرائيلية «كفّار» يستوي في ذلك المسلمون والمسيحيون والوثنيون والزنادقة. «فالزواج المعقود بين يهودي وكافرة أو العكس باطل، والحياة الزوجية القائمة بينهما تعتبر فجوراً وزناً مستمرين والأولاد الذين يولدون من هذه المعاشرة المرزولة يعتبرون أبناء زنا» [1] «كذلك الدين والمذهب شرط لصحة العقد، فإذا كان أحد الاثنين من غير الدين أو من مذهب آخر فلا يجوز العقد بينهما وإلا كان باطلاً» [2].

ومن أوضح الأمثلة على عنصرية اليهود وخصوصاً في مجال الأحوال الشخصية.

«إذا ارتد الإسرائيلي ثم تزوج شرعاً بإسرائيلية صح العقد، كذلك إذا ارتدت الإسرائيلية ثم تزوجت بإسرائيلي» [3] ومعنى ذلك أن الزواج عندهم ليس فرعاً من الإيمان كما هو عند المسلمين أو المسيحيين، بل هو فرع من العصبية العنصرية، فالإسرائيلي يبقى كذلك حتى ولو كفر، وكذلك الإسرائيلية.

ويجوز للإسرائيلي الزواج ببنت أخيه أو بنت أخته، ولكن العكس محرم فلا تتزوج المرأة بابن أخيها أو ابن اختها.

وتعدد الزوجات جائز شرعاً عند اليهود، ولم يرد بتحريمه نص واحد، لا في الكتاب المقدس ولا في التلمود، وكانت العادة جارية بين اليهود على اتخاذ أكثر من زوجة، وليس في الدين أيضاً حد أقصى لتعدد الزوجات، فقد كان مباحاً لليهودي أن يتخذ من النساء ما طاب له بلا قيد

---

(١) التشريع المدني والجنائي المادة ٣٩٦.

(٢) المادة ١٧ من الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية.

(٣) المرجع السابق المادة ١٩.

أو شرط. ولكن في العصور الوسطى ظهر الحاخام الفقيه «جرشوم بن يهودا» المولود في (Metz) بإقليم اللورين في فرنسا سنة ٩٦٠م والمتوفي في مدينة (هاينس) بألمانيا سنة ١٠٤٠م،فأفتى بوجوب تحريم تعدد الزوجات بين اليهود[1]. ولكن اجتهاده لم يحظ بالتطبيق القانوني المتفق عليه في المجالس المالية ومحاكم الأحوال الشخصية لليهود في أوروبا إلا حوالي سنة ١٢٤٠م.

رغم ذلك فقد ظل تعدد الزوجات بين اليهود منتشراً سراً أو علناً، قروناً طويلة بعد هذا التاريخ في كثير من بلدان آسيا وإفريقيا. وقد ذكر «دي بولي»[2] في المادة ٢٩٥ أنه «بالرغم من كون تعدد الزوجات حلالاً في الدين، فإنه قد صدرت الفتوى بتحريمه من الحاخام جرشوم بسبب المطالب الباهظة للحياة الحاضرة التي تجعل القيام بأمر زوجة واحدة، فضلاً عن زوجات عدة أمراً صعباً، وكل يهودي يخالف فتوى الحاخام جرشوم فإنه يقع تحت عقوبة التكفير والخلع والطرد من المجتمع الإسرائيلي»[3].

ومن الطريف في الشريعة اليهودية أن أرملة اليهودي الذي توفي و لم ينجب منها، يجب تزويجها لأخيه الأعزب على وجه الإجبار، فإذا أنجب منها فالمولود يحمل اسم أخيه الميت وينسب إليه، وإذا امتنع أخو المتوفي عن هذا الزواج فإنه يشهر به ويخلع من المجتمع الإسرائيلي.

---

(١) كانت هذه الفتوى مبنية في الأساس على ما كانت تلاقيه الجاليات اليهودية في أوروبا في العصور الوسطى من احتقارواضطهاد بسبب تعدد الزوجات فيها.

(٢) «التشريع المدني والجنائي في الفقه اليهودي». جان دي بولي.

(٣) وفي المادة ٥٤ من كتاب بن شمعون «لا ينبغي للرجل أن يكون له أكثر من زوجة، وعليه أن يحلف يميناً على هذا حين العقد، وإن كان لا حجر ولا حصر في متن التوراة».

وفي المادة ٥٥ «إذا كان الرجل في سعة من العيش ويقدر أن يعدل، أو كان له مسوغ شرعي، جاز له أن يتزوج بأخرى». وهنا واضح أن الشريعة اليهودية تتلون بالشرائع المجاورة لها فالحاخام جرشوم يبدو مسيحياً في اتجاهه نحو التحريم البات للتعدد، بحكم كونه يعيش في المجتمع الأوروبي الكاثوليكي، بينما نجد بن شمعون يتأثر بالشريعة الإسلامية، بحكم معيشته في مصر، فلا يتشدد في المسألة رغم أن الفارق تسعة قرون بينه وبين فتوى جرشوم.

ومن العصبية العنصرية في التشريع اليهودي، ما يخص الابن البكر فإن «البكر المولود وابوه أجنبي عن المللة لا يعد بكراً، وإذا عاد إلى المللة وولد فلا بكورة أيضا»[1].

وتبرز هذه العصبية أكثر في المادة التالية[2]. «البكر من الجارية أو الأجنبية لا يمنع البكورة من الإسرائيلية بعدها». وهذا الاجتهاد مقصود به نفي البكورة عن جد العرب إسماعيل عليه السلام في النسبة والميراث من إبراهيم عليه السلام[3]..

وفي التشريعات الخاصة بالأموال والممتلكات نجد أن الربا محرم بين اليهود بعضهم وبعض فقط، وعقوبة المخالف لذلك التكفير والخلع، بينما يباح الربا إذا أقرض اليهودي لغير اليهودي مالاً. ولكن حبهم للمال دفعهم للتحايل حتى على تحريم الربا فيما بينهم فالمادة ٥٨٤ من التشريع المدني والجنائي التي ترجمها دي بولي تقول «محرم على اليهودي أن يقرض اليهودي مالاً أو غيره من الأشياء التي يحتاج إليها كالقمح أو الدقيق مثلاً بالربا وأن المقرض بالربا يتعرض تلقائياً للخلع والطرد وتعود المادة التالية ٥٨٥ فتقيد تحريم الربا بما يعطيه اليهودي من قرض لأخيه اليهودي ليواجه به ضرورات ملحة لا قبل له باحتمالها». «أما إذا اقترض اليهودي نقوداً من يهودي آخر بقصد الاستثمار، أو التوسع في التجارة، أو تنفيذ بعض المشروعات التي تدر ريعاً فإن الذي يقرضه المال يمكنه أن يفرض عليه نصيباً في الأرباح يتفق عليه».

---

[1] المادة ٥٠١ من الأحكام الشرعية لبن شمعون.

[2] المادة ٥٠٢ من نفس المصدر.

[3] إسماعيل ولد قبل اسحق فهو الابن البكر لإبراهيم ولكنه مولود من هاجر الجارية المصرية فكان الاجتهاد لابن الزوجة التي توصف بأنها عبرية سارة حتى تستقيم نظرية شعب الله المختار.

وفي الطعام والشراب يحل من الحيوانات ذوات الأربع كل ما له ظلف مشقوق وليست له أنياب ويأكل العشب ويجتر. ويحرم الخنزير بالرغم من اظلافه المشقوقة لأنه ذوناب. وتحرم السباع كلها لأنها ذات مخالب وأنياب. ولحم الأرانب وما يتصل بها من القوارض آكلة العشب حرام لأنها ذات أظافر لا أظلاف مشقوقة.

ويحرم من الطيور كل ما له منسر أو مخلب، ويشترط في الحيوانات والطيور الأليفة أن تكون سليمة من الكسور والأمراض وتذبح من منحرها بالطريقة الشرعية بعد تلاوة بركة تتضمن اسم الله، بشكل يقارب القواعد الإسلامية.

والدم محرم على اليهود كتحريمه على المسلمين.

ولا يجوز لهم الجمع بين اللحم واللبن والحليب أو أي شيء يمت إليه بصلة في طعام واحد. فحرام طبخ اللحوم في السمن أو الزبدة بل يجب طبخها في زيوت نباتية.

المذاهب والفرق في اليهودية:

إن السواد الأعظم من اليهود، هم الربيون أو الربانيون، نسبة إلى «رب» وهم الذين أبقوا باب المقدسات مفتوحاً على مصراعيه من بعد موسى، بل بعد السبي البابلي. حيث دخلت منه المرويات الشفوية والاجتهادات والفتاوى، وغيرها من النصوص الدينية التي تضمها المشنا والقلمود.

وجمهور اليهود هذا ينقسم إلى طائفتين كبيرتين: الاشكناز والسفرديم.

١- الاشكناز: هم اليهود الذين استقروا في شمال أوروبا وشرقها، وقد فقدوا القدرة على استعمال اللغة العبرية فلما عادوا إلى الاهتمام باللغة العبرية كان لهم لهجة خاصة ألمانية قديمة محرفة امتزجت بمفردات من لغات أخرى، ويختلفون عن غيرهم من اليهود ببعض طقوس الأعياد وبعض التقاليد في المأكل والمشرب والملبس والمسكن، واليهود الاشكناز هم أقطاب الصهيونية الحديثة.

٢- السفرديم: وهم اليهود الذين استقروا في حوض البحر المتوسط وقد فقدوا أيضاً اللغة العبرية في شتاتهم وتكلموا لهجة إسبانية قديمة ركيكة محرفة وقد كان هؤلاء أسعد حظاً حيث استفادوا من دخول المسلمين إلى إسبانيا فأزدهرت حياتهم الدينية والثقافية والاجتماعية. وقد انتعشت اللغة العبرية. ويهود العالم العربي هم بطبيعة الحال من السفرد.

إلى جانب هاتين الطائفتين وجدت فرق ومذاهب أخرى انبثقت من التطور المستمر في الفكر الديني اليهودي.

الفريسيـــون:

ومعناها المنعزلون والمنشقون وقد أطلقت عليهم وهم يرفضون هذه التسمية ويسمون «**الأحبار**» أو «**الأخوة في الله**». أو الربانيين[١].

ويعتقد هؤلاء أن التوراة مدونة في ألواح مقدسة أوحي بها إلى موسى، ويعتقدون في البعث، والقيامة، والعالم الآخر، والملائكة، وأكثرهم

---

(١)

Le Monde, Juif vers le Temps de Jesus» - 154.
Guignebert: «the Jewish World in the time of Jesus. P 154.

يعيشون بالزهد والتصوف، ويأخذون بالتبني وهو وسيلتهم للمحافظة على وجودهم ولا يقدمون قرابين في المعابد.

ويعتقد هؤلاء أنه إلى جانب التوراة هناك توراة شفوية تناقلها الحاخامات ثم دونت وهي التلمود. وقد أعطوا العصمة للحاخامات استناداً إلى قولهم «**ويلتزم المؤمن بأن يعتبر أقوال الحاخامات كالشريعة لأن أقوالهم هي قول الله الحي، فإذا قال الحاخام أن يدك اليمنى هي اليسرى وبالعكس، فصدق قوله ولا تجادله...**»[1].

ويعتقد هؤلاء أن دولة اليهود لا بد أن تستعيد مكانتها، ولذلك كانوا يؤمنون بالمسيح الذي يجيء ليعيد ملكوت الله»[2].

وقد صورهم كاتبو الأناجيل في صورة معارضة للمسيح ووضعوهم في موضع معاد له[3]وقد انحرفوا عن سنن أسلافهم واستهوتهم الحياة الدنيا ببريقها، وتأثرت مكانتهم فتخلى عنهم أكثر أتباعهم.

الصدوقيـــون:

ويرى البعض نسبتهم إلى الكاهن الكبير في عهد سليمان صادوق أو إلى كاهن آخر بنفس الاسم في القرن الثالث قبل الميلاد[4].

وهم ينكرون البعث والحساب والجنة والنار، ويرون أن جزاء الإنسان يتم في الدنيا، فالعمل الصالح ينتج الخير والبركة لصاحبه، والعمل السـيئ

---

(١) من نصوص التلمود.

(٢) Guignebert: «Le Monde Juif vers le temps de Jesus p. 167

(٣) المصدر السابق ص ١٦٥.

(٤) Laurence Browne: «From Babylon To Bethlehem p.85.

يسبب لصاحبه الأزمات والمتاعب[1].

وينكر الصدقيون «**التلمود**» وحتى أن التوراة ليست مقدسة مطلقاً وينكرون وجود الملائكة والشياطين، والخلود الفردي، ولا يقولون بالقضاء والقدر ويؤمنون بحرية الاختيار، ويرون أن الأفعال مخلوقة للإنسان لا لله، وينكرون كذلك المسيح المنتظر ولا يترقبونه.

القــراءون:

وكانوا يمثلون القلة بين اليهود، ولكن كثر أتباعهم بعد تدهور حال الفرنسيين فورثوهم.

وهم لا يعترفون إلا بالعهد القديم كتاباً مقدساً، ويأخذون بالاجتهاد ويمكن أن يصححوا خطأ السلف، ومن ذلك خطأ تحليل بنت امرأة الأب مع وضوح تحريمها بنص الآية الخامسة من آيات المحارم.

الكتبــــة:

وتطلق هذه التسمية على فئة من اليهود كانت مهنتهم كتابة الشريعة لمن يطلبها، فهم النساخ، واتخذوا الوعظ وظيفة أخرى إلى جانب كتابة الشريعة. وكانوا يسمون أحياناً بالحكماء وأحياناً السادة، «**Rabbis**»، وقد أنشأ كل واحد من هؤلاء مدرسة أصبح لها راعياً ومعلماً. وقد اغتنى هؤلاء من جراء عملهم هذا واشتغالهم في كتابة الشريعة.

المتعصبــون:

هذه فرقة من فرق اليهود التي تتفق مع الفرنسيين في أكثر عقائدهم

---

(1) المصدر السابق ص ٨٥.

كالقول بالمسيح المنتظر وكالحماسة الوطنية والميل للعبادة، ولكن هذا الفريق امتاز بعدم التسامح، بل بالعدوانية ضد المواطنين الذين اتهموا باللادينية.

وقد بلغ من حماستهم، أنهم كانوا يرتكبون جرائمهم علناً في الطرقات، ويغتالون دون تردد كل من يرون أن القضاء عليه سيحقق لهم هدفهم، وبهذا أطلق عليهم «**السفاكون**» **«Assassins»**[1].

---

(١)

Guignebert: Le Monde Juif vers le temp de Jesus P.169-170

الفصل الثالث

المسيحية

أخذت الدعوة الإسلامية موقفاً حاسماً من اليهودية لا سيما في ما يتعلق بخصوصية الشعب اليهودي وادعائه أنه شعب الله المختار وفي ما يخص السيد المسيح عليه السلام وأمه مريم اللذين أصابهما الذم والتحقير والشتم من قبل اليهود وكهنتهم.

فعلى عكس المفهوم اليهودي الذي جعل من رب العالمين رباً خاصاً يرعى مصلحة شعب واحد وعرق واحد، جاء الإسلام حاملاً رسالة الله إلى الشعوب كافة ومختلف العروق على تباين ألوانها وتعدد لغاتها وثقافاتها دون أي تمييز بينها. يقول تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1].

كما وأنه اتجه إلى الناس بوضوح ﴿ **قل يا أيها الناس أني رسول الله إليكم جميعاً**﴾[2].

وكون الله رب الناس جميعاً دعاهم على أن يكونوا إخوة ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ ﴾[3].

ولأن الناس مهما كانت أصولهم فكلهم منبثقون من عرق واحد لأنهم ينحدرون من نفس الذكر ومن ذات الأنثى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا

---

(1) سورة سبأ الآية ٢٨.

(2) سورة الأعراف الآية ١٥٨.

(3) سورة الحجرات الآية ١٠.

﴿ خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [1].

كان لهذه المبادئ التي دعى إليها الإسلام وخصوصاً مبدأ الإنسانية عموماً أكبر الأثر على بني إسرائيل «الشعب المختار» إذ قلب الإسلام كل المقاييس المتعارف عليها، باتخاذه السلوك والأخلاق والتقوى والورع أساساً لتصنيف البشر بدل العرق أو الدم أو المركز، كما أحدث ثورة في مفهوم النبوة التي اعتقدت به بنو إسرائيل من أن النبوة محصورة بهم وقد قال الله تعالى مبيناً ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [2].

وقال أيضاً: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [3].

ومن هنا كان عيسى عليه السلام مسيح اليهود المنتظر ولكن هؤلاء أنكروه وانقلبوا ضده. ومن ثم افتروا عليه ونددوا به وبوالدته. فوقف القرآن الكريم موقفاً صريحاً من هذا الافتراء، فرد إلى المسيح وإلى مريم عليهما السلام اعتبارهما ومكانتهما السامية وعنف اليهود وأنبهم لما فعلوه من نقضهم للمواثيق.﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ [4]

وقد رفع القرآن الكريم مكانة مريم فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ [5].

---

[1] سورة الحجرات الآية ١٣.

[2] سورة غافر الآية ٧٨.

[3] سورة يونس الآية ٤٧.

[4] سورة النساء الآية ١٥٦.

[5] سورة آل عمران الآية ٤٢.

ويشهد القرآن الكريم على أن الله وهب عيسى عليه السلام أفضل الصفات. يقول تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾[1].

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾[2].

ولكن اليهود أنكروا عيسى ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾[3]، فقيل لهم ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾[4].

و لم يغب عن المسيح ما يرمون إليه: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[5].

أما اليهود فقد غضب الله عليهم وأنزل بهم العقاب لكفرهم ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾[6].

ولكن القرآن الكريم حسم الخلاف القائم بين النصارى واليهود فيما يتعلق بمكانة المسيح وأمه مريم ولكن ترك لله الحكم الأخير والفاصل في الخلاف الدائر بينهم ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ

---

[1] سورة البقرة الآية ٨٧.

[2] سورة آل عمران الآية ٤٥.

[3] سورة البقرة الآية ٨٨.

[4] سورة البقرة الآية ٩١

[5] سورة آل عمران الآية ٥٢.

[6] سورة النساء الآية ١٥٧.

ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾[1].

تحررت العقيدة المسيحية بسرعة من تزمت اليهودية واتخذت بعداً آخراً، هو البعد العالمي ولكن ضمن ما يتعلق بالدين كعقيدة فكرية وليس كرابطة شخصية لقوم أو امتياز لعنصر فكان أن وقع الفراق بين العقيدتين.

وبالرغم من أن المسيحية انبثقت من أصل يهودي بحث فإنها ما لبثت أن استقلت عنها لتصبح ما عرف لاحقاً «بالكنيسة المسيحية». «فبفضل بولس وبتأثير تعاليمه كما يقول ابشتاين عدلت الكنيسة نظرتها إلى المسيح لتجعل منه إلهاً من درجة ثانية بدل إنسان من الدرجة الأولى. وهذا الاعتقاد يتناقض تناقضاً تاماً مع وحدانية الله كما يفهمها اليهود. وهكذا أصبح من العسير جداً على اليهود الذين تبعوا المسيح أن يتقيدوا بتعاليم اليهودية. فوقع الانفصال بين الدينين وكان مالا مفر منه».

وتكاد المسيحية تكون أكثر الأديان السماوية والوضعية تعقيداً، وقد علمها عيسى عليه السلام ديناً بسيطاً سهلاً، ولكن التعقيد طرأ عليها بعد ذلك، حتى أصبح عسيراً جداً فهم كثير من مبادئها، وحتى أصبح غموضها طبيعة واضحة فيها فالمسيحية بدأت بسيطة ولكن الناس عقدوها بعقائد صعبة عصفت بها [2].

---

(١) سورة البقرة الآية ١١٣.

(٢) Roland Binton. «The Church From The Beginning up to the 20 the Century».

المسيحية – اليهودية:

يعتبر الدخول إلى فلسفة بولس أمراً صعباً. فهو يعتبر المنظم للفكر المسيحي وفيلسوف العقيدة. وإن ما يميز بولس عن غيره من تلامذة المسيح هو أنه كان ضليعاً في اليهودية ومتعمقاً في المسيحية. ففي يهوديته كان فريسياً، تحت الناموس[١]، وفي مسيحيته كان مؤتمناً على النعمة والإيمان. وبهذا جمع ما بين الفهم العميق للناموس كما يقول المسيحيون عنه – وبين الإدراك العظيم للنعمة والروح. وقد انفرد بين أترابه في هذا حتى أنه لم يكن باستطاعة اليهود المتنصرون أن يبقوا على روحانية المسيحية كما يقول بولس فلفظهم وحذر المسيحيين الجدد من الأنبياء الكذبة والدساسين ومن الذين يريدون تحويل نظرهم عن المسيح الكوني.

انطلاقاً من هذا يقولون أن آدم خلق في حالة النعمة لأنه خلق من الله ولم يخلق من رجل وإمرأة، ولكنه تحدى الإرادة الإلهية ونسي حالة النعمة التي وجد فيها فسقط، وبسقوطه وجدت الخطيئة. وقد حلت الخطيئة محل النعمة، فاجتاز الموت إلى جميع الناس ودخلت الخطيئة العالم.

فكان الناموس[٢]، وهو لا يعطي إلا في حال وجود الخطيئة.

ولإنقاذ اليهود من الناموس والشريعة عمل بولس على برهنة أن من كان تحت الناموس كان تحت لعنة، وإن الناموس رمز للخطيئة، وإن الخطيئة بدون ناموس ميتة، وإنه كان عائشاً قبلاً ولكن لما جاءت الوصية عاشت الخطيئة فمات هو، فوجدت الوصية التي للحياة هي نفسها للموت. ويريد

---

[١] الناموس بالمفهوم المسيحي هو الشريعة المكتوبة التي سلمتها الملائكة إلى أنبياء بني إسرائيل لكي يسيروا بهديها. ويعتبر الناموس مفتاح المعرفة والدرجة الأولى للصعود في سلم الروح

[٢] يقول بولس هنا أن الشعوب الأخرى التي ليس لها ناموس مكتوب، لهم ناموسهم المكتوب في قلوبها، وضميرهم شاهد.

بولس أن يخلصهم من عتق الحرف، ومن جسد الموت والخطيئة وأن يدخلهم إلى عالم النعمة، كما يريد أن يقنعهم بأن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس. فما هي الوسيلة إلى ذلك؟

- لما كانت الخطيئة قد دخلت بإنسان واحد إلى العالم، وبالخطيئة الموت، واجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع، لذلك فإنه بإنسان واحد يتم القضاء على الخطيئة.

- لما كان الجسد هو مركز ناموس الخطيئة فإن الله يرسل ابنه في شبه جسد الخطيئة، ولأجل الخطيئة، لكي يتحقق ناموس الله.

- لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من إمرأة تحت الناموس ليفتدي الذي تحت الناموس لينالوا التبني.

- لما كان الكهنوت قد تبدل على درجة ملكي صادق فبالضرورة يصير تغير الناموس أيضاً. وهذا يعني أن الله أراد أن ينقذ الذين هم تحت الناموس واللعنة والخطيئة. فأرسل لهم ابنه، لما جاء ملء الزمان مولوداً من إمرأة تحت الناموس ليفتدبهم.

- تحت الناموس لم يكن الإنسان ابناً بل عبداً، أما بعد الافتداء فقد أصبح إبناً ووارثاً. وكما أن الناموس ينتهي بالفداء كذلك يكتمل الناموس بالمحبة.

- ولما كانت المحبة تتمثل بالمسيح فإن المسيح هو غاية الناموس. ولما كان المسيح هو ملء الزمان وكما له فإن الناموس ينتهي بمجيئه، أي يكتمل.

يقول المسيح: «ما جئت لا نقض بل لأكمل». ولما أكمل المسيح انتهى

الناموس وبطل.

إن مجيء الملء يعني الانتقال قد تم من الحرف إلى الروح، من اليهودية إلى المسيحية من العبودية إلى الحرية أي النبوة، من الخطيئة واللعنة إلى النعمة.

وكيف انتقل المسيح من كونه نبياً لبني إسرائيل إلى العالم وجميع الأمم؟ فأنجيل متى -وهو كان موجهاً إلى اليهود – يشدد على أن المسيح قد جاء ليخلص شعبه من الخطايا. فهو قد أتى إلى خراف بني إسرائيل الضالة، ولكن، لما كان اليهود يرفضون النعمة فقد رفضوا المسيح، ولذلك فإن الملكوت والخلاص قد أعطيا إلى الأمم. ويذكر متى أنه بزلتهم تم الخلاص للأمم. وينتهي هذا الإنجيل بأن المسيح سيكون للأمم وسيتم الخلاص لهم إذا لم يقبلوا الحقيقة التي تجسد من أجلها.

وفي أعمال الرسل نقرأ أن بولس، وهو في غيبة، قد أمر بالروح القدس أن يترك اليهود وينطلق إلى الأمم لأن اليهود لا يقبلون شهادته. لقد شدد بولس على أن المسيح قد جاء للجميع وأنه لا فرق بين شعب وشعب. وإن الشعوب تخلص بالإيمان. فالمسألة مسألة إيمان بالمسيح. وهذا ما لا يقبل به اليهود لأنهم لا يقبلون إلا مسيحاً يهودياً على غرار داود وسليمان، يخلصهم ويكون لهم ويتحدث إليهم ويكون ملكاً أرضياً وسماوياً. قال المسيح «**مملكتي ليست من هذا العالم**». ولأن اليهود لم يجدوا في المسيح تحقيقاً لغايتهم، فقد عمدوا إلى صلبه (حسب مفهومهم) لكي يتخلصوا منه. كانوا يريدون أن يخلصهم من قيصر، من الرومان، لكن المسيح لم يأت ليخلصهم من قيصر الروم بل من قيصر الخطيئة والشر. فتحول معنى الخلاص من الحرف إلى الروم. ولذلك فقد صرح اليهود كما هو مذكور في إنجيل متى ، عندما يئسوا من تخليص المسيح لهم من سـيطرة

الرومان قائلين: «خذه وأصلبه» فقال لهم بيلاطس: أأصلب ملككم؟ أجاب رؤساء الكهنة ليس لنا ملك إلا «قيصر». لقد خان اليهود حقيقتهم وغايتهم. فقد ادعوا الولاء لقيصر مع أنهم كانوا يرغبون في التخلص منه. وخانوا المسيح لأنهم لا يسعون وراء مملكة الروح، وخانوا مبادئهم وتنكروا لها ونادوا بقيصر قيصراً لهم على الرغم من معاداتهم له.

مبادئ المسيحية:

يعتبر آدم محور أساسي في دراسة المسيحية حيث أن الجهل بآدم يعتبر جهلاً لقضية الإنسان وجهلاً لفلسفة الدين وسره، ويستحيل فهم أي موضوع روحي بدون تجربة روحية عميقة وبالتالي لا يمكن فهم قضية آدم دون عمق روحي كبير.

تخبر الكتب المقدسة، أن آدم قد خلق من طينة نفخ الله فيها من روحه فطينة آدم تمثل المادة بأكملها وهي تعني العالم بكامله، ونفخ الله في تلك الطينة فحبلت بالحياة وتوسعت وامتدت. فحبلت تلك الطينة بروح الله وحملتها، وأصبحت تنبض بالحياة. من هنا كان مجيء آدم إلى الوجود بدون دنس أي من الله مباشرة.

وأصبح الوجود له وجوه ثلاثة لا تعبر إلا عن وجه واحد بالفعل. الله، الطينة، والحياة أي الإنسان. أي آدم. فآدم هو الطينة التي نفخ الله فيها، فهو إذن نفخ الله في الطينة. والحياة إذن هي حلول الروح في المادة فهل هي ثلاثة أم واحد؟ هي واحد وثلاثة. كل شيء هو الله، والمادة هي من الله. وليس وجود الروح في المادة إلا مظهراً للوجود فقط.

فالروح المنبثة في المادة التي هي من الروح والحياة التي هي نتيجة الانبثاث والحلول تشـــير إلى وحدة لها وجوه ثلاثة. و لم يكن آدم إلا تلك

الوحدة التي ظهرت بوجوهها الثلاثة. فإذا قلنا أن الله واحد، وأن الطين اثنين، وأن الحياة ثلاثة فإننا نصل إلى التالي: الثلاثة هي وجود الواحد في الثاني، والثاني هو وجود الأول في انبثاقه من ذاته. فالاثنان هو المادة الأولى، والواحد هو روح الله، والثلاثة هي الحياة، أي آدم. ولا توجد حياة بدون وجود الأول في الثاني.

وسقط آدم بعد وجود الشر والظلام. ولا تعتقد الغنوصية بسقوط آدم بل بسقوط الحكمة. ولهذا فقد أرسل الله ابنه لإنقاذ الحكمة التي أطفأت قوى الشر والظلام شيئاً من نورانيتها.

والسقوط هو عدم الاذعان والامتثال لقوى الروح وعصيانها والتمرد عليها. وقد ورد في الإنجيل، رومية ١٢:٥ **«من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد (آدم) دخلت الخطيئة إلى العالم، وبالخطيئة الموت. وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذا أخطأ الجميع»**.

كذلك في الإصحاح الرابع والعشرين من أنجيل متى مقارنة بين المسيح ونوح. فالمسيح بمجيئه يشبه نوحاً وفلكه والأيام التي عاش فيها، وتتحقق المقارنة من وجتين: **الأولى:** تشير إلى أن مجتمع نوح كان مجتمع الخطيئة والشر. فقد كثرت شرور الناس لدرجة أن الله ندم على خلقه. وكان لا بد من زوال الخطيئة والشر، وبالتالي لا بد من مجيء طوفان يأخذ الجميع فيقضي على كل ما هو قديم.

الوجهة الثانية: يشير الفلك إلى الجسد الإنساني. فالجسد الحيواني العتيق المليء بالخطايا والشهوات يأخذه الطوفان، وأما الجديد فإنه يطفو ولا يخضع للزوال: لذلك يمثل الطوفان طرح الجسد الحيواني ويمثل الفلك لبس الجسم الروحاني. والدليل على ذلك إرسال الغراب والحمامة.

فلما كان الفلك يعني الجسد والغراب يعني الشر، فقد تم إرسال آخر خطيئة في الجسد. وهذا يعني أن الجسد أصبح نقياً طاهراً. ولكن الغراب لم يعد لأنه مضى إلى الجيف أو إلى الأرض حيث طعامه ومعيشته ومملكته.

أما الحمامة فإنها ترمز إلى إرسال الفضيلة والخير. وبالفعل فقد انطلقت الحمامة فعادت وبفمها غصن زيتون.

وعلى هذا الأساس تكون قصة نوح رمزاً أو إشارة إلى مغزى روحي عميق لا يفهم منه المسيحيون إلا الحرف. فالفلك، رمز الجسد، ينقذ من الطوفان، رمز إزالة الخطيئة وغسلها والقضاء عليها. والفلك لا يحط على الأرض ما لم يعلم أنه قد حان الوقت. فتمثل الموضوع بالحمامة والغراب، رمزي الخير والشر، وكان لا بد أن ينتصر الخير، وهكذا فقد بدأ عهد جديد.

أما العلاقة بين نوح والمسيح؛ فهي علاقة التشبيه فقط. فالخطاة كانوا على زمن نوح وعلى زمن المسيح. والطوفان يشير إلى نهاية القديم، فإن المسيح يشير إلى انقضاء عهد ومجيء آخر. كما أن الفلك يشير إلى تبدل في الجسد، من الحيواني إلى الروحاني، فإن جسد المسيح يشير إلى الجسد الروحاني وفناء الحيواني، ويشير إلى نهاية القديم وبداية الجديد.

وقد حاول الإنسان بعد سقوطه أن يكفر عن خطيئته. فلم يقدم نفسه لله بل قدم الذبيحة. ولكن الله لم يرضى لأن الأمور كانت بحسب ناموس الخطيئة لا ناموس الله. ولذلك فقد احتاجت البشرية إلى فداء، لكي يعود الإنسان إلى مستواه الذي سقط منه، إلى حالة البر والنعمة.

وكان المسيح هو الفداء أو الذبيحة، وقدم جسده الذي دخل بدمه

إلى قدس الأقداس مرة واحدة دون وساطة الذبيحة المادية الحيوانية.

ولما تم تقديم الجسد فإنه نزع الأول أي الجسد الحيواني، وثبت الثاني أي الجسد الروحاني. وهكذا فقد أصبح خليقة جديدة كل من يتبع المسيح.

والتجدد الحقيقي يعني الولادة من فوق، من الروح. ولا نولد من فوق ما لم يحل الروح القدس علينا، وهذا الحلول يعني تحقيق الله في الإنسان، ومتى تحقق الله في الإنسان يأتي الله إليه، وهذا هو المجيء. ومتى أتى الله إلى الإنسان فإنه يصبح أبناً لله.

من هنا كان العهد الجديد ويتميز عن العهد القديم بأن:-

- العهد القديم حرف والعهد الجديد روح.
- العهد القديم موت والعهد الجديد حياة وقيامة.
- العهد القديم جسم حيواني والعهد الجديد جسم روحاني من السماء.
- العهد القديم ذبيحة دم الحيوان والعهد الجديد ذبيحة دم الإنسان.

ونلاحظ هنا أن مقومات العهد الجديد روحية في أساسها وإن مقومات العهد القديم مادية تامة. فمن حيث الختان في العهد القديم، وليس الختان معمودية أو طهراً. وأما المعمودية بالماء فقد كانت حلاً وسطاً بين الختان والمعمودية بالروح القدس.

ومن هنا استحالة فهم الدين إلا عن طريق الروح والمثال والرمز. فعندما يتحدث المسيح عن الخبز بأنه يشير إلى جسده. ويقول بأن الخبز قد نزل من السماء، وهو خبز الحياة. ولما كان الخبز هو الجسد فإنما يعني أن الجسد قد نزل من السماء.

أما الدم فإنه رمز الحياة، وهذه فلسفة حياة المسيح فقد كان المسيح وراء الحياة، وراء تحقيقها وتبريرها. إذ لا معنى للحياة ما لم تبرر، وأفضل صورة ترمز إلى الحياة إنما هي بالدم. ولهذا أعطى المسيح حياته، ورمز إليها بالدم إلى الجميع. وقد مثلها بالخمر الذي هو تعبير روحي للنشوة والغبطة الروحية والروحانية أيضاً. ولما أعطى المسيح دمه فكأنه أعطى الحياة مقابل الجسد. إذاً أعطى الجسد والروح[1]. وبهذا يقول بولس للذين لم يعملوا الكفاية في سبيل المسيح: «**لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطيئة**».

والمغفرة هي التخلص من الخطيئة. ولا يتم الخلاص منها ما لم يقدم الإنسان جسده كذبيحة لله. صحيح أن المسيح حسب الأناجيل قدم جسده من أجل الإنسان لكنه يطلب منهم أن يقدموا أجسامهم ودماءهم أي أن يحملوا الصليب ولهذا السبب بولس يقول بأنهم لا يجاهدون حتى الدم. فالمغفرة إذاً هي مسألة يقوم الإنسان بها في داخله. فلا تغفر خطيئة ما لم يقم الإنسان بعملية الخلاص التي نادى بها المسيح: تقديم الجسد والدم معاً في هيكل الله.

ففي لوقا ١٤: ١٥ نجد على لسان المسيح قوله: «**طوبى لمن يأكل خبزاً في ملكوت الله**».

فلسفة بولس بالمسيح الكوني:

كانت المسيحية الأولى تعرف بمسيحية يوحنا ، ثم أصبحت بعدئذ تعرف بمسيحية بولس، فهو المفكر الرئيسي في مبدأ المسيح الكوني، وتحوله من اليهودية إلى المسيحية هو تعبير حي لهذا المبدأ.

---

[1] يقول المسيح في إنجيل يوحنا ٦: ٥١ «الخبز الذي أنا أعطى هو جسدي. ومن يأكل كل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية».

أما دعائم مبدأ المسيح الكوني في فكر بولس فهي: الإيمان، الحياة في المسيح، النعمة، الوساطة، الشراكة، وحدانية الروح والرؤيا.

١- ففلسفة الإيمان هي إيمان بمسيح كوني لم يعد يرى في الشخص بل في الروح والعقل والقلب.

وتعتبر الفقرة التالية قمة التطور الذي وصلت إليه فلسفة الإيمان بالمسيح الكوني وعبر به بولس عن الحياة في المسيح: يقول: «مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ. فمن أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان، إيمان أبن الله...»، **«كنت ميتاً وها أنا حي إلى أبد الآبدين ولي مفاتيح الهاوية والموت»**.

٢- أما النعمة فيرى بولس (الذي لم يرافق المسيح و لم يكن تلميذاً من تلامذته) إن المسيح الذي مات على الصليب — والصليب رمز السقوط والفداء — والمسيح الذي هو آدم الثاني، والمسيح الذي تمجد الله فيه، والمسيح الذي قضى على الناموس والحرف والخطيئة والموت هو نعمة للعالمين، فالمسيح أعاد الإنسان إلى حالة النعمة، وحالة النعمة هي حالة البر.

٣- تعتبر الوساطة حجر زاوية في فلسفة بولس إذ يقول في رسالته الأولى إلى تيماثاوس ٢: ٥ **«لأنه يوجد إله ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح»**.

والوساطة لم تتحقق بين الإنسان والله في القديم. فالناموس لم يكن وسيطاً ولذلك كان الإنسان عبداً . لقد سلم الناموس والشريعة إلى موسى فأعطاها للإنسان. ولما كان الناموس عاجزاً عن تحقيق الوساطة لأنه غير كامل ولا يفيد شيئاً، فلا بدأ إذن من تجسد روح سامية سمو الله، عظيمة عظم الله، فتجسدت روح الله في المسيح.

٤- وتقود فكرة الوساطة إلى موضوع أكثر أهمية في فلسفة بولس وهو الشراكة: يقول بولس: «**أمين هو الله الذي به دعيتم إلى شراكة ابنه يسوع المسيح ربنا**»[١]، «**لأننا صرنا شركاء المسيح**»[٢]. «**لأن الذين استنيروا مرة وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس**»[٣]. «**ولكن إن سكنا في النور كما هو في النور فلنا شركة بعضنا مع بعض ودم يسوع المسيح يطهرنا من كل خطيئة**»[٤]. «**شركتنا نحن هي مع الأب مع ابنه يسوع المسيح**»[٥]. فالشراكة لا تتم إلا بوساطة المسيح فكيف تتم إذن؟ يقول بولس «**وإن كان الروح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات يحيى أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم**»[٦].

والشراكة لا تتم إلا بالمسيح لأن كل ما أتى قبله كان ناموساً قضى على الشراكة وأبعد الإنسان عن الله، فسقط الإنسان بسبب تدخل قوى الشر.

وهكذا فقد أعاد المسيح هذه الشراكة عندما نادى بمبدأ البنوة، وعندما شدد على أن الله يسكن في أتباعه، وهذا أمر لم يأت به الناموس، فالناموس لا يذكر أن الله يسكن في الإنسان بل يسكن في بيوت مصنوعة

---

(١) كورنتوس الأولى ١: ٩.

(٢) عبرانيين ٣: ١٤.

(٣) عبرانيين ٦: ٤.

(٤) رسالة يوحنا الأولى ١: ٧.

(٥) رسالة يوحنا الأولى ١: ٣.

(٦) رومية ٨: ١١.

بالحجارة. والناموس لا يذكر أن أتباع الله هم أبناء لله، المسيح وحده حسب بولس يذكر ويبرهن، لذلك يشارك الإنسان المسيح صلبه وموته وقيامته، يشاركه في الموهبة الروحية ويتذوقها، فيصبح شريكاً.

٥- المسيح في نظر بولس، هو المسيح الكوني المتجسد، وحتى لا يظل إيمان بولس تلقائياً لا عمق فيه فإنه يركز على المسيح الكوني فيقول: «**يسوع المسيح هو أمس واليوم وإلى الأبد**». وبهذا القول ينظر بولس إلى المسيح الكوني معتبراً إياه بأنه حي على الدوام لأنه القيامة والحياة.

٦- المسيح سر الوجود، سر الله به يعرف الكل لأنه الكل. به يعرف الله لأنه حقق الله، وإذ لبس المسيح فيكون الالتصاق بالرب. وإذا التصق بالرب يصبح الإنسان واحداً معه[1]. ولا يتم هذا الالتصاق إلا بتجربة روحية كبرى، كتجربة بولس ولا تتحقق هذه التجربة إلا بعيش تجربة المسيح الكوني. والذي حل عليهم الروح القدس، يدركون معنى هذا الكلام المستعصي على الآخرين.

الوجود الثلاثي أو الوحدة الثلاثية:

إن وحدة الروح والنفس والعقل تتم وتتحقق عندما تفعل الروح في الإنسان وتحقق مملكة الله فيه، فالنفس ليست إلا قوة الانبثاق من الروح.

---

(١) يعتقد الهنود أن هناك روح الإنسان وتسمى اتمن (Atman) وروح الله وتسمى براهمان Brahman، وهناك وسيط خلق الكل به يسمى Brahma. إن روح الإنسان في الفكر الهندي مصغر لروح الله. ولكن هذا الروح تستطيع أن تتحد بالله إذا استمدت حياة من الله، ومتى استمدت حياة أو طاقة من روح الله وعملت على تحقيقها تماماً، فإنها تصبح الله أي أنها تتحد به وتصبح واحداً معه. ويشير بعض الهنود على أن هذا الاتحاد لا يتم إلا بتجربة روحية يعمل فيها براهما كوسيط.

ويحدث هذا الوجود الثلاثي، أو الوحدة الثلاثية، في الإنسان وذلك لأنه يمثل الإله على الأرض، ولما كان الإله ثلاثة أقانيم في جوهر واحد، هكذا يكون الإنسان ثلاثة أقانيم في جوهر واحد، ولكن كيف تتم وحدة الثلاثة في الإنسان؟

العقل هو زعيم المادة، والروح هو جوهر الوجود، والنفس هي الصلة بينهما أي هي الامتداد في كلا الاتجاهين، أي هي طاقة الانبثاق من الروح إلى الجسد، فالجسد بالنسبة للروح هو الابن والروح هي الأب والنفس هي الروح القدس أي طاقة الانبثاق.

أما في الوجود الإلهي فما هو المفهوم المسيحي له وما هو معنى الثلاثة في الواحد؟

تؤمن المسيحية بالثلاثة في الواحد، وتسمى الأقانيم الثلاثة، في جوهر واحد أو الأب والابن والروح القدس. ويصعب على غالبية الناس، من مسيحيين وغير مسيحيين. فحتى يفهم المسيحيون هذه الأقانيم عليهم كما يقول بولس أن يفهموا اللاهوت من خلال المعرفة والإيمان والتجربة الروحية.

فكيف يكون الله ثلاثة ويكون واحداً؟

يقولون أن الله روح ولهذه الروح قدرة أو طاقة على الصدور. إذن هناك طاقـــة أو قدرة في الروح ذاتها للانبثاق . الروح تنبثق عنها قوة ، إذاً القوة التي تنبثق عنها تسمى روح قدس، ونتيجة الانبثاق تسمى ابناً، فالروح هي الأب، تنبثق عنها طاقة تسمى الروح القدس، ونتاج الانبثاق يكون الابن. فالروح وطاقتها ونتاجها واحد، وهي كالتفكير والفكر وانبثاق الفكر عن التفكير.

وحول موضوع الواحد والثلاثة تعتقد بعض الأفكار الغنوصية (وهي أفكار سرية قديمة) أن الله مبدأ الواحد، أوجد مادة أولية، (وهي النار الكونية) المبدأ الثاني، وأنه حل بها أي وضع روحه فيها أي نفخ فيها، وهذا ما يقوله هؤلاء: الله هو الواحد ويرمز له بالرقم واحد، والمادة الأولى هي الثانية ويرمز لها بالرقم اثنين، والحياة التي تولدت من حبل المادة بالروح هي الثالثة ويرمز لها بالرقم ثلاثة. وتشير هذه الفكرة إلى أنه لا وجود لثلاثة بل لواحد.

فالثلاثة هي الواحد في الثاني ولا شيء أكثر. والاثنان هو امتداد الله في الوجود. فالأول في الثاني هو واحد في الاثنين، فلا وجود للاثنين إلا في الواحد الذي هو في الاثنين. هذا الأول في الاثنين هو الثلاثة. فالثلاثة هي الواحد في الاثنين أو هي الاثنان وفيه الواحد. والثلاثة تبدو وكأنها أقانيم ثلاثة لكنها بالفعل هي جوهر واحد.

لم يكتف بولس بأن وضع مبادئ المسيحية وشعائرها بل شرع قوانين للمسيحيين يتبعونها في حياتهم العامة، فهو الذي أوصى بما نجده اليوم في الكنائس من التسابيح والأغاني الروحية والمزامير والتراتيل[1]. وهو الذي يقول بعدم وجوب الختان ويدلل على ذلك بقوله: «**دعي أحد وهو مختون فلا يصير أغلف، ودعي أحد في الغرلة فلا يختتن، ليس الختان شيئاً وليست الغرلة شيئاً بل حفظ وصايا الرب**»[2].

لقد أحدث بولس في المسيحية أحداثاً خطيرة: نقلها من ديانة إلى بني إسرائيل إلى ديانة عالمية، ونقلها من التوحيد إلى التثليث، وقال بألوهية المسيح وألوهية الروح القدس، واخترع قصة الفداء للتكفير عن خطيئة البشر، وألغى المعالم التي نادى بها عيسى نفسه وأوجد ديناً جديداً.

---

[1] افسس ٥: ١٩.

[2] كورنتوس الأولى ٧: ١٢ – ١٩.

يرى كثير من الباحثين أن عداوة بولس للمسيحية هي التي دفعته للتظاهر بالدخول فيها ومحاربتها من الداخل بسلاح التهديم والإفساد وطمس معالمها. كما حاول البعض فعل ذلك في الإسلام ومنهم عبد الله بن سبأ اليهودي الذي تظاهر بالإسلام، وأشعل نيران الفتن وأشاع المبادئ الفاسدة، وهذا ما كان يعجز عن القيام به لو ظل يعلن يهوديته، ولكن أفكاره لم تستطع أن تعيش كما عاشت أفكار بولس ذلك لأن القرآن الكريم كان محفوظاً ومكتوباً وهو الحارس لدين الإسلام، أما إنجيل عيسى فضاع وحرف، فلم يكن للمسيحية عماد يحميها من أعداء المسيحية من الخارج ومن الداخل فخرت مسيحية عيسى وقامت على أنقاضها مسيحية بولس.

وقد جاء في كتاب نشره الفاتيكان يؤيد هذا الموقف لبولس ما يلي: **«كان القديس بولس منذ بدء المسيحية ينصح لحديثي الإيمان أن يحتفظوا بما كانوا عليه من أحوال قبل إيمانهم بيسوع»**[1].

إن السماح بالبقاء على ما كان عليه المرء قبل الإيمان، تشويه وتدمير للمسيحية.

---

[1] «المسيحية عقيدة وعمل» الفاتيكان – ١٩٦٨ ص ٥٠.

الاتجاهات حول المسيح والمسيحية

المسيح والمسيحية في نظر المسلمين.

لقد ورد اسم المسيح[1] في خمس عشرة سورة، في ثلاث وتسعين آية، في القرآن الكريم.

كما وتحدث القرآن عن ولادة أمه مريم فقال:

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[2].

- ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾[3].

- ويتحدث القرآن الكريم عن معيشة مريم فيقول: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[4].

---

[1] اسم المسيح في القرآن الكريم «عيسى» عليه السلام، وهو قريب للاسم الذي يطلق عليه باللغات الأوروبية «جيسس»، «جيسو» مع ملاحظة أن الرومان كانوا يضيفون حرف السين في نهاية أسماء الأعلام. وقيل أغلب الظن أن الاسم كما ورد في لغة الإنجيل الأولى — الآرامية على رأي أكثر الرواة «عيسو» ونطق بلغة أبناء إسماعيل عيسى.

[2] سورة آل عمران: الآيات ٣٥ — ٣٧.

[3] سورة آل عمران: الآية ٤٤.

[4] سورة آل عمران: الآية ٤٢.

- ويوحي الله لها وهي أطهر النساء بقوله ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[1].

- فأستجابت مريم للأمر الإلهي وأحصنت فرجها:
﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[2].

- ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾[3].

ويبين القرآن كيف كانت البشارة بميلاد عيسى فيقول: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[4].

ويتضح من ذلك أن المسيح ابن مريم كلمة الله فقد كان لأن الله شاء فقال: كن فكان، وفي سورة مريم وصف القرآن تفصيل هذه البشارة بقوله: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾

---

[1] سورة آل عمران الآية ٤٣.

[2] سورة الأنبياء الآية ٩١.

[3] سورة التحريم الآية ١٢.

[4] سورة آل عمران الآيات: ٤٥ — ٤٧.

﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾[1].

ثم يخاطب الوحي مريم: أن الله قد اختار عيسى رسولاً لبني إسرائيل: ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾[2].

أي أن المسيح ابن مريم قد علم التوراة لأنه لم تكن موجودة بالصورة التي أنزلها الله فلزم أن يعلمها النبي التالي، كما علم أيضاً رسالته التي هي الإنجيل: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[3].

وحملت مريم بإبنها المسيح عيسى كما أسماه القرآن الكريم: ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾[4].

إذاً فالحمل كان كالعادة، ثم كان المخاض عند جذع نخلة، وتذكرت مريم ما سيقوله قومها. وهم يروها بعد مدة الاحتجاب أنها قد ولدت، فتمنت الموت وتمت النبوة الأولى التي قال بها الوحي، ها هو ابنها يتكلم بمجرد ولادته ويقول لها﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ﴾.

وحدث ما خافت منه مريم، ويصف القرآن الكريم الحال: ﴿ فَأَتَتْ

---

[1] سورة مريم الآيات: ١٦ – ٢١.

[2] رسول آل عمران الآية ٤٨.

[3] سورة آل عمران الآية ٤٩

[4] سورة مريم الآيات ٢٢ – ٢٦.

بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾[1].

وهكذا ظنَّ قومها بها السوء ورموها بالتهم قبل أن يسألوها من أين جاءت به، وحتى تبتر حجتهم من جذورها حدثت المعجزة بكلامه لهم وهو طفل صغير بياناً بأنه ايس طفل عادي. بل نبي مرسل وهو يعلن ذلك بنفسه: ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ... **الآية** ﴾. فقد أعطاه الله تعالى الكتاب والنبوة والبركة وأوصاه بالصلاة والزكاة والبر بوالدته لأنه ليس له أب.

وصدّق قليلون، ورآه الباقون سحراً، وظلت الغالبية الساحقة من بني إسرائيل في طغيانهم يعمهون، فكانوا يسمونه «ابن البغية» وكانوا يقولون على مريم بهتاناً عظيماً.

وقالت فئة إن ولادته الفريدة في نوعها تعني أنه ابن الله، وقالت فئة أخرى إن عزيراً هو ابن الله، وعن هؤلاء وهؤلاء ومن هم على شاكلتهم، يقول القرآن الكريم ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[2].

ودأبت الاتهامات بين الفئة والأخرى ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ

---

[1] سورة مريم: الآيات: ٢٧ — ٣٣.

[2] سورة التوبة الآية: ٣٠.

ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾[1].

اعتمد كل من اليهود والنصارى في إثبات عقيدتهم على ما ينسبونه للأنبياء السابقين، فكيف حصل إذن الاختلاف فيما بينهم؟ فمن الواجب أن ينصب الشك على صحة نسبة الكتاب الذي بين أيديهم إلى الأنبياء، ويقول تعالى فيهم ﴿ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ﴾ . وكما نعلم فالفراعنة ادعوا أن «فرعون» ابن الله، كما ادعى ذلك الرومان، ولكن النبي لم يكن يعلم بأمر الفراعنة ولا بأمر الرومان، فالله سبحانه وتعالى أعلمه وهو العليم الخبير.

ثم تتوالى الآيات في القرآن الكريم في إطار الحكم الدافعة وهي من الخالق المدبر الواحد الصمد، ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾[2].

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ

---

[1] سورة البقرة الآية: ١١٣.

[2] سورة البقرة: الآيات: ١١٦ – ١١٧.

وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ ﴾[1].

﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾[2].

﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾[3].

﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾[4].

﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾[5].

وتتابع الآيات الكريمة إيضاحاً وتبياناً بأنه ما من إله إلا الله

---

[1] سورة النساء الآيات: ١٧١ — ١٧٢.

[2] سورة الكهف الآيات: ٤ — ٥.

[3] سورة مريم الآيات: ٣٥ — ٣٦.

[4] سورة مريم الآيات: ٨٨ — ٩٥.

[5] سورة الفرقان الآيات: ٢ — ٣.

خالق الكون ومدبر الأمر له الحكم في الأولى والآخرة. وإن من يشرك بالله، ويعطي الألوهية لغير الله خالق كل شيء فقد كفر. يقول تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾[1].

ويذكر الله تعالى أن عيسى بن مريم ما هو إلا نبي مرسل إلى بني إسرائيل على إثر أنبياء سابقين.

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[2].

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾[3].

ثم ينفي الله أن يكون ثلاثة أو ثالث ثلاثة، ويصف من يقول هذه الفرية بالكفر، ويتوعد من يبقى على هذا الاعتقاد منهم بالعذاب الأليم. فيقول تعالى:

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن

---

(1) سورة المائدة: الآية ١٧.

(2) سورة المائدة الآيات: ٤٦ — ٤٧.

(3) سورة المائدة الآية: ٧٢

لَمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾.

﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ (٧٧) ﴾[(١)].

ويتحدث القرآن الكريم عن رسالة المسيح ابن مريم عليه السلام فيقول إنه كان مؤيداً بروح القدس (جبريل عليه السلام).
﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ ﴾[(٢)].

وأنه رسول الله إلى بني إسرائيل قال تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾.

قال لهم عيسى:

﴿ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ ﴾، فالآيات من الله القدوس وليس من عيسى بن مريم، ما هي هذه الآيات؟ ﴿ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ .

---

(١) سورة المائدة الآيات: ٧٣ – ٧٧.

(٢) سورة البقرة الآية: ٨٧ و ٢٥٣.

وهذه المعجزة لم ترد إلا في القرآن الكريم:

﴿ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1].

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[2].

﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾[3].

يتبين من هذه الآيات أن المائدة أنزلت بناءً على طلب تلاميذ المسيح عليه السلام (الحواريون) وأنها أنزلت من السماء كما نزل المنّ والسلوى على بني إسرائيل في سني التيه.

---

(1) سورة آل عمران الآية ٤٩.

(2) سورة المائدة الآية ١١٠.

(3) سورة المائدة الآيات ١١٢ — ١١٥.

هذه إذن هي المعجزات التي أتمها الله على يد عيسى ابن مريم عليه السلام والتي تثبت أنه مرسل من الله، فما هي رسالته؟

يقول الله تعالى في القرآن الكريم إن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام قال:

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾[1].

﴿ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴾[2].

﴿ وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾[3].

﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ۞ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۞ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ

---

[1] سورة المائدة الآية: ٧٢.

[2] سورة آل عمران الآيات: ٥٠ – ٥١.

[3] سورة المائدة: الآية ٤٦.

ٱلْحَكِيمُ ۝ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴾[1].

ويستدل من قوله: ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾ في هذه الآيات ومن الآيتين ٣٥ و ٣٦ من سورة مريم أن هذه الفتنة حدثت أثناء معيشة المسيح عليه السلام كما ويفهم أن المسيح لم ولن يغفر لأحد ممن قالوا أنه إله، فالذي يغفر الذنوب هو الله ولا أحد غيره (الآية ١٣٥ – سورة آل عمران) وأنه لن يشفع عند الله من أجلهم، وأن هذه المحادثة ستجري يوم الحساب ولن يكون سؤال المسيح إلا ليعلم الجميع أنه ما قال أنه إله أو ابن إله وليبرأه الله مما ينسب إليه من قول.

﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[2].

ويتبين من الآيات التالية المناسك الرئيسية التي جاء بها المسيح عليه السلام:

﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝ ﴾[3].

أي أنه قد فرضت عليهم الصلاة وكانت تتضمن ركوعاً وسجوداً كما يتبين من سورة آل عمران الآية ٤٣، كما وفرضت عليهم الزكاة.

---

[1] سورة المائدة: الآيات: ١١٥ – ١٢٠.

[2] سورة الزخرف الآيات: ٦٣ – ٦٤.

[3] سورة البينة الآيات: ٤ – ٥.

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾[2].

﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ۝ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝ ﴾[3].

كما وأن الصوم فرض عليهم وبنفس الكيفية التي يصوم بها المسلمون قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾[4].

ثم توضح الآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[5].

إنهم أمروا بالجهاد في سبيل الله.

ويستدل من الآيات في سورة الحديد أن المسيح عليه السلام قد بشر بالرأفة والرحمة، يقول تعالى:

---

(1) سورة التوبة الآية ٣١.

(2) سورة الصف الآية ١٤.

(3) سورة آل عمران الآيات ٥٢ – ٥٣.

(4) سورة البقرة الآية ١٨٣.

(5) سورة التوبة الآية ١١١.

﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾[1].وأنه لم يبشر بالرهبانية من قول الله في نفس الآية: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾.

وقد أسمى القرآن الكريم الذين اتبعوا المسيح ابن مريم مسلمين، ذلك أن الإسلام هو عبادة الله وحده (أي دين التوحيد)[2].

ويذكر القرآن الكريم أيضاً أن المسيح عليه السلام بشر كما بشر موسى عليه السلام من قبل بنبي يرسل من بعده، وقد أورد الصفات التي ذكرت له في التوراة والإنجيل معاً. ﴿ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[3].

والأمي هنا يعني أنه من غير بني إسرائيل ويضيف أنه في الإنجيل أورد اسمه أحمد - ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾[4].

---

(1) سورة الحديد الآية ٢٧.

(2) راجع سورة آل عمران الآية ٥٢ وسورة الصف الآية ٧.

(3) سورة الأعراف الآيات: ١٥٦ — ١٥٧.

(4) سورة الصف الآية: ٦.

وجاءت آيات كثيرة تبين أن أهل الكتاب لديهم تفاصيل عن النبي القادم إليهم[1].

قال تعالى:

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ۝ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝ ﴾[2].

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[3].

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝ ﴾[4].

ويصف الله استقبال الذين أوتوا الكتاب للنبي والقرآن الكريم: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾[5].

---

(1) انظر سورة البقرة الآيات ٨٩ و ١٠١ و ١٠٩ و ١٢١و ١٤٤ و ١٤٦ والآيات ١٥٩ – ١٦٠ و ١٧٤. وانظر سورة النساء الآية ٤٧

(2) سورة البقرة ٤٠ – ٤٢.

(3) سورة المائدة الآيات ١٥، ١٦.

(4) سورة الأنعام الآية ٢٠.

(5) سورة الرعد. الآية ٣٦.

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [1].

ولكن ماذا كان جواب قوم عيسى بن مريم عليه السلام؟

* يقول القرآن الكريم: ﴿ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ [2].

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [3].

﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ ﴾ [4].

﴿ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ ﴾ [5].

ويخاطب الله بني إسرائيل في القرآن الكريم:

﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ

---

(1) سورة المائدة الآيات: ٨٣ — ٨٥.

(2) سورة المائدة الآية: ١١٠.

(3) سورة الصف الآيات ٦ — ٧.

(4) سورة الزخرف الآية: ٦٥.

(5) سورة الصف الآية: ١٤.

وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[1].

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾[2].

﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾[3].

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[4].

ولكن هل اكتفى الذين كفروا أم حاولوا الإساءة إلى عيسى ابن مريم رسول الله؟

يجيب القرآن على ذلك فيقول:

﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[5].

---

(1) سورة البقرة الآية: ٨٧.

(2) سورة النساء الآية: ١٧٣.

(3) سورة آل عمران الآيات: ٥٥ — ٥٧.

(4) سورة المائدة الآيات: ٧٨ — ٧٩.

(5) سورة آل عمران الآية: ٥٤.

﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾[1].

ولكن كيف كف الله بني إسرائيل عن عيسى ابن مريم عليه السلام. يقول الله تعالى حول ذلك في القرآن الكريم:

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾[2].

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾[3].

وبعد وفاة عيسى عليه السلام اختلف في الكتاب ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ ﴾[4].

﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾[5].

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ

---

[1] سورة المائدة الآية: ١١٠.

[2] سورة النساء الآيات: ١٥٧ — ١٥٨.

[3] سورة آل عمران الآية: ٥٥.

[4] سورة البقرة الآية ١٧٦.

[5] سورة يونس الآية: ٩٣.

مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ۝١٣ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ۝١٤ ﴾[1].

وقد حصل نتيجة لهذا الشقاق قتال بينهم ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾[2].

ونصر الله الذين آمنوا به وبرسوله عيسى عليه السلام:

﴿ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾[3]. ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[4].

وأفترق الذين أتاهم عيسى وتكونت مذاهب عديدة تختلف عما جاءت به رسالة المسيح عيسى عليه السلام «**وقالت النصارى المسيح ابن الله**».

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ ﴾[5].

---

(1) سورة الشورى: الآيات ١٣، ١٤.

(2) سورة البقرة الآية ٢٥٣.

(3) سورة الصف: الآية ١٤.

(4) سورة آل عمران الاية: ٥٥.

(5) سورة المائدة الآية: ١٧ و ٧٢.

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1].

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۞ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾[2].

ويذكر القرآن الكريم بخصوص علاقة المسلمين بالمسيحيين وبأهل الكتاب عموماً ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[3].

﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[4].

﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَـٰسِقُونَ ۝ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ

---

(1) سورة التوبة الآيات: ٣٠ — ٣١.

(2) سورة المائدة الآيات: ٦٥ — ٦٦.

(3) سورة آل عمران الآية ٦٤.

(4) سورة المائدة الآية ١٩.

مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[1].

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[2].

﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[3].

وإذا استمر أهل الكتاب بالجدال وإقامة الحجج فما هو الحل؟

يجيب القرآن الكريم:

﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[4].

﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ

---

[1] سورة المائدة الآيات ٥٩ — ٦٠.

[2] سورة الأعراف الآية ١٥٨.

[3] سورة المومنون الآيات ٩١ — ٩٢.

[4] سورة البقرة الآيات: ١٣٩ — ١٤٠.

وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾[1].

﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[2].

فقد بين الله للمسلمين كيف تكون المجادلة مع أهل الكتاب وذلك بالحكمة،وأمرهم

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴾[3].

---

[1] سورة آل عمران الآية ٢٠.

[2] سورة آل عمران الآيات ٦١ — ٦٢.

[3] سورة العنكبوت. الآيات ٤٦ — ٤٧.

المسيح والمسيحية في نظر المسيحيين:

إن فرق المسيحيين متعددة وعقائد المسيحية مختلفة باختلاف فرقها، ثم أنهم غيروا وبدلوا في اعتقادهم حسب النصوص والمجامع والأزمان.

لهذا سنحاول إيراد الأركان العامة التي تعتقد بها المسيحية، وما عليه عامتهم، وإن اختلفت الفروع بين الكنائس المتعددة فإن الأصول كألوهية المسيح ومسألة التثليث هي إلى حد كبير ليست موضوع خلاف.

وفي الاعتقاد المسيحي إن المسيح كان ملكاً روحياً – وليس ملكاً على غرار داود – ومملكته لم تكن من هذا العالم، لكنه كان يريد تطبيق مملكته الروحية في العالم المادي. وقد ورد ذلك في أماكن عديدة من الإنجيل.

فلما أتى المجوس من المشرق قالوا: «أين هو المولود ملك اليهود. إننا رأينا نجمة في المشرق وأتينا لنسجد له»،

ويذكر إنجيل يوحنا في الاصحاح السادس الفقرة السادسة أن المسيح وفي أثناء كرازته بملكوت الله وقعت له حادثة حيث أراد نفر من اليهود أن يخطفوه ليجعلوه ملكاً عليهم، لكنه تخلص منهم وهرب، فقد هرب من عبودية الملكية المادية، إنه لم يكن راغباً بمملكة المادة بل بمملكة الروح.

ويعتقد النصارى أن اليهود لم يجدوا في المسيح تحقيقاً لغايتهم ولذا

عمدوا إلى صلبه لكي يتخلصوا منه، فالمسيح لم يحقق غاياتهم الأرضية. فقد كانوا يريدون الخلاص من قيصر، ومن الرومان، وكانوا يعتقدون أن المسيح هو الذي يخلصهم، لكن المسيح لم يأت ليخلصهم من قيصر الروم بل من قيصر الخطيئة والشر. فتحول معنى الخلاص من الخوف إلى الروح. ولذلك فقد صرخ اليهود، كما هو مذكور في إنجيل متى، عندما يئسوا من تخليص المسيح لهم من سيطرة الرومان قائلين: «خذه واصلبه»، فقال لهم بيلاطس: أأصلب ملككم؟ أجاب رؤساء الكهنة ليس لنا ملك إلا «قيصر».

واليهود لم يعرفوا مبدأ الملكية الروحية، فقد عمدوا إلى تشويه سمعة المسيح وتحريض بني إسرائيل والرومان عليه. فقد ابتدأوا يشتكون عليه قائلين أنهم وجدوا هذا الإنسان يفسد الأمة ويمنع أن ت-عطي لقيصر جزية ويقول أنه مسيح ملك[1].

وقد ورد في إنجيل يوحنا (الاصحاح الأول فقرة: ٤٩) أن نثنائيل قال «يا معلم أنت ابن الله، أنت ملك إسرائيل». فقد أدرك نثنائيل حسب النصارى أن المسيح ابن الله وليس ابن داود، ولذلك يستحيل أن يكون ملكاً أرضياً. وأدرك أيضاً أنه ملك إسرائيل الروحي ومنقذ هذا الشعب العنيد المقاوم ومخلصه.

وفي إنجيل مرقس (الاصحاح الحادي عشر فقرة ٩ و ١٠) نجد «مبارك الآتي باسم الرب. مباركة هي مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب».

وفي انجيل لوقا (الاصـــحاح ٢٠ فقرة ٣٨) نســمع هتاف الناس

---

[1] إنجيل لوقا. اصحاح ٢٣: ٢.

قائلين: «تبارك الملك الآتي باسم الرب.-

في رأي الكنيسة[1] إن المسيح الإله انقلب فأصبح إنساناً وعاش كواحد منهم ليعلمهم طريقة مثلى للعيش، وقتل هذا الإله بمؤامرة دبرها أعداؤه، دفن ثم خرج من قبره وصعد للسماء، وقد احتمل هذه الآلام لينقذ المؤمنين به من الخطيئة، فالذي يدرس هذه المسيحية يجدها اقتباسات من الوثنية واليهودية والحياة الشرقية والرومانية ويجد بها عناصر أجنبية كثيرة بارزة بها كاملة أو محرفة:

فمن الأفكار الفلسفية الإغريقية التي اقتبستها المسيحية «الكلمة» وهي ترادف «الإله» عند الإغريق لأن الكلمات لا تفنى بالاستعمال كما لا يفنى الإله...

ومن اليهودية اقتبست المسيحية فكرة الأبوة بين الله والناس أي فكرة أبوة الإله للخلق، وفكرة الأخوة بين الناس، كما اقتبست المثالية التي تكلمت عنها اليهودية – وإن لم يتبعها اليهود – وهي الحب والرحمة والعدالة.

ومن الحياة الشرقية اقتبست المسيحية الفنون والرسوم التي ازدانت بها الكنائس كما اقتبست استعمال الفسيفساء والصور والبخور والأنغام.

أما الحياة الرومانية فقد اقتبست الكنيسة منها النظم التي اتبعتها لتوزيع السلطان. ويقول Wells : أنه وبعد صلب عيسى إنهارت دعوته

---

(٢)

Berry: «Religions of the World»

إنهيارا تاما وتخلى عن فكرته اتباعه عن بكرة أبيهم، ولما اتهم بطرس بأنه واحد منهم قال: «لا أعرف هذا الرجل»[1].

هذا هو عيسى وتلك هي دعوته التي أوشكت أن تفنى بعد موته كما سبق القول، ومر الزمن وجاء شاءول وهو يهودي روماني من الفرنسيين أحد طبقات اليهود العليا، لم ير عيسى ولا سمعه يبشر الناس، وقد لعب شاءول هذا دوراً أنقذ به المسيحية بعد أن أوشكت أن تدخل عالم النسيان الذي ضم كثيراً من أمثال هذه الحركات، وقد كان شاءول هذا في أول عهده أكبر أعداء المسيحيين، فأنزل بهم ألواناً من الاضطهاد والقتل والتعذيب، لكنه فجأة تحول إلى المسيحية، واستخدم تجاربه ومكانته لينقذ المسيحية ويوجهها على نحو ما أراد.

وكان عيسى يهودياً، وقد ظل كذلك أبداً، ولكن شاءول كوّن المسيحية على حساب عيسى. فشاءول — الذي سمي فيما بعد بولس — هو في الحقيقة مؤسس المسيحية الحالية[2]، وكان شاءول يمتاز بأنه صاحب دراية في السياسة والإبتكار، في حين كان عيسى صاحب أوهام وأحلام، وقد أدخل بولس على ديانته بعض تعاليم اليهود ليجذب له أتباعاً من اليهود فبدأ يذيع أن عيسى منقذ ومخلّص وسيّد Lord استطاع الجنس البشري بواسطته أن ينال النجاة، وهذه الاصطلاحات التي قال بها بولس كانت شهيرة عند كثير من الفرق وبخاصة في (Mithras) و (Cubele)

---

(١) Wells: «Outline of History. Vol. III. P. 698».

(٢) في نفس الموضوع يقول Wells (أن يسوع الناصري هو نواة المسيحية أكثر منه موسساً) في كتابه «Outline of History . Vol III 679».

فانحاز أتباع هذه الفرق إلى «ديانة» بولس، وعمد بولس كذلك – ليرضي المثقفين – فاستعار من فلاسفة اليونان وبخاصة الفيلسوف Philo فكرة اتصال الإله بالأرض عن طريق «الكلمة» The Logas أو عن طريق ابن الإله The Sun of God أو عن طريق الروح القدس The Holy Ghost.

ويعتبر بولس المؤسس الحقيقي للديانة المسيحية، وقد طور فكرة المسيح من الناحية اللاهوتية والناحية الإنسانية وجعلها تتناسب مع فكرة الإنقاذ القديمة، فقدم آداباً مستحدثة في طابع قديم مألوف. وبهذا فصل دعوة عيسى عن اليهودية. ولم ينفر بولس من الطقوس الوثنية، بل على العكس اقتبس كثيراً من هذه الطقوس ليضمن نشر ديانته بين الوثنيين دون أن ينفروا منها، وليبعد ديانته أيضاً عن أن تذوب في اليهودية، ومن الصور التي حقق بها هذا الغرض أن جعل عطلة الأسبوع يوم الأحد متبعاً في ذلك تقاليد Mithras وأهمل يوم السبت وهو اليوم المقدس عند اليهود[1] .

هذا وقد اقتبس بولس من الوثنيات أعياد رأس السنة، وعيد القيامة، وعيد الغطاس، وأطلق عليها مسميات جديدة، وعيسى أصبح «ابن الله» حملت به أمه العذراء حملاً غير طبيعي واحتلت صورة العذراء والمسيح مكاناً مقدساً احتلته قديماً صورتا حوروس وأوزيرس Harus & Osiris ووضعتا في كل الكنائس.

ليس المسيح في نظر المسيحيين إنساناً ولد من امرأة كما يعتقد المسلمون بل هو تكوين آخر، أنه ابن الله الأزلي، وهو أزلي أيضاً كالأب، وليس هناك فاصل زمني بينه وبين الله. وكان أن غضب الله على الجنس

---

[1] سفر الخروج: ٣٣: ١٧. وسفر التثنية ٥: ٣.

البشري بسبب خطاياهم وخصوصا خطيئة أبو البشر آدم التي أخرجته من الجنة، ولكن مع غضب الله على البشر إلا أنه رحيم بهم، يريد أن يمحو هذا الذنب ويغفر لهم خطيئتهم ويعبد رضاه عليهم، فأرسل ابنه ووحيده إلى الأرض حيث دخل رحم مريم العذراء البتول، وولد كما يولد الأطفال، وتربى كالأطفال حتى بدا إنساناً كالبشر، ثم صلب ظلماً على الصليب، لا لأنه ارتكب خطأ في حق الرومان أو اليهود، بل ليكفر عن إثم آدم الذي أصبح المسيح كأنه أحد أبنائه، فكأنه احتمل بعض مسؤولية عصيان أبيه آدم.

وكان بعد ولادته أوحى الله إلى يوسف النجار أن يأخذ الطفل وأمه ويذهب إلى مصر[1] حيث أن هيرودوس ملك اليهود خاف على ملكه من مولود ينذر بهدمه، فأمر بقتل كل مواليد بيت لحم.

وبعد أشهر جاء يوسف وحي ينبئه بموت الملك ويأمره بالعودة إلى فلسطين[2]، فأقاموا في الناصرة، وفي إحدى الزيارات إلى أورشليم اختفى الطفل وكان سنه اثنتى عشرة سنة فبحثوا عنه فوجدوه جالساً في الهيكل يناقش العلماء[3].

وبدأ يبشر في مدينة الجليل في عمر الثلاثين، وسبّب هجوم عيسى عليه السلام على اليهود إلى تقديمه للمحاكمة ويروي متى أن رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب اجتمعوا في دار رئيس الكهنة الذي يدعى « قيافاً»

---

(1) انجيل متى، الاصحاح ١٩: الفقرة ٢٢.

(2) انجيل متى: الاصحاح ٢: ١٣ — ١٤.

(3) متى: ٢٦: ٢ — ٤.

وتشاوروا لكي يمسكوا يسوع بمكر ويقتلوه[1].

وأحس عيسى أن مؤامرات تدور للقضاء عليه وألهم أن واحداً من الحواريين سيتآمر ضده ويسلمه إلى أعدائه ويحكي متى ذلك فيقول: «ولما كان المساء إتكأ يسوع مع الاثني عشر وفيما هم يأكلون قال يسوع: الحق أقول لكم إن واحداً منكم يسلمني[2] فحزنوا جميعاً، وابتدأ كل واحد منهم يقول له: هل أنا هو؟.

وعرف المسيح أيضاً أن أحد تلامذته سينكره وهو بطرس فقد قال له المسيح: الحق أقول لك أنك في هذه الليلة قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات. فقال بطرس: لو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك.

وحسب الرواية المسيحية أن الاتفاق حصل بين يهوذا (أحد الحواريين الاثنى عشر) والجنود الرومان بقوله لهم: الذي أقبله هو هو أمسكوه. وكان هذا الاتفاق لقاء ثلاثين من الفضة، وتقدم يهوذا من المسيح وقال السلام يا سيدي وقبله، فأمسك الجنود بيسوع ومضوا إلى «قيافا» رئيس الكهنة.

وقال رئيس الكهنة أنه خير لنا أن يموت واحد ولا تهلك أمة كلها. وقرروا قتله، وأخذوا يثيرون عليه بيلاطس حاكم فلسطين من قبل الرومان، وقد توعدوا بيلاطس برفع أمره إلى القيصر عندما وجدوا منه تباطأ». وقالوا له : دمه علينا وعلى أولادنا ووافق أخيراً بعد أخذ ورد على قرار إعدام

---

(١) متى: ٢٦: ٢ — ٤.

(٢) متى ٢٦: ٢٤ — ٢٥.

المسيح وغسل يديه منه.

وبعد صلب المسيح وموته حسب الرواية المسيحية دفن وبقي ثلاثة أيام في القبر ثم قام في الفصح (عيد القيامة عند المسيحيين) وبقي أربعين يوماً مع تلاميذه يعلمهم ويرشدهم ومن الغريب حقاً أن كل الضجة التي افتعلها اليهود حتى تم القبض على المسيح وقيام جنود الرومان باقتياده ومحاكمته والمناظرة بين الكهنة وبيلاطس لم تعد قائمة عندما تروي الرواية المسيحية إن المسيح قام وبقي اربعين يوماً يعظ ويعلم تلاميذه فأين ذهب الكهنة وأين اختفى جنود الرومان والحاكم الروماني؟ ثم تتابع الرواية أن المسيح بعد الأربعين يوماً ارتفع أمام تلاميذه إلى السماء.

ويصف الأب بولس إلياس[1] الصورة التي قدمها بولس للمسيح بقوله: «لقد ترك لنا بولس الرسول عن المسيح رسماً واضح القسمات وإن اختلفت ظاهراً عن رسم مسيح الأناجيل، فمسيح بولس هو مسيح الإيمان أكثر منه مسيح التاريخ، ولا عجب فبولس الفيلسوف واللاهوتي لم ير المسيح في الجسد ولا رافقه كباقي الرسل، فمسيحه هو ابن الله[2]، له طبيعتان إلهية وإنسانية، تجسد واتخذ صورة عبد[3] وتحدر من ذرية إبراهيم حسب الجسد[4] ومات مصلوباً وقبر وقام من بين الأموات[5].

---

(١) الأب بولس الياس: «يسوع المسيح» ص ١٧ – ١٨. – انظر في هذا الموضوع أيضاً كتاب «المسيحية» مقارنة الأديان د. أحمد شلبي ص ٨٨ – ٩٤

(٢) رسالة رومية، ٨: ٣ و ٢٣ – - Epitre de Paul au Romains

ورسالة غلاطية ٤: ٤ - Epitre de Paul aux Galates

(٣) فليي ٢: ٧ - Epitre de Paul aux Philippiens

(٤) غلاطية: ٣: ١٥.

(٥) كورنتوس الأولى١: ٢٤ و ٢٧.

هذا هو مسيح بولس وليس عيسى بن مريم عليه السلام.

«فكثيراً من الثقات العصريين يعدون بولس المؤسس الحقيقي للمسيحية»[1].

وقول بولس عن نفسه: «أنا يهودي فريسي بن فريسي على رجاء قيامه الأموات» [2].

«سمعتم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهودية، إني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها. وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي في جنسي إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آبائي»[3].

ولكن بولس -الذي تقدم ذكره وصفته- أحدث أمور في العقيدة جعلته يقع في صراع مرير مع بقية الحواريين، وانفض أكثر أنصار بولس وهو يكتب بهذا إلى تلميذه تيموتاوس فيقول: «**بادر أن تجيء إلى سريعاً لأن ديماس قد تركني إذ أحب العالم الحاضر وذهب إلى تسالونيكي، وكريسكيس ذهب إلى غلاطية وتيطس إلى دلماطية. لوقا وحده معي. إسكندر النحاس أظهر لي شروراً كثيرة ليجازه الرب حسب أعماله فاحتفظ منه أنت أيضاً لأنه قاوم أقوالنا جداً. في اجتماعي الأول لم يحضر أحد معي بل الجميع تركوني**»[4] .

---

(1)

- Wells: «Outline of History Vol. III. P. 695

(2) أعمال الرسل ٢٣: ٦.

(3) غلاطية ١: ١٣ – ١٤.

(4) تيموتاوس الثانية ٤: ٩ – ١٦.

حتى برنابا الذي قدم بولس للمسيحيين[1] وأيده تخلى عنه بعد أن ظهرت إتجاهاته، وفي ذلك يقول بولس: «حتى إن برنابا أيضاً انقاد إلى رياء الآخرين»[2].

طبيعة المسيح والآراء حولها:

إن مبدأ ألوهية المسيح صعباً ومعقداً سبب كثيراً من الاختلافات والاتجاهات بين القائلين به والمنكرين له. وكان مصدر هذا الخلاف والاتجاهات المتعارضة سببها طبيعة المسيح. فهو إنسان يأكل ويشرب كما بقية الناس ويمشي على الأرض، ويتحدث كما يتحدثون، وبين الألوهية التي صدر بها قرار واصبحت اعتقاداً. لذا قامت مجامع تبحث في مسألة طبيعة المسيح الإنسانية كما الألوهية.

في اعتقاد المسيحيين أن الإله المتجسد سمي يسوع المسيح:

أما «**يسوع**» فهي كلمة عبرانية معناها «**الله يخلص**»، وقد أطلق هذا الإسم على «**ابن الله**» المتجسد نظراً للمهمة التي أتى ليقوم بها، لذلك قال الملاك لمريم عندما بشرها: «**ها أنت تحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع**»[3]. والملاك الذي ظهر ليوسف قال له متكلماً عن العذراء:

---

[1] إن الرسائل تسمى «الأسفار التعليمية» وقد كتب بولس وحده أربع عشرة رسالة وهي وحدها تمثل في حجمها خمسة أسداس الرسائل جميعاً، ويمكن القول إن رسائل بولس هي وحدها مصدر التشريع في المسيحية، وإن التشريعات التي وردت في الرسائل الأخرى كانت تكراراً وصدى لأراء بولس وتشريعاته.

[2] غلاطية ٢: ١٣.

[3] انجيل لوقا الاصحاح الأول: ٣١.

«ستلد ابنا فتسميه يسوع لأنه هو الذي يخلص شعبه من خطاياه»[1].

أما كلمة «**المسيح**» فتعني الممسوح. وقد كان الأنبياء والملوك والكهنة في العهد القديم يمسحون بزيت مقدس ينالون بواسطته نعمة لإتمام رسالتهم ولذلك كانوا يدعون مسحاء الرب. ولكن هؤلاء لم يكونوا سوى صورة ورمز ليسوع الذي وحده مسيح الرب بالمعنى الكامل أي أنه مسيح ليس بزيت ولكن بملء مواهب الروح القدس الذي حل على أنسانيته فجعل منه نبياً أنبأ بحقيقة الله كاملة وكاهناً قدم الذبيحة الوحيدة المقبولة عن خطايا البشر إلا وهي ذبيحة ذاته وملكاً يملك إلى الأبد على البشرية المؤمنة به.

وقد اختلفت آراء المسيحيين حول طبيعة المسيح وذهبت مذاهب منها من يقول بالطبيعة الواحدة ومنها من يقول بطبيعتين آلهية وإنسانية ومنها من يقول بمشيئة واحدة ومن يقول بمشيئتين.

فقد ذهب نسطور[2] في شرح مذهبه قائلاً: «إن مريم لم تلد إلهاً، لأن ما يولد من الجسد ليس إلا جسداً، ولأن المخلوق لا يلد الخالق، فمريم ولدت إنساناً، ولكن كان آله اللاهوت. وعلى هذا فمريم لا تسمى والدة الإله بل والدة المسيح الإنسان» وقد جاء اللاهوت لعيسى بعد ولادته، أي اتحد عيسى بعد الولادة بالاقنوم الثاني اتحاداً مجازياً فمنحه الله المحبة ووهبه النعمة[3].

---

[1] انجيل متى. الاصحاح الأول: ٢١.

[2] صاحب مذهب النساطرة وكان بطريرك القسطنطينية سنة ٤٣١.

[3] زكي شنودة: «تاريخ الأقباط» ص ١٥٩.

وقد وضع نسطور بذلك الأساس للقول بطبيعتين في المسيح، ذلك القول الذي سيتبناه الكاثوليك في جانب من جوانبه.

وقد اعتبر ذلك بدعة من نسطور، ولذلك طرد من منصبه ونفي من القسطنطينية[1]، وقد بقي مذهبه وانتشر في الشرق عن طريق مطران نصيبين برصوما في كل من العراق والموصل والجزيرة ولا يزال شائعاً حتى الآن.

وقد نتج مما أبداه نسطور من آراء حول طبيعة المسيح أن انعقد مجمع كنسي في مدينة افسس بالأناضول سنة ٤٣١م حرم نسطور يوس الذي أنكر أن تكون مريم أم الله، **واتخذ المجمع قراراً يوافق عقيدة البابا كيرلس بطريرك الإسكندرية، وهو يقضي بأن للمسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة،** ففي المسيح اقنوم واحد ثم بعد الاتحاد بدون اختلاط ولا امتزاج، ولذلك فالعذراء تدعى بحق والدة الإله، وقد ذكر كيرلس «إن لسيدنا يسوع المسيح أقنوماً واحداً إلهياً اتحد بالطبيعة الإنسانية اتحاداً تاماً بلا اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة، فالعذراء والحالة هذه هي بحق والدة الإله، فمريم لم تلد إنساناً عادياً بل ابن الله المتجسد ، لذلك هي حقاً أم الله»[2].

وقد يسمى هذا المذهب بالمذهب اليعقوبي نسبة إلى الداعية يعقوب البرادعي الذي قام بالدعوة لهذا المذهب ونشره.

وكان هذا المذهب حول طبيعة المسيح من الأسباب التي فصلت

---

(١) بعد نفيه ذهب إلى مصر وأقام بأخميم ثم مات هناك.

(٢) زكي شنودة: «تاريخ الأقباط» ص ١٦٠ — ١٦١.

الكنيسة الشرقية عن الكنيسة الغربية.

يتفق المذهب الكاثوليكي الملكاني[1]. كما ذكرنا سابقاً في جانب واحد مع المذهب النسطوري في أن للمسيح طبيعتين ولكن يختلف عنه بأن المذهب الكاثوليكي يقل بطبيعتين ومشيئتين وقد اعتنقته كنيسة روما، واتخذت به قراراً في مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ (الذي حدد طبيعتي المسيح وحرم أصحاب الطبيعة الواحدة) يقول هذا المذهب بأن للمسيح طبيعتين ومشيئتين، فالمسيح أقنوم إلهي بحث، ولكن له ذاتان وكيانان هما الإله والإنسان.

وكنيسة هؤلاء من الطقس البيزنطي، وتنتشر الملكانية في منطقة الشرق الأوسط، ولصلتهم بالطقس البيزنطي تسمى كنيستهم بكنيسة الروم.

---

(١) حول كلمة «الملكين»: اجمع كل مؤرخي النصرانية على أن هذا اللقب نشأ في القرن الخامس أطلقه اليعاقبة على من خالفهم من نصارى الشرق، ووافقوا مرقيان الملك على قبول المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١م. وكان أول اطلاقه في الإسكندرية حين أراد اليعاقبة التمييز عن الروم فتسموا بالقبط أي المصريين وسموا من خالفهم الملكيين[1]. ويستدل من شهادة المؤرخ ايفاغريوس من أهل القرن السادس أن أصل وصفه سنة ٤٦٠ كان قبلاً باللغة اليونانية قبل فيه Baa1λkoɛ[2] أي الملك، وبه عبر تيموتاوس بطريريك الإسكندرية (٤٨٢ – ٤٦٠) تعريضاً بأنه بطريرك الملك لانتحاله رأيه في المجمع الخلقيدوني وهذا المعنى هو نفس المراد بلقب الملكية[3].

(١)

L: Duchesne: Autonomies Ecclésiastiques. Églises séparées. 1896. P. 52. Evagre Livre II chap. II, t. 88.

(٢)

L. Duchesne: Histoire Ancienne de l'église. T III. P. 486

وتعتقد الكنيسة الارتوذكسية أن للمسيح طبيعتين[1]: آلهية وإنسانية متحدثين في شخص واحد، شخص ابن الله المتجسد، وإن هذا الاتحاد قائم بدون انقسام أو انفصال أو تحول أو اختلاط، أي أن كلا من هاتين الطبيعتين تحتفظ بصفاتها الخاصة، فلا تفقد الطبيعة الإلهية صفاتها الإلهية ولا تفقد الطبيعة الإنسانية صفاتها الإنسانية (بدون تحول واختلاط) ولكنهما متحدثان في شخص واحد (بدون إنقسام أو انفصال) ويمكن تصورها في الاعتقاد المسيحي كمثل الحديد المحمى بالنار، فالحديد لم يزل حديداً والنار ناراً، ولكن ليس هناك انفصال بين النار والحديد إذ هما مجتمعان في قطعة الحديد المحمى.

وبعبارة أخرى تعتقد الكنيسة أن يسوع المسيح إله تام وإنسان تام، إله حقيقي وإنسان حقيقي، ولكنه شخص واحد لأن ابن الله ضم الطبيعة الإنسانية إلى لاهوته وجعل الطبيعة الإنسانية واللاهوت شخصاً الإله المتجسد، وقد كان هذا التدبير الإلهي ضرورياً للخلاص، لأنه لو كان المسيح إلهاً فقط ولو كان اللاهوت والناسوت في المسيح منفصلين فكيف يتم بين الله والإنسان ذلك الاتحاد الحميمي الذي به تتجدد الإنسانية وتتأله؟ هذا الاعتقاد القويم في شخص المسيح شرط أساسي لإدراك الخلاص الذي منحه الرب لهم، كما أنه حجر الزاوية في الحياة الروحية، لأنه إذا كان اللاهوت قد اتحد بالناسوت في شخص المسيح دون أن يبطل هذا الناسوت. فذلك يعني إمكانية الاتحاد بالإله دون أن تذوب الإنسانية وتمحو.

ولما استفحل الخلاف بين الارتوذكس وأتباع الطبيعة الواحدة أراد

---

[1] القول بالطبيعتين حدده المجمع المسكوني الرابع المنعقد في سنة ٤٥١ خلقيدونية (آسيا الصغرى) والذي لم تأخذ به الكنائس الشرقية القديمة (السريان، الأقباط، الأحباش، الأرمن).

البعض بضغط من الإمبراطور، أن يوفقوا بين وجهتي النظر، فأستعاضوا عن عبارة «**طبيعة واحدة**» بعبارة «**مشيئة واحدة**» قائلين أن في المسيح طبيعتين ولكن المشيئة الإنسانية فيه ذابت في المشيئة الإلهية. ولكن المجمع السادس المسكوني سنة ٦٨٠ في القسطنطينية دحض هذه البدعة الجديدة مثبتاً أن للمسيح إرادة إنسانية تتميز عن الإرادة الإلهية.

فالإرادة الإلهية للمسيح هي إرادة الأب عينها: «**أنا والأب واحد**» أما الإرادة الإنسانية فيه فقائمة بذاتها ولكن المسيح بحريته أخضعها طيلة حياته وحتى الموت، موت الصليب باعتقادهم لإرادة الأب.

ويورد يوحنا في إنجيله (الاصحاح الخامس: ٣٠) قول المسيح «**لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الأب الذي أرسلني**». فللمسيح باعتقادهم إذن كإنسان مشيئة متميزة عن مشيئة الأب ولكنه بحريته يرفض أن تدعها تختلف عن مشيئة الأب، وهذا ما يظهر أيضاً ما ذكره متى في إنجيله (الاصحاح ٢٦: ٣٩) عندما صلى المسيح في بستان الجسمانية «**يا أبتاه إن شئت أن تعبر عني هذا الكأس**»، وهنا ظهرت مشيئته الإنسانية بأن يعفى من الآلام، ولكنه أردف قائلاً: «**ولكن لتكن مشيئتك وليس مشيئتي**». وهنا أخضع إرادته الإنسانية خضوعاً كاملاً للمشيئة الإلهية.

العقيدة المسيحية في المصادر المسيحية:

إن جوهر العقيدة المسيحية التي لا تختلف بالنسبة لها الكنائس هو ما ورد في المجمع النيقاوي: الإيمان بإله واحد، أب واحد، ضابط الكل، خالق السماء والأرض، كل ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد، يسوع الإبن الوحيـــد المولود من الأب قبل الدهـــور من نور الله، إله حق من إله حق ،

مولود غير مخلوق، مساو للأب في الجوهر، الذي به كان كل شيء، والذي من أجل البشر، ومن أجل خطاياهم نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء تأنس، وصلب عن الناس على عهد بيلاطس، وتألم وقبر، وقام من الأموات في اليوم الثالث على ما في الكتب؟ وصعد إلى السماء وجلس على يمين الرب، وسيأتي بمجد ليدين الأحياء والأموات، ولا فناء لملكه، والإيمان بالروح القدس الرب المحي المنبثق من الأب، الذي هو مع الإبن يسجد له، ويمجد، الناطق بالأنبياء».

هذا هو موجز العقيدة المسيحية وعلى هذا الأساس فالعقيدة تقوم على ثلاثة عناصر:

١- التثليث والإيمان بثلاثة أقانيم.

٢- صلب المسيح فداء عن الخليقة وقيامه من قبره، ورفعه.

٣- أنه يدين الأحياء والأموات.

عقيـــدة التثليث:

يقول د. بوست في تاريخ الكتاب المقدس. «طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية. الله الأب، والله الابن، والله الروح القدس، فإلى الأب ينتمي الخلق بواسطة الإبن، وإلى الإبن الفداء، وإلى الروح القدس التطهير، ويفهم من هذا أن الأقانيم الثلاثة عناصر متلازمة، ملازمة لذات الخالق.

ويدعى الأقنوم الأول الأب ويظهر من هذه التسمية أنه مصدر كل شيء ومرجعها، وإن نسـبته للكلمة ليست صورية بل شـخصية حقيقية،

ويمثل للأفهام محبته الفائقة، وحكمته الرائعة، ويدعى الأقنوم الثاني الكلمة، لأنه يعلن مشيئته بعبارة وافية، وأنه وسيط المخابرة بين الله والناس، ويدعى أيضاً الابن، لأنه يمثل العقل نسبة المحبة، والوحدة بينه وبين أبيه، وطاعته الكاملة لمشيئته، والتمييز بين نسبته هو إلى أبيه ونسبة كل الأشياء إليه، ويدعى الأقنوم الثالث الروح القدس، للدلالة على النسبة بينه وبين الأب والإبن، وعلى عمله في تنوير أرواح البشر، وحثهم على طاعته.

ويقولون أنه مما تقدم يظهر جلياً أن عبارة الإبن لا تشير كما فهم بعضهم خطأ إلى ولادة بشرية، ولكنها تصف سرية فائقة بين أقنوم وآخر في اللاهوت الواحد، وإذا أراد الله أن يفهمنا تلك النسبة لم تكن عبارة أنسب من الإبن للدلالة على المحبة والوحدة في الذات، والأمانة للمشورة الإلهية، وأما من حيث الولادة البشرية فالله متره عنها، لأجل هذه الإيضاحات الجليلة علم خدام الدين المسيحي واللاهوتيون حسب ما قررته الكلمة الإلهية إن في اللاهوت ثلاثة أقانيم، حسب نص الكلمة الأزلية، ولكل منهم عمل خاص في البشر»

إن المسيحيين على اختلافهم يعتقدون أن في اللاهوت ثلاثة يعبدون وعباراهم تفيد بمقتضاها أهم متغايرون، وإن اتحدوا في الجوهر والقدم، والصفات، والتشابه بينهم كامل، ولكن كتاهم يحاولون أن يجعلوهم جميعاً أقانيم لشيء واحد.

ويقول صاحب رسالة الأصول والفروع[1] بعد بيان عقيدة التثليث **«قد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا، ونرجو أن نفهمه فهماً أكثر**

---

[1] الأب القسيس بوطر – في كتابه ص ٤٣ – ٤٥.

جلاء في المستقبل، حين ينكشف لنا الحجاب عن كل ما في السماوات وما في الأرض. وأما في الوقت الحاضر ففي القدر الذي فهمناه كفاية»، أي أن عقيدة التثليث لا يمكن أن تنكشف للنفس على وجهها إلا يوم تتجلى كل الأشياء لها يوم القيامة. **وذلك حق، فإنهم لا يعلمون حقيقتها إلا يوم يحاسبهم الله عليها.**

يقول Maior **«ينبغي أن يلاحظ أن عيسى لم يدع أنه ابن الله من الناحية الحسية الجسمانية، ولا من الناحية الفكرية العقلية، وإنما من الناحية العامة التي تضع كل الناس من الله بمترله الأبناء من الأب في التعلق به، والاعتماد عليه، والحاجة إليه»**[1].

إن كلمة ابن الله أو قول الله تعالى: هذا ابني الحبيب لو صح هذا القول أو ذاك لما كان دليلاً على ألوهية المسيح فإنه استعمال مجازي معناه التكريم، وفي الحديث القدسي جاء فيه قوله تعالى: «**الفقراء عيالي**».

– وردت في الأناجيل عبارات كثيرة تقرر توحيد الله وتفيد بوضوح أن المسيح بشر رسول:

– يروي متى عن عيسى قوله: **«إن أباكم واحد الذي في السموات»** (اصحاح ٢٣: ٨).

– وجاء في إنجيل متى: **«هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل»** (إصحاح ٢١: ١١)

(١) H.D.A. Maior. Islamic Review. Vol. IX. No.2 P.P. 276-7.

- وجاء في إنجيل لوقا: «**قد خرج فينا نبيّ عظيم**» (اصحاح ٧: ١٦)

- ويروي لوقا عن عيسى قوله: «**لا يمكن أن يهلك بني خارج أورشليم. يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين**» (اصحاح ١٣: ٢٣).

- ويروي يوحنا: «**إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم**» (اصحاح ٦: ١٤ و ٧)

مما تقدم يتضح أن عقيدة التثليث قد استمدت عناصرها من الأفكار الفلسفية ومن الديانات الوثنية.

فكما يقول ليون غويته أن التزاوج بين العقيدة اليهودية والفلسفة الإغريقية لم ينتج فلسفة فقط، بل أنتج معها ديناً أيضاً، أعني المسيحية التي تشربت كثيراً من الآراء والأفكار الفلسفية عن اليونان. ذلك أن اللاهوت المسيحي مقتبس من نفس المعين الذي كانت فيه الأفلاطونية الحديثة ولذا نجد بينهما (أي اللاهوت المسيحي والأفلاطونية الحديثة) مشابهات كبيرة، وأن افترقا أحياناً في بعض التفاصيل. فإنهما يرتكزان على عقيدة التثليث، والثلاثة الأقانيم واحدة فيهما.

ويلاحظ أن الأقانيم الثلاثة ليست في نظر الأفلاطونية الحديثة متساوية في الجوهر والرتبة بينما هي متساوية عند المسيحية[1].

---

[1] كتابه: «مقدمة أو المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية تأليف المستشرق ليون غوتيه. باريس ١٩٢٣ L. Gauthier.

آما فيما خص الديانات الوثنية يقول «برتشرد»[1]«**لا تخلو كافة الأبحاث الدينية المأخوذة من مصادر شرقية من ذكر أحد أنواع التثليت أو التولد الثلاثي (الأب والإبن وروح القدس) وقال موريس[2] كان عند أكثر الأمم البائدة الوثنية تعاليم دينية جاء فيها القول باللاهوت الثالوثي (أي أن الإله ذو ثلاثة أقانيم).**

وجاء في كتاب (سكان أوروبا الأول) كان الوثنيون القدماء **يعتقدون بابن الإله واحد ولكنه ذو ثلاثة أقانيم».**

كذلك قال Doane [3]«**إذا رجعنا البصر نحو الهند نرى أن أعظم وأشهر عباداهم اللاهوتية هو التثليت (أي القول بأن الإله ذو ثلاثة أقانيم).**

ويدعو هذا التعليم بلغتهم «**تري مورتى**» وهي جملة مركبة من كلمتين سنسكريتين أما «**ترى**» فمعناها «**ثلاثة**» ومورتي معناها «**هيئات**» أو أقانيم وهي (برهمة وفشنو وسيفا) ثلاثة أقانيم غير منفكين عن الوحدة وهي الرب والمخلص وسيفا ومجموع هذه الأقانيم الثلاثة إله واحد. وتحول مع الخلق إلى برهمة الخالق وفشنو الحافظ وسيفا المهلك.

وقال المستر فابر[4]: «**وكما نجد عند الهنود ثالوثاً مؤلفاً من برهمة وفشنو وسيفا هكذا نجد عن البوذيين فإهم يقولون أن بوذا إله ويقولون**

---

(١) Prichard: "An Analysis of the Historical records of Ancient Egypt" P. 285.

(٢) Maurice: "Indian Antiquities". P. 35 Vol: VI

(٣) Doane: "Bible Myths and Their Parllels in other Religions" P. 366

(٤) Fabre: "Origin of Heathen Idolatry".

بأقانيمه الثلاثة وقد جاء في الكتب الصينية أن أصل كل شيء واحد وهذا الواحد الذي هو أصل الوجود اضطر إلى إيجاد ثان والأول والثاني انبثق منهما ثالث ومن هذه الثلاثة صدر كل شيء.

أنه كذلك ورد في كثير من الديانات (لن ندخل في تفاصيلها) عند المصريين والفينيقين والفنلندين والاسكندنافيون والتتر والمكسيكيون كل هؤلاء كانوا يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم.

والتثليث عند النصارى ورد في كتبهم:

ففي رسالة يوحنا الأولى الإصحاح الخامس العدد ٧ «**فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الأب والكلمة وروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم في واحد**».

وفي إنجيل يوحنا الاصحاح الأول العدد الأول «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله...» العدد الثالث «كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان». وهناك الفقرات الأخرى العديدة في الأناجيل التي وردت في هذا الخصوص.

صلب المسيح فداء عن الخليقة

إن صلب المسيح هو الركن الثاني من أسس العقيدة المسيحية ويعود هذا الموضوع إلى أن العدل والرحمة من صفات الله وبمقتضى صفة العدل كان على الله أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التي إرتكبها أبوهم وطرد بها من الجنة واستحق هو وأبناؤه البعد عن الله بسببها، وبمقتضى صفة

الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر، ولم يكن هناك من طريق للجمع بين العدل والرحمة إلا بتوسط ابن الله ووحيده وقبوله أن يظهر في شكل إنسان وأن يعيش كما يعيش الإنسان ثم يصلب ظلماً ليكفر عن خطيئة البشر[1]. وقد ورد في العهد الجديد إن ابن الإنسان قد جاء ليخلص ما قد هلك، فبمحبته ورحمته قد صنع طريقاً للخلاص، لهذا كان المسيح هو الذي يكفر عن خطايا العالم. وهو الوسيط الذي وفق بين محبة الله تعالى وبين عدله ورحمته، إذ أن مقتضى العدل أن الناس كانوا يستمرون في الابتعاد عن الله بسبب ما اقترف أبوهم، ولكن باقتران العدل والرحمة وبتوسط الإبن الوحيد، وقبوله للتكفير عن خطايا الخلق، قرب الناس من الرب بعد الابتعاد[2].

وهنا نتساءل إذا كان المسيح عليه السلام قد نزل ليصلب على الصليب تكفيراً عن خطيئة البشر كما يقولون فلماذا لم تكن عملية الصلب هذه ونهاية المسيح سهلة يقوم المسيح بإعدادها لتنفيذ الخطيئة دون المرور بدعوة اليهود وإثارتهم وتقديم نفسه بالتالي للمحاكمة ويوجد صراعاً بين اليهود ومن اتبعه فإذا كان مجيئه لخلاص البشرية من خطيئتهم فلما وقع صراع دموي وذهب من جراء هذه الفدية قتلى وحقد وقتال طويل الأمد بين الفئتين؟

---

[1] «الإنجيل والصليب» الأستاذ عبد الأحد داود. ص ٦ – ٧. «وتاريخ الأقباط» الأستاذ زكي شنودة ص ٣٤١.

[2] راجع إنجيل مرقص الاصحاح العاشر الفقرة ٤٤ وما بعدها. وإنجيل يوحنا الاصحاح الثالث، فقرة ١٦ ورسالة رومية ٣: ٢٣ وما بعدها و ٥: ١٠ والاصحاح السادس.

يقول الأب بولس الخوري في مسألة الخطيئة والصلب أن بولس هو مبتدع هذه الفكرة وقد حمل هو وتلميذه الحبيب لوقا لواء الدعاية لها. إذ أن فكرة الرفق بالبشر حمل الله على إرسال ابنه الوحيد ليفتديهم على الصليب وينتقل بهم من عصر الناموس الموسوي إلى عهد النعمة. وهذه الفكرة قد هيمنت على إنجيل لوقا[1].

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن إذا كان الله قد أرسل ابنه الوحيد ليفتدي البشرية وإذا كان الكلمة قد تجسد لمحو الخطيئة الأصلية فما العمل في الخطايا التي تحدث بعد ذلك؟

ويجيب عن هذا السؤال الأب بولس شباط: «**إذا عاد الناس إلى اجتراح الخطايا فالذنب ذنبهم، لأنهم أنسوا النور وعشّوا عنه مؤثرين الظلمة بإرادهم**»[2].

ويعني هذا أن خطيئة آدم قد محيت وهي واحدة بينما ملايين الخطايا سواها بقيت ناهيك عن ملايين أخرى جدت بعد ذلك وسيحاسب الناس على ما اقترفوه، ومن تفحص ما اقترفوه يتبين لنا أنه أقسى من عصيان آدم (آدم عصى الله و لم يكفر به)، لقد أنكر بعض الناس وجود الله، وهاجمه آخرون وسخروا بجنته وناره، فلماذا كانت مظاهرة التجسد لخطيئة واحدة وتركت خطايا أعظم وأكبر لا تعد؟

ويدفعنا هذا السؤال إلى طرح أسئلة أخرى : إذا كان صلب

---

(1) كتاب «يسوع المسيح» ص ٢٨ و ٩٢ — ٩٣.

(2) الأب بولس شباط: المشرع ص ٤٤.

المسيح عليه السلام رحمة وعدل، فأين كان عدل الله ورحمته منذ حادثة آدم حتى صلب المسيح؟ وإذا كان الله سبحانه وتعالى أحدث حادثة صلب المسيح لمحو الخطيئة، هل يعني ذلك أن الله تعالى كان حائراً بين العدل والرحمة آلاف السنين حتى قبل منذ ألفي عام أن يصلب المسيح للتكفير عن خطيئة آدم؟[1].

– وأين التوازن بين الخطيئة والعقاب عليها في شرع الله؟

– ألم يأخذ آدم عقابه على خطيئته – الأكل من الشجرة المنهي عنها – بأن أخرج من الجنة؟

– أليس الحرمان من جنة قطوفها دانية، والخروج إلى الكدح والتعب عقاب ليس باليهن؟

– ألم يكن باستطاعة الله أن يفعل بآدم أكثر من ذلك بدل أن يضمر السوء غاضباً آلاف السنين حتى وقت صلب عيسى المسيح؟

– ألم يمر بالبشرية أحداث هلك فيها كثيرون ممن طغى وتجبر؟ أين منها الطوفان في عهد نوح عليه السلام. ألم يهلك الجميع و لم ينج إلا من آمن بنوح وأتبعه وركب معه السفينة؟

---

[1] أين هذا مما ورد في القرآن الكريم حيث قال تعالى: «فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم،*قلنا أهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداي فلا خوفعليهم ولا هم يحزنون* والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون* سورة البقرة الآيات ٣٧ – ٣٩.

ألم يكن هؤلاء الذين نجوا من الطوفان في عهد نوح هم من رضي الله عنه؟ فكيف تبقى الضغينة والكراهية؟ وكيف يعقل بقاءهما حتى يضحي المسيح بنفسه فداء للبشرية؟

وفي رده منتقداً لقصة التكفير هذه يقول «الأستاذ عبد الأحد داود»[1]:

إن من العجيب أن يعتقد المسيحيون أن هذا السر اللاهوتي وهو خطيئة آدم وغضب الله على الجنس البشري بسببها، ظل مكتوماً عن كل الأنبياء السابقين، ولم تكتشفه إلا الكنيسة بعد حادثة الصلب»[2].

ويقول هذا الكاتب إن مما حمله على ترك المسيحية، هو هذه المسألة وظهور بطلانها لأن الكنيسة أمرته بأوامر لم يستسغها عقله وهي:

أ- نوع البشر مذنب بصورة قطعية ويستحق الهلاك الأبدي.

ب- الله لا يخلص أحداً من هؤلاء المذنبين من النار الأبدية المستحقة عليهم، بدون شفيع.

ج- والشفيع لا بد أن يكون إلهاً تاماً وبشراً تاماً.

---

[1] وهو مسيحي أسلم كان من أتباع طائفة الكلدانيين الموحدين، التابعة للكنيسة الكاثوليكية الرومانية. وكان يحمل شهادة الليسانس في علم اللاهوت. ولد عام ١٨٦٧ وهو قسيس الروم الكاثوليك لطائفته.

وكان اسمه قبل الإسلام القسيس دافيد بنجامين كلداني.

[2] كتاب الإنجيل والصليب ص ٦٢.

والنقاش الذي دار بينه وبين المسيحين يدور حول هذه الأمور، فهؤلاء يروا أن الشفيع لا بد أن يكون مطهراً من خطيئة آدم، ويرون أن لذلك ولد عيسى من غير أب لينجو من انحدار الخطيئة إليه من أبيه، وسألهم الكاتب: ألم يأخذ عيسى نصيباً من الخطيئة عن طريق أمه مريم؟

وأجابه هؤلاء كانت بأن الله طهر مريم من الخطيئة قبل أن يدخل الله الإبن رحمها. ويسأل مرة أخرى: إذا كان الله يستطيع هكذا في سهولة ويسر أن يطهر بعض خلقه، فلماذا لم يطهر خلقه من الخطيئة كذلك بمثل هذه السهولة وذلك اليسر؟ بدون إنزال ابنه وبدون تمثيلية الولادة والصلب [1].

ويسأل الدكتور أحمد شلبي في نفس الموضوع فيقول:

- هل كان الأنبياء جميعاً قبل عيسى مدنسين خطاة بسبب خطيئة أبيهم آدم؟
- وهل كان الله غاضباً أيضاً؟
- وكيف إختارهم مع ذلك لهداية البشر؟

كما مر معنا أن عقيدة التثليث أتت من الفلسفة الإغريقية والعقائد الوثنية، كذلك نر أن فكرة الصلب للتكفير ليست من المسيحية في شيء، ويبدو أنها وردت من عقائد أخرى، وبخاصة عقيدة الهنود، والبوذبين.

---

[1] المصدر السابق ص ١٢٤ – ١٢٧.

الصلب عند الوثنين:

يقول العلامة Doane [1] أن تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة ذبيحة فداء عن الخطيئة قديم العهد جداً عند الهنود الوثنيين وغيرهم وذكر هذه التقدمة عند الهنود سابق لعصر الفديك[2] Vedic وكتاب الركفدا يمثل الآلهة يقدمون بروشا وهو الذكر الأول قرباناً ويعدونه مساوياً للخالق وجاء في كتاب التزيا برهمانا ما نصه **«وسيد المخلوقات» «برجاباتي» قدم نفسه ذبيحة للآلهة»**.

ويقول العلامة Higgins [3] نقلاً عما كتبه أندرادا الكروزويوس وهذا المذكور أول أوروبي دخل بلاد النيبال والتيبت **«وقال عند تكلمه عن الإله اندرا الذي يعبدونه ويقولون أنه سفك دمه بالصلب وثقب المسامير كي يخلص البشر من ذنوبهم: إن صورة الصلب موجودة في كتبهم»**.

وتقول Jameson **«كان الميليتيون يمثلون الإله إنساناً مصلوباً مقيد اليدين والرجلين بحبل على خشبة وتحت رجليه صورة حمل والسوريون يقولون أن تموز الإله المولود البكر من عذراء تألم من أجل الناس ويدعونه – المخلص – والفادي والمصلوب وكانوا يحتفلون في يوم**

---

(1) في كتابه Doane , Bible Myths and Their Parllels in other Religions, P. 181- - 182

(2) فيديك من فيدا Vida ومعناها العلم (بالدينيات) وهي كتابات شعرية وترنيمات للهنود مؤلفة من أربعة كتب وقد كتبت قبل المسيح بألف عام.

(3)

Higgins The Celtie Druids.

مخصوص من السنة تذكارا لموته فيصنعون صنما على أنه هو يضعونه على فراش ويندبون والكهنة ترتل قائلة – ثقوا بربكم فإن الآلام التي قاساها قد جلبت لنا الخلاص»[١].

قال Doane «وكان الوثنيون يدعون بروميسيون مخلصاً كما يدعونه أيضاً، الإله الحي، صديق البشر، المقدم ذبيحة لخلاص الناس».

وقال أيضاً [٢] «وكان الوثنيون يدعون بوخص ابن المشتري من العذراء المخلص – الابن الوحيد – الذبيح – حامل الخطايا – الفادي – وكانوا يقولون «ولما كثر ايستر في الأرض طلب بندورا وتوسل إلى المشتري سيد الآلهة كي يأتي ويخلص الناس من الآثام والخطايا فاستجاب المشتري لهم وجعل ابنه مخلصاً للمذنبين في العالم وتعهد بوخص الفادي بتحرير الأرض من الأوزار وأنه سيعبده الناس ويرتلون التسابيح تمجيداً لإسمه ومن أجل تتميم هذا العمل حلّ الإله المشتري في سميل العذراء البديعة فحملت والدة الإله وقال بوخص الفادي للأمم أنا مرشدكم وحاميكم وفاديكم أنا الألف والاميكا».

وكان الفرس يدعون مترا «الوسيط بين الله والناس والمخلص الذي بتألمه خلص الناس ففداهم» ويدعونه «الكلمة» و «الفادي» ويعتقدون أيضاً بأن زروستر المتشرع مرسل إلهي أرسل ليخلص الناس من الطرق الشريرة وإلى هذا الحين نرى أتباعه يدعونه زروستر «الحي المبارك

---

(١) Jameson: The History of our Lord.

(٢) Doane. Ibid. 192, 193.

المولود البكر الواحد الأبدي» وما شاكل ذلك من الألقاب وأنه لما ولد ظهر نور أضاء الغرفة التي ولد فيها وأنه ضحك على أمه من حين ولادته ويدعونه **«النور الشعشعاني البارز من شجرة المعرفة الذي علق على شجرة».**

فيما خص الصلب نجد أن الأناجيل الأربعة المعتمدة عند النصارى اختلفت اختلافاً كبيراً في إيراد قصته، مما يستدعي التعجب أن تختلف هذه الأناجيل في أساس وركن هام من أسس الديانة المسيحية. ولو أن هذا الأمر أساس وأن المسيح أنبأ به، لكان الاهتمام والحرص على تدوينه متساوياً أو متقارباً. أما أن نجد هذا التفاوت بين الأناجيل في هذا الخصوص وكما يذكر الأستاذ عبد الوهاب النجار أنه وجد أربعة وثلاثين وجهاً من أوجه التضاد بين هذه النصوص، وبالتالي فالاستدلال بهذه النصوص يسقط وبالتالي قيمة الفكرة أيضاً [1].

وبولس الذي ابتدع قصة نزول «ابن الإله» ليضحي بنفسه تكفيراً عن خطيئة البشر، هو نفسه الذي كتب يقول عن المسيح عندما قبض عليه واتجهوا به للصلب إنه «قدّم بصراخ شديد ودموع وطلبات وتضرعات لعل أحداً يستطيع أن يخلصه من الموت» [2].

محاسبة المسيح للناس وإدانة الأحياء والأموات:

إن الركن الثالث من أركان وأسس العقيدة المسيحية هو محاسبة المسيح للناس يوم الدينونة ويرى المسيحيون أن الآب أعطى سلطان الحساب للابن، وذلك لأن الإبن – بالإضافة إلى ألوهيته وأبديته – إبن

---

(1) عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء. ص ٤٣٢ – ٤٤٨.

(2) رسالة بولس إلى العبرانيين: ٥: ٧.

الإنسان أيضا، فهو أولى بمحاسبة الإنسان[1]. وبالعودة إلى نصوص العهد الجديد نجدها تقرر هذا المبدأ، نورد بعضاً منها:

- في رسالة بولس إلى أهل أفسس جاء قوله: **«أقام الله المسيح من الأموات وأجلسه عن يمينه في السموات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة، وأخضع كل شيء تحت قدميه»**[2].

- وفي رسالته لأهل روميه: **«إننا جميعاً سوف نقف أمام كرسي المسيح»**[3].

- وفي إنجيل يوحنا: **«الأب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن»**[4].

- ويروي يوحنا عن عيسى قوله: **«أنا أسمع وأدين ودينونتي عادلة»**[5].

الكتاب المقدس:

يشمل الكتاب المقدس قسمين: - العهد القديم ومنه التوراة. والعهد الجديد ومنه الإنجيل.

ورغم أن المسيحيين يقدسـون التوراة فإنهم لم يتبعوها، فقد

---

(1) أنظر دائرة المعارف البريطانية، الجزء الخامس ص ٦٣٢.

(2) الاصحاح الأول: الفقرة ٢٢. والاصحاح الخامس.

(3) الاصحاح الرابع عشر الفقرة ١٠.

(4) الاصحاح الخامس الفقرة ٢٢.

(5) الاصحاح الخامس الفقرة ٢٠.

خرجوا على محرماتها فأحلوها، ولم يلتزموا بحدودها فانتهكوها. ولما عجزوا عن التصرف في نصوصها لأن أصولها ثابتة عند أندادهم اليهود، لجأوا إلى «المجامع» يغيرون بها ما يشاؤون مما نصت عليه التوراة، وعملوا مرات أخرى على تأويل نصوصها وتفسيرها بما يناسب أنجيلهم محاولين في ذلك إيجاد أدلة على قولهم بألوهية المسيح والوهية الروح القدس.

ولفهم العقيدة المسيحية جيداً علينا دراسة العهد الجديد (الإنجيل).

والإنجيل كلمة يونانية (Gospel) تعني «**الحلواني أو البشارة**» وهي ما تعطى لمن أتى (ببشرى). ثم عرفت بأنها البشرى نفسها، وقد استعملها المسيح عليه السلام بمعنى بشرى الخلاص التي أتى بها إلى البشر. واستعملت أيضاً بمعنى مجمل تعاليم المسيح لأن فيها الخلاص، أو سيرة حياة وموت المسيح، لأن في هذه السيرة حياة وموت المسيح. لأن في هذه السيرة معنى الخلاص أيضاً [1].

وقد غلب استعمالها الأخير بمعنى الكتاب الذي يتضمن البشرى فنقول مثلاً: إنجيل يوحنا، إنجيل لوقا.

أقسام العهد الجديد:

يتضمن العهد الجديد الأناجيل الأربعة بالإضافة لرسائل كتبها عدد من تلاميذ المسيح وأتباعهم ملحقة بهذه الأناجيل. وهي بمجملها سبعة وعشرين سفراً. ويقسم العهد الجديد إلى ثلاثة أقسام:

---

[1] أنظر أنجيل متى الأصحاح ٢٦ الفقرة ١٣، رسالة إفس ١: ١٢، رسالة غملاطيه ٢:٧.

قسم الأسفار التاريخية:

ويتضمن خمسة أسفار هي الأناجيل الأربعة، (إنجيل متى وإنجيل مرقس،وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا) ورسالة أعمال الرسل التي كتبها لوقا، وسميت هذه الأسفار تاريخية لأنها تحوي قصصاً تاريخية.

فالأناجيل تحوي قصة حياة عيسى عليه السلام وتاريخه وعظاته ومعجزاته ورسالة أعمال الرسل تحوي قصة معلمي المسيحية وبخاصة بولس.

قسم الأسفار التعليمية:

وتشمل ٢٢ رسالة.

وقد كتب منها بولس ١٤ رسالة ويكون بالتالي واضع أكثر التشريعات المسيحية.

أما القسم الثالث:

فهو رؤيا يوحنا اللاهوتي[١]. وتسمى رؤيا لأنها أشبه بالأحلام ولكن يوحنا هذا رآها في اليقظة.

ولكل من الأناجيل الأربعة خاصياته المميزة له التي تفرد بها، وذلك بسبب غرض الكاتب من كتابه، والأشخاص الذين كتب لهم.

---

(١) أنظر كتاب: «يسوع المسيح» للأب بولس الياس. ص ١٧.

- فقد كتب متى[1] إنجيله من وجهة النظر اليهودية، وهو يقدم المسيح أنه النبي المبشر به، الذي تمت فيه نبوات العهد القديم.

- وكتب مرقس[2] للأمم غير اليهودية، والرومانيين منهم بوجه خاص.

- ولوقا[3] كتب للمثقفين من اليونان.

- تسمى الأناجيل الثلاثة السابقة: (بالأناجيل المتشابهة) إذ تركز حول تبشير المسيح ومناداته في الجليل.

- أما الإنجيل الرابع: فهو إنجيل يوحنا[4]، ويركز على عمل المسيح في اليهودية (القسم الجنوبي من فلسطين).

هذه الأناجيل والرسائل والرؤيا هي مجموعة الكتب المقدسة التي يقال للكتاب الذي يجمعها «**الكتاب المقدس**».

---

(1) وتعني «مثتيا» وهي كلمة عبرية تعني «عطية يهوة» ومتى هو: لاوي بن حلفي؛ أحد تلاميذ المسيح ورسله الاثني عشر. وهو أول من كتب الإنجيل. وكانت كتابته في السنة الثامنة بعد وفاة المسيح.

(2) «ومرقص» كلمة لاتينية تعني «المطرقة» وقد كتب إنجيله حين كان في رومية مع بطرس نحو السنة الثانية عشرة بعد وفاة المسيح. ويعتبر هذه الإنجيل هو أقصر الأناجيل الأربعة.

(3) لوقا اسم لاتيني الأصل، وقد كتب إنجيله بعد وفاة المسيح بأربع وعشرين سنة.

(4) ويوحنا صيغة عربية للاسم العبري يوحنان ومعناه «يهوه حنون».

وكتب يوحنا بن زبدي إنجيله في أواخر عمره، وذلك في أواخر القرن الأول للكنيسة والغرض من تأليفه إثبات كون المسيح عيسى بن مريم هو ابن الله! دحضاً لآراء من يخالف ذلك. وقد ذكــر في إنجيله أشياء كثيرة لم تذكر في بقية الأناجيل.

من المفروض أن تأسس العقيدة المسيحية على الكتب والأناجيل، بينما الواقع عكس ذلك إذا تأسست الأناجيل على المعتقدات. وقد نشأت المعتقدات بواسطة بولس وقد كتب بولس رسائله بين سنة ٥٥ وسنة ٦٣ ميلادية وبدأ الإنجيليون كتابه كتبهم في سنة ٦٣، وقد رجحت كفة بولس ومنعقداته فتأثرت الأناجيل الأخرى بهذه الرسائل[١].

وهناك أناجيل أخرى متعددة عن حياة المسيح ودعوته، منها إنجيل عيسى بن مريم نفسه وقد جاء ذكره في إنجيل مرقس[٢] وفي رسالة بولس إلى أهل رومية[٣]، ومنها إنجيل السبعين وإنجيل التذكرة وغيرها من الأناجيل الكثيرة، ولكن مصير هذه الأناجيل كلها قرره مجمع نيقية[٤]، أي قرره أولئك الذين اتخذوا قراراً بألوهية المسيح، ومن ثم ألغى هذا المجمع كل الأناجيل التي لا تتفق وقراره السابق، والتي لا تلائم الاتجاه الذي ابتدعه بولس، فوافق هذا المجمع على الأسفار السبعة والعشرين المذكورة سابقاً وكون منها ما أطلق عليه «**العهد الجديد**» ورد المجمع كل ما سوى ذلك وعده هراء بالغاً وكفراً وزيفاً يجب إفناؤه ويعاقب من قال به أو حمله.

---

(١) راجع كتاب «يسوع المسيح» للأب بولس الياس، ص ١٨.

(٢) راجع الأصحاح الأول الفقرة ١٤.

(٣) الأصحاح الأول: الفقرات ٩-١٦. والأصحاح ١٥، الفقرة ١٩.

(٤) وقد عقد سنة ٣٢٥ رداً على الوحدانية التي تزعم أريوس القول بها، ويعد هذا المؤتمر من أهم المجامع الكنسية، حيث اتخذت فيه أخطر القرارات، وقد عقد بأمر الإمبراطور قسطنطين الكبير وعدد الحضور فيه أولاً من الآباء الروحانيين ٢٠٤٨ وبعد الخلاف انقض المؤتمر و لم يحضره إلا من قال بالتثليث وبألوهية المسيح وعددهم ٣١٨ وحضر الإمبراطور نفسه واتخذت فيه القرارات التي وضعت أساس العقيدة المسيحية.

ومن السياق التاريخي للأحداث يظهر أن قد فنيت رسائل وأناجيل عديدة بسبب ما عانته المسيحية في بداية عهدها. وإن عدد من الأناجيل عادة وظهرت بعد أن غلبت المسيحية أعداءها، فقدموه إلى مجمع نيقية ولكن انحرف المجمع وأصبحت الغلبة للأقلية التي تنادي بألوهية المسيح، وأصبح هؤلاء يتكلمون باسم المسيحيين جميعاً وعلى هذا قرر ذلك المجمع مصير الأناجيل، وفي هذا يقول الأستاذ عبد الأحد داود[١]:-

إن السبعة والعشرين سفراً أو الرسالة الموضوعة من قبل ثمانية كتاب لم تدخل في عداد الكتب المقدسة باعتبار مجموعة هيئتها بصورة رسمية إلا في القرن الرابع بإقرار مجمع نيقية العام وحكمه سنة ٣٢٥ لذلك لم تكن أي من هذه الرسائل مقبولة ومصدقة لدى الكنيسة وجميع العالم العيسوي قبل التاريخ المذكور، ثم جاء من الجماعات العيسوية في الأقسام المختلفة من كرة الأرض ما يزيد على ألفي مبعوث روحاني ومعهم عشرات الأناجيل وفئات الرسائل إلى نيقية لأجل التدقيق، هناك تم انتخاب الأناجيل الأربعة من أكثر من أربعين أو خمسين إنجيلاً وتم انتخاب الرسائل الإحدى والعشرين من رسائل لا تعد ولا تحصى وصودق عليها، وكانت الهيئة التي اختارت العهد الجديد هي تلك الهيئة التي قالت بألوهية المسيح[٢]. وكان اختيار كتب العهد الجديد على أساس رفض الكتب المسيحية المشتملة على تعاليم غير موافقة لعقيدة نيقية وتقرر إحراق ما سوى ذلك كله[٣].

ويؤكد الكاتب « **أن الأناجيل الأربعة لم تكن موجودة في زمن**

---

(١) كاتب كان مسيحي ومختص في اللاهوت وأسلم. «في كتابه الإنجيل والصليب».

(٢) كتاب الإنجيل والصليب، ص ١٤.

(٣) المرجع السابق، ص ٢١.

الحواريين الخمسة أو الستة الذي كتبوا تلك الرسائل، لأن الرسائل لا تبحث عن محتويات هذه الأناجيل قطعاً ولا تشير إليها»[1].

وكما ذكرنا آنفاً أن الأناجيل اختيرت لتلائم المعتقدات التي وضعها بولس، ويصبح بذلك الأغلبية الساحقة من «**العهد الجديد**»- من وضع بولس ومريديه. ومع ذلك وبمرور الزمن تبين للمسيحيين أن هذه الأناجيل لا تفي بالغرض فعمدوا إلى إضافات على المعتقدات، كغفران السيئات وعصمة البابا واتخذوا مجامع، لذلك ولا عجب فقد قامت هذه المجامع في تقرير ألوهية المسيح، وعلى هذا أصبحت العقيدة المسيحية تعود إلى مصدر واحد حقيقي وهو المجامع أو الأشخاص الذين يقررون في هذه المجامع. وفقدت العقيدة المصدر الإلهي.

وقد استغنى الكاثوليك عن المجامع وعن الكتب المقدسة عندما أثبتوا عصمة البابا، فانتقلت سلطة إصدار القرارات وغيرها إلى «**الحبر الأعظم**» بابا روما الجالس على كرسي خلافة بطرس، وأصبح حكمه قطعياً تجب طاعته لأنه وهب العصمة من الله[2].

وقد قدم أحد الباحثين[3]: دراسة عن الأناجيل فيقول: «**إن فلسفة الإغريق، والقانون الروماني أثرا في تدوين الأناجيل، وجعلا الأناجيل لا تمثل حقيقة المسيحية، والباحث المنصف في تاريخ الكنيسة لا يستطيع ولا لحظة واحدة أن ينكر أن آراء مزيفة، وأغراضاً غير كريمة، ومقاصد**

---

(١) المرجع السابق، ص ١٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٣.

(٣)

Alfred E. Gravie:" Encyclopedia of Religions and Ethics" vol. 5. P. 634.

خاطئة كانت أسبابا رئيسية مسيطرة أحيانا، دفعت إلى هذا التبديل الذي حدث في الأناجيل».

أنجيل برنابا[1]

ترجم هذا الإنجيل إلى اللغة العربية في مطلع القرن العشرين[2].

يقول الدكتور سعادة أن هذه النسخة كانت في مكتبة البابا سكتس الخامس بروما. وقد اختفت من المكتبة حوالي القرن السادس عشر، ويرجح أن الذي اختلسها راهب اسمه «فرامرينو»[3]. وعن طريق هذا الراهب آلت هذه النسخة إلى مكتبة أحد وجهاء امستردام حيث بقيت حتى مطلع القرن الثامن عشر.

وفي سنة ١٧٠٩ كان كريمر أحد مستشاري ملك بروسيا يترل في امستردام وكانت له بهذا الوجيه صلة، ولما رأى هذه النسخة استعارها، ثم ذكر للوجيه أنها عظيمة القيمة.

وفي سنة ١٧١٣ أهدى وجيه امستردام إلى البرنس أيوجين سافوي الذي كان مولعاً بالعلوم والآثار التاريخية، ثم انتقلت هذه النسخةمع مكتبة البرنس كلها إلى مكتبة البلاط الملكي في فينا حيث لا تزال هذه النسخة

---

(١) بناء على إنجيل برنابا يدخل برنابا هذا ضمن الحواريين الاثني عشر، وقد ورد اسمه في أعمال الرسل عدة مرات. «ويوسف الذي دعى من الرسل برنابا» أعمال الرسل٤:٢٦

(٢) قام بترجمته الدكتور خليل سعادة وقدم له مقدمة تاريخية علمية ونشره السيد محمد رشيد رضا وقدم له.

(٣) مقدمة المترجم ص (هـ).

موجودة حتى الآن وهي مكتوبة بالإيطالية وعلى هامشها تعليقات بلغة عربية ركيكة[1].

وهناك نسخة أخرى لهذا الإنجيل باللغة الإسبانية ظهرت حوالي سنة ١٧٨٤ ولكنها فقدت بعد ذلك. ويرجح أن تكون ترجمة عن النسخة الإيطالية.

ومع أن الثقات يشككون بأن تكون هذه النسخة ترجمت عن نسخة عربية، ومع أن د. سعادة مؤيداً هذا القول وأنه لا يمكن ذلك حيث لم يرد في أي مصدر أو فهرس من الكتب القديمة ذكر لهذا الإنجيل وهو سلاح ماضي في هذا الخصوص، إلا أنه يستدرك الأمر وينسب أن يكون هذا الإنجيل لرجل يهودي أندلسي تبحر في اليهودية ثم تنصر وتعمق في النصرانية ثم اعتنق الإسلام وتحمس له[2].

وهذا الأمر غريب ومن الخيال حيث لا يوجد مثل هذا الشخص الذي يتنقل بين دين وآخر مع تعمقه في دارسته ويحمله ذلك على كتابة هكذا إنجيل حباً بالإسلام. ومن البديهي أن من اعتنق الإسلام وتعمق فيه لا يمكن أن يقدم على تزوير كلام ونسبه إلى الله.

ويذكر التاريخ أمراً أصدره البابا جلاسيوس الأول الذي جلس على الأريكلة البابوية سنة ٤٩٢ يعدد فيه أسماء الكتب المنهي عن مطالعتها وفي عدادها كتاب يسمى «**إنجيل برنابا**»[3] ويرجع أنه هو الإنجيل الذي اختفى

---

[1] المرجع السابق، ص (د).

[2] المرجع السابق، المقدمة.

[3] مقدمة الدكتور سعادة، ص (ل).

وضاعت نسخة، و لم يتبق منه إلا هذه النسخة التي وصلت إلى مكتبة البابا نفسه حيث لا يخاف البابا أن تكون مكتبته موضع شك أو اختبار. أما غير البابا فيعتقد أهم أسرعوا إلى هذا الإنجيل فانتزعوه من مكتباهم وأسلموه للفناء حرصاً على أنفسهم وعلى مكتباهم أن يمتد لها الفناء لو عثر على هذه النسخة فيها.

وقد خرجت هذه النسخة بعد أن حفظت في عصر الظلام وظهرت في عصر النور حيث أصبح حرق الكتب جريمة لا تغتفر. ونسبة هذا الإنجيل إلى برنابا أقوى من نسبة بقية الأناجيل إلى أصحابها، حيث أن أدلة كثيرة قدمها الكتاب الغربيون تؤكد أن أغلب هذه الأناجيل من صنع بولس[١]. وإن إنجيل يوحنا من صنع طالب بمدرسة الإسكندرية.

الفرق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأخرى وسبب كتابة هذا الإنجيل:

يختلف إنجيل برنابا عن الأناجيل الأربعة المشهور بأمور أساسية هي[٢]:

– أن يسوع أنكر ألوهيته وكونه ابن الله وذلك على مرأى ومسمع من جمهور عظيم.

– أن الابن الذي عزم إبراهيم على تقديمه ذبيحة لله إنما هو إسماعيل لا إسحق.

– أن مسياً أو المسيح المنتظر ليس هو يسوع، بل محمد وذكر محمداً باللفظ

(١) أنظر في هذا الخصوص دائرة المعارف الفرنسية.

(٢) مقدمة المترجم ص (م).

الصريح المتكرر في فصول ضافية الذيول وقال أنه رسول الله وأن آدم لما طرد من الجنة رأى مسطوراً فوق بابها بأحرف من نور «**لا إله إلا الله محمد رسول الله**».

- أن يسوع لم يصلب وأن الذي صلب إنما هو يهوذا الخائن الذي شبه به.

والمسألتان الأولى والأخيرة تهم موضوعنا عن المسيحية. سنأخذ نصوصاً من الإنجيل نفسه دليلاً على هاتين المسألتين. وقد وضح برنابا الأسباب التي دفعته لكتابة هذا الإنجيل فقال:

«أيها الأعزاء إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين بتعليم شديد للكفر، داعين المسيح ابن الله، ورافضين الختان الذي أمر به الله دائماً. مجوزين كل لحم نجس، الذين ضل في عدادهم أيضاً بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى، وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونية الله، وعليه فاحذروا كل أحد بتعليم جديد مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصاً أبدياً.

ويبين برنابا أن أدعاء ألوهية المسيح بدا في حياة المسيح بسبب معجزاته واتجاهها في إحياء الموتى وإبراء الأكمة وغير ذلك مما ليس للبشر به عهد.

يقول برنابا: ونزل يسوع في السنة الثانية من وظيفته النبوية من أورشليم إلى نايين، فلما اقترب من باب المدينة كان أهل المدينة يحملون إلى القبر ابناً وحيداً لأمه الأرملة، وكان كل أحد ينوح عليه، فلما وصل يسوع علم الناس ان الذي جاء إنما هو يسوع نبي الجليل، فلذلك تقدموا أو تضرعوا إليه لأجل الميت طالبين ان يقيمه لأنه نبي... فتقدم المسيح إلى أم الميت وقال لها بشفقة: لا تبكي أيتها المرأة. ثم أخذ يد الميت وقال: أقول لك أيها الشاب باسم الله قم صحيحاً، فانتعش الغلام.

وفي الأصحاح التالي يقول برنابا: وكان جيش الرومان في ذلك الوقت في اليهودية لأن بلادنا كانت خاضعة لهم بسبب خطايا أسلافنا، وكانت عادة الرومان أن يدعوا كل من فعل شيئاً جديداً فيه نفع للشعب، إلهاً ويعبدوه، فلما كان بعض هؤلاء الجنود في نايين وبخوا واحداً منا بعد آخر قائلين: لقد زاركم أحد آلهتكم وأنتم لا تكترثون له. حقاً لوزارتنا آلهتنا لأعطيناهم كل مالنا، فوسوس الشيطان بهذا الأسلوب من الكلام حتى أنه أثار شغباً بين شعب نايين، فقال قوم منهم «**إن الذي زارنا إنما هو إلهنا**» وقال آخرون «**عن الله لا يُرى، فلم يره أحد حتى ولا موسى، فليس هو الله بل بالحري ابنه**» وقال آخرون «**إنه ليس الله ولا ابن الله لأنه ليس لله جسد فيلد بل هو نبي عظيم**»[١].

وتتكرر هذه الأحداث فيشفي عيسى المرضى أو يحي الموتى، وهذا يدعو الناس إلى أن يحسوا ويجهروا أحياناً أن عيسى إله[٢]. وينكر عيسى ألوهيته ويصرخ في وجه هؤلاء الضالين ليعيدهم إلى الرشد، ولكن بولس

---

(١) أنظر الأصحاحين ٤٧، ٤٨.

(٢) أنظر نماذج من ذلك في الصفحات، ٧٥-١٠٦-١٠٧-١٣٩- ١٤١.

يتسلم هذه الدعوى فيضعها في قالب فلسفي، ويدعو بها بعد أن ادعى أنه رسول وإنه يتحدث باسم المسيح.

وقد أورد برنابا قول عيسى منكراً ألوهيته: إني أشهد كل ساكن على الأرض، إني بريء من كل ما قال الناس عني من إني أعظم من بشر، لأني بشر مولود من امرأة وعرضة لحكم الله، أعيش كسائر البشر، عرضة للشقاء العام[1].

ويدرك عيسى أن هذه الدعوى الكاذبة قد تنتشر فيهتف قائلاً: الحق أقول لكم متكلماً من القلب: إني أقشعر لأن العالم سيدعوني إلهاً، وعليّ أن أقدم لأجل هذا حساباً، لعمر الله الذي نفسي واقفة، في حفرته إني رجل فانٍ كسائر الناس، على أني وإن أقامني الله نبياً على بيت إسرائيل لأجل صحة الضعفاء وإصلاح الخطاة، خادم الله وأنتم شهداء على هذا[2].

أما مسألة أن المسيح لم يصلب فقد وضحها برنابا مقتبساً من عيسى قوله: أعلم يا برنابا أنه سيبيعني أحد تلاميذي بثلاثين قطعة من نقود، وإني على يقين من أن من يبيعني يقتل باسمي، لأن الله سيغير منظر الخائن حتى يظنه كل أحد إياي[3].

ويقول برنابا في وصف خاتمة المسيح على الأرض: لما دنت الجنود مع يهوذا سمع يسوع دنو جمّ فاستيقظ، وكان الحواريون الأحد عشر نياماً، ثم أخفى الله المسيح، ودخل يهوذا إلى الغرفة التي كان بها يسوع فأتى الله

---

[1] الأصحاح ٩٤: ١-٢.

[2] الأصحاح ٥٢: ١٠-١٤.

[3] الأصحاح ٢٣:١١٢-١٥.

العجيب بأمر عجيب، فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه فصار شبيهها ليسوع وأوثقوه ضانين أنه يسوع[1].

وفيما أورده برنابا بهذا الخصوص نجده يتفق في أكثر مسائله مع القرآن الكريم ويزيل الهوة التي أحدثها بولس في العقيدة المسيحية وكانت بدعة أبعدتها عن الأديان السماوية التي أوحى الله بها.

الإسلام مملكة الله في الأرض:

لا يستطيع المرء أن يقدر قيمة الإسلام وأهميته كدعامة فريدة ضد الوثنية والشرك ما لم يتم التسليم المخلص بوحدانية الله المطلقة، وعندما ندرك بصورة كاملة أن الله هو الإله الذي عرفه آدم وإبراهيم والذي عبده موسى وعيسى.

واليهود ولا سيما جماهيرهم لم تكن لديهم فكرة حقيقية عن الله والدين، كما هي فكرة المسلمين عن الله والإسلام، وطالما كان شعب إسرائيل مزدهراً وظافراً في الحروب فإن «**يهوه**» كان دائماً معترفاً به ومعبوداً، ولكن في أوقات البأساء كانوا يتخلون عنه ويتبعون إله أمة أقوى أو أكثر ازدهاراً، ويعبدون الصنم أو التمثال الذي يمثله ويرمز إليه.

لكن دين الله الحق لم يتخذ قط شكل مملكة الله كما اتخذ في ظل النظام القرآني الحاكم. صحيح أن يسوع وتلاميذه كانوا الرواد المبشرين بمملكة الله على الأرض، وأن روح إنجيل عيسى وزبدته موجودة في تلك العبارة الشهيرة من صلاته «**ليأت ملكوتك**». ولمدة عشرين قرناً كان

---

[1] راجع الأصحاحات، ٢١٥-٢١٧.

النصارى من جميع الملل والنحل يصلون ويرددون هذا النداء «**ليأت ملكوتك**». والله وحده يعلم كم سيظلون مستمرين في هذه الصلاة وينتظرون قدوم الملكوت عبثاً. وهذا التوقع المسيحي لمجيء مملكة الله هو من نفس طابع توقع اليهودية لظهور المسيح. ويعكس كل من هذهين التوقعين خيالاً مستهتراً ويتصف بالرعونة، ومن العجيب أنهم يتمسكون بهذا الأمل العقيم، وإذا سألت قسيساً نصرانياً أو راعي كنيسة رأيه في مملكة الله فإنه سوف ينمق لك الأقوال ذات الأشكال الخداعة العديمة المعنى. وسوف يؤكد لك أن هذه المملكة هي الكنيسة التي ينتمي إليها عندما تتغلب على بقية الكنائس الملحدة وتمتصها، وسيلقي قسيس آخر خطبة طنانة حول الفترة الألفية السعيدة. أما تابع الكنيسة المخلصية أو الكويكرية (الفرندز) فقد يقول لك إنه حسب اعتقاده، فإن كنيسة الله سوف تتألف من النصارى الحديثي المولد والأبرياء من الخطايا، الذين غسلهم ونظفهم دم الحمل، وما إلى ذلك!!..[1].

ولا تعني مملكة الله كنيسة كاثوليكية «**منتصرة**» أو دولة «**بيورتيانية**» متجددة معصومة من الخطاء. وهي ليست «**مملكة خيالية للفترة الألفية السعيدة**» ولا مملكة مؤلفة من كائنات سماوية بما فيها أرواح الأنبياء الراحلين والمؤمنين المباركين تحت حكم حمل مقدس أو إلهي، وشرطتها من الملائكة، وقضاتها وحكامها وضباطها وقادتها من الملائكة، وكبارها من الباباوات والبطاركة والأساقفة والوعاظ الإنجيليين[2].

---

(١) «Muhammad, In the Bible». By. Prof. David b. Keldani. P. 138 وهذا الكاتب كان قسيساً كلدانياً، أسلم واتخذ اسماً «عبد الأحد داود» وله هذا الكتاب «محمد في الكتاب المقدس» ترجمة فهمي شما، وكتاب آخر اسمه «الإنجيل والصليب».

(٢) Ibid. P. 139.

إن مملكة الله على الأرض عبارة عن دين ومجتمع قوي من المؤمنين بإله واحد، مسلح بالإيمان والعزيمة من أجل وجودها واستقلالها الكامل عن مملكة الظلام، وضد جميع أولئك الذي لا يؤمنون بوحدانية الله، أو الذين يؤمنون بأن له ولداً أو أباً أو أماً أو شركاء أو أنداداً.

يقول البروفسور عبد الأحد داود في كتابه «**محمد في الكتاب المقدس**»[1] «**إن كلمة Evangelion اليونانية التي تقابل كلمة Gospel** (إنجيل) بالإنجليزية، تعني «**إعلان الأخبار السارة**» وكان هذا الإعلان إخباراً عن مملكة الله الوشيكة، وكان أصغر مواطينها شأناً هو يوحنا المعمدان. وقام هو والمرسلون بعده بالوعظ، وأعلنوا هذه المملكة لليهود، طالبين إليم أن يؤمنوا ويتوبوا لكي يدخلوها، ولم يبطل عيسى بالفعل شريعة موسى أو تغييرها بل فسرها بمعنى روحي، وقد رحل عنها وهي غير نافذة، وعندما أعلن أن الكراهية أساس القتل وأن الشهوة منبع الزنا، وأن الجشع والنفاق من الآثام الممقوتة كالزنا، وأن الرحمة والإحسان أكثر قبولاً من القرابين ومن مراعاة السبت بدقة، فإنه من ناحية عملية ألغى منطوق شريعة موسى الحرفي من أجل معناها الروحي. وهذه الأناجيل المحرفة المشكوك في صحتها، تتضمن كثيراً من حكم المسيح وإشاراته إلى مملكة الله وإلى ابن الإنسان، ولكنها مشوهة محرفة لدرجة أنها نجحت وما زالت ناجحة في تضليل النصارى المساكين ودفعهم إلى الاعتقاد أن عيسى لم يقصد بمملكة الله سوى كنيسته وبأنه هو نفسه كان «**ابن الإنسان**».

أما من حيث تكوين مملكة الله ودستورها ، يقول بروفسور داود: [2]

---

[1] في موضوع تبشير يسوع وتلاميذه بملكوت الله ص ١٣٩

[2] المصدر السابق ص ١٤٢.

أ- إن جميع المسلمين يكونون أمة واحدة وأسرة واحدة وأخوة واحدة، فالمسلم وهو «**صانع السلام**» لن تجد غيره أسلس وأكثر كرماً ومسالمة من المسلم المخلص ولكن في اللحظة التي يهاجم فيها دينه وشرفه أو ممتلكاته فإنه يصبح خصماً مخيفاً. والقرآن الكريم واضح تماماً في ذلك إذ يقول «**ولا تعتدوا**» والجهاد المقدس ليس حرباً عدوانية ولكنه حرب دفاعية.

ب- وحسب وصف النبي دانيال فإن مواطني مملكة الله هم «**جماعة القديسين**» وفي النص الكلداني أو الآرامي الأصلي يوصفون بأنهم أمة القديسين الإيليونيين «**A'mma d'gaddishid l'ionin**» وهي صفة تليق فقط بأمير الأنبياء وجيشه النبيل من المهاجرين والأنصار الذين اقتلعوا الوثنية من جزء كبير من آسيا وأفريقيا وقضوا على الوحش الروماني.

إن المسلمين لا يقدسون أو يطهرون بالتعميد بل تزكو نفوسهم بجذوة الحماسة والشجاعة في دفاعهم عن ذلك الدين وقتالهم من أجله. وقال يوحنا المعمدان أو بالأحرى المسيح نفسه (كما في إنجيل برنابا): «**إنني أعمدكم بالماء من أجل التوبة، ولكن الذي يأتي بعدي أقوى مني، وسوف يعمدكم بالنار وبروح القدس**».

أما فيما يخص الترنيمة التي أنشدتها الملائكة في السماء كما سجلها الإنجيلي لوقا[1] وقد سمعها الرعاة وهم يرقبون أغنامهم في حقل قرب بيت لحم في ذات الليلة التي ولد فيها عيسى وهي «**المجد لله في الأعالي وعلى**

---

[1] الاصحاح الثاني: الفقرة ١ — ٢٠.

الأرض السلام وفي الناس المسرة»[1] يقول عبد الأحد[2] إن هذه الترنيمة والتي ترتل في كافة الكنائس ليست لسوء الحظ سوى ترجمة غامضة عن النص اليوناني الذي لا يمكن الركون إليه أو الوثوق به، لأنه لا يبين لنا الكلمات الأصلية في اللغة التي رتل بها الملائكة والتي فهمها الرعاة العبرانيون. ومن المسلم به كحقيقة أن الحشود السماوية أنشدت أنشودتها المفرحة بلغة الرعاة وأن تلك اللغة لم تكن اليونانية بل العبرية العامية أو بالأحرى الآرامية.

ويضيف أن هذه الترنيمة مثل بقية محتويات العهد الجديد لا تنقل لنا بلغتها الأصلية التي تم إنشادها بها، ولكن بترجمتها اليونانية فقط. والله وحده يعلم الأصل الذي نقل عنه المؤلف أو ترجم أو اكتفى بالنقل عن الروايات الشفوية المنقولة من شخص إلى آخر.

ويطرح في هذا الخصوص عدة أسئلة: هل من الممكن أن عيسى أو رسله لم يتركوا الإنجيل الحقيقي الموثوق باللغة التي أنزل بها؟

وإذ كان هناك إنجيل صحيح كهذا فما الذي حصل له؟ ومن الذي أضاعه؟ هل أتلف؟ ومن الذي أتلفه ومتى؟ هل ترجم قط إلى اليونانية أو إلى لغة أجنبية أخرى؟ ولماذا لم تحتفظ الكنيسة لنا بالنسخة الأصلية من الإنجيل الصحيح أو ترجمته؟ وإذا كان الجواب على هذه الأسئلة بالنفي، فسوف نورد سلسلة أخرى من الأسئلة ذات الأهمية.

لماذا لم يكتب هؤلاء الرسل اليهود والإنجيليون بلغتهم الخاصة بل

---

[1] نشيد ١٤.

[2] عبد الأحد داود. محمد في الكتاب المقدس ص ١٤٧ و ١٤٩.

كتبوا جميعا باليونانية؟ وأين تعلم بطرس ويوحنا ويعقوب ومتى اللغة اليونانية من أجل كتابة سلسلة من الكتب المقدسة؟

وسيكون من قبيل الجهد الضائع محاولة العثور على حكمة واحدة أو وحي أو أية رسالة مرفوعة إلى يسوع المسيح بلغته الخاصة. ويجب أن يتحمل مجمع نيقية إلى الأبد مسؤولية جريمة، ضياع الإنجيل المقدس بلغته الآرامية الأصلية، وهي خسارة لا تعوض،

إن السلام الذي ورد في الترنيمة بمعناه العملي الحسي، يدل على دين جيد سليم مأمون نافع، وأن طريق السلام إنما هي ضد الدين الشرير الشيء المؤذي المدمر، وضد السبيل المؤدي إلى البؤس والهلاك. وبهذا المعنى فإن الله في رسالته من خلال نبوءة إشعيا (٤٥) إلى كورش، استعمل كلمة «**شالوم**» كمرادف للخير، وضد الشر. هذا هو بالضبط التفسير الحرفي والمبدئي والعملي الدال على أصل كلمة الإسلام كدين صحيح كفيل بإقامة مملكة ربانية قوية على الأرض لها شرائعها وتوجيهاتها الدائمة الصالحة، التي يتضمنها القرآن الكريم.

ووراء الإسلام الذي يعني حرفياً «**صنع السلام**» فإن أي تفسير آخر أو سلام خيالي أمر غير وارد بالمعنى الذي فيه كلمة (Eiriny) في هذه الترنيمة الملائكية الظافرة.

وقد قصد عيسى المسيح هذا المعنى الإسلامي للكلمة عندما ألقى موعظته البليغة على الجبل[1] : « **طوبى للمسلمين (حرفيا صانعي**

---

[1] عبد الأحد داود «محمد في الكتاب المقدس ص ١٥٤.

السـلام) لأنهم يدعون أبناء الله»[1].

وكان السلام الخيالي هو ما رفضه المسيح عندما صاح «**لا تظنوا أنني قادم لإقامة السلام على الأرض، إذ لم آت لوضع أسس السلام بل لإستخدام السيف**»[2]. أو كما يعلن لوقا «**جئت لأشعل النار في الأرض... فهل تظنوني قادماً لبناء السلام؟ أقول لكم لا ولكن للإنقسامات....**» [3].

وما لم تفهم كلمة (Eiriny) على أنها دين الإسلام، فإن هذين القولين الخطيرين المتناقضين من أقوال عيسى سيظلان لغزاً إن لم تكونا أذى لا يمكن إصلاحه، اقترفته الكنيسة النصرانية بسبب قبولها الأناجيل على أنها كلمة الله المنزلة. وإن القديس «برنابا» لا يذكر في إنجيله هذه الترنيمة الملائكية، ولا قصة الرعاة في بيت لحم[4].

التعارض والتناقض بين الأناجيل:-

من دراستنا للأناجيل نرى أنها تتناقض فيما بينها حتى في الموضوع الواحد ولتبيان ذلك نأخذ مثالاً قصة يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) [5].

---

[1] إنجيل متى، الاصحاح الخامس الفقرة ٩.

[2] انجيل متى الاصحاح العاشر الفقرات ٣٤ – ٣٦.

[3] انجيل لوقا الاصحاح الثاني عشر الفقرات ٤٩ – ٥٣.

[4] محمد في الكتاب المقدس ص ١٥٤.

[5] قال تعالى في القرآن الكريم حول قصة يحى عليه السلام «يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحى لم نجعل له من قبل سمياً». سورة مريم الآية ٧. كذلك قوله: «إن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين». سورة آل عمران الآية ٣٩.

فهو إبن خالة عيسى وكان معاصرا له ، ولم يزد عمره عن عمر عيسى أكثر من ستة أشهر.

وقد عمل يوحنا على دعوة الناس للتوبة وتعميد الخاطئين بالماء، وقام بتعميد اليهود التائبين في ماء نهر الأردن، وأعلن أنه كان يعمدهم بالماء فقط كرمز لتطهير القلوب بالتوبة، وأذاع أن نبياً آخر قادماً بعده، سوف يعمدهم بالروح القدس والنار، كما وأعلن أن القادم بعده سيكون أعلى مكانة منه، من حيث القوة والكرامة بحيث أن المعمدان اعترف أنه «**لا يستحق شرف الانحناء وحل سبور حذاء هذا النبي**».

ومن جملة إنجازات يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) العظيمة أن عيسى الناصري دخل أيضاً في ماء الأردن وتعمد على يد هذا النبي كأي واحد آخر.

أما مرقس[١] ولوقا[٢]، اللذان يرويان قصة تعميد عيسى هذه على يد يوحنا، فإنهما لا يعرفان شيئاً عن ملاحظات يوحنا حول هذه النقطة كما وردت في إنجيل متى[٣] حيث ينص على أن المعمدان قال لعيسى «**أنني بحاجة لأن أعمد على يديك فهل جئت أنت لي؟**» ويقال أن عيسى أجاب بقوله «دعنا نحقق الاستقامة ثم عمده»، ويقول جماعة الأناجيل الثلاثة الأولى من العهد الجديد: (synopties) إن روح النبوة نزلت على عيسى على

---

[١] الاصحاح الأول: الفقرة التاسعة.

[٢] الاصحاح الثالث: الفقرة ٢١.

[٣] الفصل الثالث.

شكل حمامة عندما خرج من الماء، وسمع صوت يقول: «**هذا ابني الحبيب وأنا مسرور به كثيراً**».

أما الإنجيل الرابع فهو لا يذكر شيئاً عن تعميد عيسى على يد يوحنا، ولكنه يقول لنا: إن المعمدان عندما رأى عيسى، صاح قائلاً «**انظروا هذا حمل الله....الخ**»[١].

ويدعي هذا الإنجيل أن «**اندراوس**» كان تلميذاً للمعمدان، وبعد أن هجر سيده، أحضر سمعان إلى عيسى[٢]. وهي قصة تناقض بصورة واضحة أقوال الإنجيلين الآخرين متى[٣] ومرقس[٤].

وعند القديس لوقا تختلف القصة كلية، فقد جاء فيها أن عيسى يعرف «**سمعان بطرس**» قبل أن يصبح حوارياً[٥] كما وأن الظرف الذي حدا بالمعلم لأن يكتب أولاد يونس وزبيدي في قائمة تلاميذه، غريب كل الغرابة على الإنجيليين الآخرين (لوقا ٦ الفقرات ١ — ١١).

وتحتوي الأناجيل الأربعة للكنائس التثليثية (Trinitarians) على العديد من الأقوال المتضاربة حول الاتصال بين النبيين الذين تجمع بينهما آصرة القرابة. وجاء في الإنجيل الرابع أن المعمدان لم يكن على معرفة من شخصية عيسى حتى بعد تعميده، عندما نزلت روح كالحمامة وحلت

---

[١] إنجيل يوحنا الاصحاح الأول.

[٢] انجيل يوحنا الاصحاح الأول.

[٣] انجيل متى الاصحاح الرابع الفقرات ١٨ — ١٩.

[٤] انجيل مرقس الاصحاح الأول الفقرات ١٦ — ١٨.

[٥] إنجيل لوقا الاصحاح الرابع الفقرات ٣٨ — ٣٩.

فيه[1] بينما يقول لنا لوقا إن المعمدان — وهو ما يزال جنينا في رحم أمه — كان يعرف عيسى ويعبده، وعيسى بدوره كان عندئذ جنيناً أصغر في رحم مريم[2]، ثم يقال لنا ثانية إن المعمدان وهو مودع في السجن حيث جرى قطع رأسه[3]، لم يكن على علم بالطبيعة الحقيقية لرسالة عيسى.

وثمة إشارة غامضة في الأسئلة التي وجهت إلى النبي يحيى من قبل الرهبان واللاويين، فهم يسألون المعمدان «**هل أنت المسيح؟ هل أنت إيليا؟**» وعندما يجيبهم بالنفي يقولون: «**إذا لم تكن المسيح ولا إيليا ولا ذلك النبي، إذن فلماذا تعمد؟!**»[4].

ولذلك سوف يلاحظ أنه حسب الإنجيل الرابع لم يكن يوحنا المعمدان هو المسيح ولا إيليا ولا ذلك النبي!!.

وهنا يطرح السؤال التالي على الكنائس المسيحية التي تؤمن أن الأناجيل هي من وحي الروح القدس وبالتالي التي تؤمن أن ملهم جميع هذه الأقوال المتضاربة هو الروح القدس، أي ثالث الآلهة الثلاثة، من يعني أولئك الأحبار اليهود واللاويون بقولهم «**وذلك النبي؟**». ويسأل القسيس الكلداني عبد الأحد داود الذي أسلم[5].

إذا كنتم تدعون عدم معرفتكم مقصد رجال الدين العبرانيين ، فهل

---

(1) انجيل يوحنا الاصحاح الأول.

(2) إنجيل لوقا. الاصحاح الأول الفقرة ٤٤.

(3) إنجيل متى الاصحاح الحادي عشر الفقرة ١٤.

(4) انجيل يوحنا الاصحاح الأول.

(5) في كتابه «محمد في الكتاب المقدس ص ١٦٨».

يعرف باباواتكم وبطارقتكم من هو «**ذلك النبي**»؟ وإذا كانوا لا يعرفون، فما هي الفائدة الدنيوية من هذه الأناجيل المشكوك في صحتها والمحرفة؟ وإذا كان على العكس، وكنتم تعرفون من هو «**ذلك النبي**» فلماذا إذن تبقون صامتين...؟!

وقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على أن أهل الكتاب يعرفون هذا النبي معرفة جيدة.

ويشير إشارة قوية إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1].

ويهدد الله تعالى هؤلاء بقوله:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2].

ثم يذكر القرآن الكريم أن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بشر كما بشر موسى عليه السلام من قبل بنبي يرسل من بعده، وقد أورد الصفات التي ذكرت له في التوراة والإنجيل معاً في سورة الأعراف: ﴿قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ

---

[1] سورة البقرة: الآية ١٤٦.

[2] سورة البقرة الآيات ١٥٩ – ١٦٠.

يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1]

والأمي هنا يعني أنه من غير بني إسرائيل ويضيف أنه في الإنجيل أورد اسمه أحمد[2]. ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾

هذه الآيات التي ذكرناهم تدل صراحة على أن النبي الذي سيأتي هو محمد (أحمد) وأن الله تعالى ذكره في إنجيل عيسى عليه السلام ولكن من العرض السابق لما جاء في الأناجيل يتبين أن إنجيل عيسى لم يبق منه أثر بعدما حدث من التحريف ما حدث. وأن بعض الأدلة الواردة في بعض الأناجيل تطرح السؤال حول صدقيتها.

ونعود إلى تلك الأناجيل وإلى إنجيل يوحنا والاقتباس الوارد أعلاه في الإصحاح الأول منه يذكر بوضوح أن المعمدان قال إنه لم يكن نبياً، بينما يروى أن عيسى قال «**لم يوجد قط رجال ولدقم النساء أعظم من يوحنا**»[3] فهل نادى عيسى حقيقة بقول كهذا؟ هل كان المعمدان أعظم

---

[1] الآيات ١٥٦ – ١٥٧.

[2] سورة الصف الاية ٦.

[3] إنجيل متى: ١١

أعظم من إبراهيم وموسى وداود وعيسى نفسه؟[١].

ويروى أن المسيح أعلن أن يوحنا المعمدان كان تجسيداً جديداً للنبي إيليا[٢]، بينما قال يوحنا للوفد اليهودي «**إنه لم يكن إيليا ولا المسيح ولا ذلك النبي**»[٣].

ويسأل القسيس الكلداني الذي أسلم عبد الأحد داود مستهجنا[٤]:

«هل في وسع المرء استخلاصاً من هذه الأناجيل الحافلة بالأقوال المتناقضة المتضاربة، أن يتوصل إلى استنتاج صحيح؟ هل يستطيع الإنسان أن يعرف الحقيقة؟ ويضيف بأن التهمة خطيرة جداً، لأن الأشخاص المعنيين ليسوا بشراً عاديين مثلنا، إنهما إثنان من الأنبياء.. وتزداد التهمة خطورة عندما نأتي لدراسة طبيعة الوثائق التي كتبت فيها هذه الروايات المتناقضة. والرواة هم الإنجيليون وهم أشخاص يزعم أنه موحى إليهم من الروح القدس، وأن ما دونوه هو وحي!! إلا أنه توجد هناك أكذوبة أو قول خاطئ أو تزييف في مكان ما فيقال إن إيليا «**أو إلياس**» جاء قبل «**ذلك النبي**»[٥] ويقول عيسى «**يوحنا هو إيليا**» ويقول يوحنا «**أنا لست إيليا**». وكلا القولين المثبت والمنفي وارد في الكتاب المقدس عند النصارى!!!».

---

(١) فقد كانت رغبة يوحنا – مع عزوفه عن الدنيا ونكرانه المطلق لذاته – في دعوة الناس إلى التوبة، وأخباره السارة عن «ذلك النبي».

(٢) إنجيل متى الاصحاح الحادي عشر الفقرة ١٤ والاصحاح السابع عشر الفقرة ١٢، وإنجيل لوقا الاصحاح الأول الفقرة ١٧.

(٣) إنجيل يوحنا الاصحاح الأول

(٤) في كتابه «محمد في الكتاب المقدس» ص ١٦٩.

(٥) انجيل متى الاصحاح الرابع الفقرات ٥ – ٦.

ومما ورد أعلاه يتبين أن هذا التناقض يدلل على أن النبي الذي جرى التنبوء عنه: لم يكن عيسى عليه السلام، وأنه بالتأكيد هو «**محمد**».

فالجميع يعلم أن الكنائس المسيحية قد اعتبرت يوحنا المعمدان دائماً تابعاً لعيسى ومبعوثاً له، ولا يمكن مع الخطأ الواضح أن يكون عيسى موضع شهادة أو قول يوحنا للأسباب التالية:

أ- إن نفس كلمة «**بعد**» تستبعد عيسى بوضوح جلي من أن يكون هو النبي المبشر به، لأن عيسى ويوحنا ولدا في نفس السنة وعاصر أحدهما الآخر، وقول يوحنا: «**إن ذلك الآتي بعدي هو أقوى مني**» وكلمة بعد تدل على مستقبل غير معلوم بعده.

ب- لم يكن عيسى المسيح المقصود عند يوحنا، لأنه لو كان كذلك لأتبع عيسى وخضع له كتلميذ وكتابع. والصحيح أنه لم يتبعه بل نجده يعظ ويعمد ويستقبل التلاميذ ويلقنهم ويوبخ الملك هيرودس ويقرع الطبقات الحاكمة اليهودية، ويتنبأ بمجيء نبي آخر أقوى منه، ودون أن يعير أدنى التفات لوجود عيسى إبن خالته في يهوذا والخليل.

ج- إن ما جرى من تعميد يوحنا لعيسى في مياه نهر الأردن لا تعطي لعيسى صفة «**أقوى مني**» التي قال بها يوحنا.

د- إن الحقيقة القائلة بأن يوحنا عندما كان في السجن أرسل تلاميذه لعيسى يسألونه: «**هل أنت النبي الذي سيأتي؟ أم نتوقع واحداً آخر؟**» هذه الحقيقة تظهر بجلاً إن المعمدان لم يعرف موهبة النبوة في عيسى إلا بعد أن سمع وهو في السجن بمعجزاته، هذه الشهادة من متى (في إنجيله الاصحاح الحادي عشر الفقرة الثالثة) تتناقض مع شهادة الإنجيل الرابع (يوحنا: ١) وتضعفها، حيث ينص فيه على أن المعمدان عندما رأى عيسى قال:

«انظروا حمل الله الذي سيحمل خطيئة العالم» ولا يعرف في الإنجيل الرابع شيئاً عن الاستشهاد القاسي ليوحنا[1].

يقول عبد الأحد داود بخصوص يوحنا المعمدان: عندما أتخيل بنفسي صورة «**المعمدان الزاهد**» وهو يعظ بصوت عال في البرية، أو على ضفاف الأردن، إلى جماهير اليهود، ووراءهم حوالي أربعة آلاف عام، من التاريخ الديني واللاهوتي، ثم استعرض باختصار الأسلوب الهادئ المنظم الرزين الذي كان يعلن فيه محمد الايات السماوية من القرآن على العرب الجاهليين، ثم عندما أتفحص وأشاهد تأثير كل من تلكما الدعوتين على السامعين في ضوء النتيجة النهائية، حينئذ أتفهم ضخامة البون الشاسع بينهما، وأدرك أهمية الكلمات القائلة: «**إنه أقوى مني**»[2].

وعندما أتأمل في عملية القبض على المعمدان البائس واعتقاله ثم قطع راسه، أو عندما أسرد الروايات المضطربة المأساوية لجلد عيسى (أو يهوذا الاسخربوطي) وتتويجه بتاج من الشوك على يد هيرودس، ثم أتوجه بنظري إلى دخول السيد العظيم الظافر – سلطان الأنبياء – إلى مكة، وتدميره الكامل لجميع الأصنام القديمة وتطهيره للكعبة المقدسة، ومنظر الأعداء المدحورين على قدمي رسول الله المنتصر يطلبون منه العفو والرحمة ويعلنون إيمانهم بالدين الجديد.

وعندما أتأمل العبادة والتبتل المجيد وخطبة الوداع التي خطبها خاتم الأنبياء وهذه الكلمات الإلهية (اليوم اكملت لكم دينكم.... الاية) عندئذ

---

(١) انجيل متى ١٤/، وانجيل مرقس ٦/١٤ – ٢٩).

(٢) في كتابه «محمد في الكتاب المقدس» ص ١٨٢.

أفهم فهما كاملا معنى اعتراف المعمدان وقيمة كلامه حيث قال: **«أنه أقوى مني»**[1].

العبادات والشعائر المسيحية:

مكانة الصليب:-

إن الصليب وإن كان موقعه ومكانته على أهمية كبيرة في المسيحية وهو شعارها إلا أنه لا يرتقي في التقديس إلى مرتبة العقائد الأساسية كحال التثليث، والفداء والدينونة، وحمله علامة على إتباع المسيح جاء في إنجيل لوقا: ويعني حمل الصليب في العقيدة المسيحية إشعار بإنكار النفس، واقتنفاء أثر المسيح في هذا الإنكار، والسير وراء مخلصهم، وفاديهم، فليس حمل الصليب عندهم غاية وليس مقصوداً لذاته. إنما مقصود لغاية أخرى هي اقتفاء خطوات المسيح في إنكار الذات، والرضا بالفداء في زعمهم وإتباع تعاليمه[2].

الصـــوم والصـــلاة:-

أهم عبادات المسيحيين الصوم والصلاة، **أما الصوم** فحسب إدعائهم أنه اختياري وليس إجبارياً، ويختلف ميقاته بين الفرق المتعددة، وهو الإمتناع عن الطعام من الصباح وحتى منتصف النهار، ثم تناول طعام خال من الدسم.

---

[1] المصدر السابق ص ١٨٣.

[2] القسيس إبراهيم سعيد في كتابه «شرح بشارة لوقا».

أما الصلاة فهي ركن من أركان الدين، وفي اعتقادهم أنها تقربهم إلى الله عن طريق المسيح وهي ترجمان القلب المقتنع بوجود الله الخالق والحافظ والفادي ويعبر بها عما يخالجه من الأشواق والعواطف، فالبنظر لإقتناعه بقداسته تكون الصلاة كلمات التعظيم والتسبيح له، وبالنسبة لاقتناعه بجوده وإحسانه تكون الصلاة عبارات الشكر والحمد، وبالنسبة للوقوع في الخطيئة تكون الصلاة كلمات التذلل والتواضع والاستغفار، وبالنسبة للاحتياج إليه تعالى تكون الصلاة طلباً ودعاءً.

ويشترط لإتمام الصلاة [١] أن تقدم بإسم المسيح، جاء في إنجيل يوحنا: «**الحق أقول لكم إن كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم، إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي. اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً**»[٢].

وعلة طلبهم عبر المسيح هو أن الإنسان بسبب خطاياه أبعد عن رضا الله، ولكن يوم المسيح زال هذا البعد وقرب من الله، فقد جاء في رسالة بولس: لكن الآن في المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح، لأنه هو سلامنا الذي جعل الإثنين واحداً ونقض حائط السياج المتوسط»[٣].

---

[١] القسيس إبراهيم سعيد في كتابه «شرح بشارة لوقا».

[٢] إنجيل يوحنا الاصحاح السادس عشر

* من الواضح أن هناك علاقة بين تقديس الصليب عند المسيحيين وبين النظم الرومانية التي كانت تجعل حمل الصليب دليلاً على صدور الحكم بالإعدام صلباً، فحمل المسيحيون الصليب استعداداً لهذه الحالة، فالتعبير يحمل الصليب مستعار من الأنظمة الرومانية

[٣] رسالة بولس إلى أهل إفسس في الإصحاح الثاني.

وفي تفسيرهم للصلاة يقولون «**إن للصلاة باسم المسيح معنى أدق من ذلك وهو أن الإسم يمثل دائماً المسمى، فتكون الصلاة بإسم المسيح تمثيلاً لوحدته معهم، بحيث تكون طلباهم طلباته، وصلاحهم صلاحه، وحياهم حياته وبالجملة كأنه يحيا فيهم ولأجلهم**».

ب) أن يسبق الصلاة الإيمان الكامل بما عندهم فقد جاء في إنجيل مرقس[1]:

«**لذلك أقول لكم كل ما تطلبونه حينما تصلّون فآمنوا أن تنالوه، فيكون لكم**».

أما شكل الصلاة فليس لها عبارات خاصة، بل ترك لهم ما يختارونه على منوال الصلاة التي علمهم إياها والمسماة بالصلاة الربانية: «**فقولوا إبانا الذي في السماوات، ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض، خبزنا كفافنا أعطنا كل يوم، واغفر لنا خطايانا، لأننا نحن أيضاً نغفر لكل من يذنب إلينا، ولا تدخلنا في تجربة، ولكن نجنا من الشر**»[2]، وهناك أمثلة أخرى يختاروها من سفر المزامير.

وإن كان في شأن الصلاة عندهم الإكثار منها دون حصرها في عدد معين فإهم يخالفون اليهود في زعمهم أن الإكثار من الصلاة يجعل الله يمل، جاء في إنجيل لوقا: «**قال لهم مثلاً في أنه ينبغي أن يصلي كل حين ولا يمل قائلاً: كان في مدينة قاضي لا يخاف الله، ولا يهاب إنساناً، وكان في تلك المدينة أرملة، وكانت تأتي قائلة انصفني من خصمي وكان لا يشاء**

---

(1) الإصحاح الحادي عشر.

(2) إنجيل يوحنا، صدر الإصحاح الحادي عشر.

إلى زمان، ولكن بعد ذلك قال في نفسه: وإن كنت لا أخاف الله ولا أهاب إنساناً فإني لأجل أن هذه الأرملة تزعجني أنصفها لئلا تأتي دائماً فتقنعني، وقال الرب اسمعوا ما يقول قاضي الظلم، أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين إليه نهاراً وليلاً وهو متمهل عليهم، أقول لكم إنه ينصفهم» [١].

المعمودية:

لا تتعدى المعمودية الرش بالماء أو التعميد فيه، وكان التعميد موجوداً قبل المسيحية عند اليهود وكان «يحيى» يعمد الناس في نهر الأردن، لذلك سمي (يوحنا المعمدان) وقد قام يوحنا بتعميد المسيح.

ويلعن «**مجمع ترنت**» كل شخص يقول أن المعمودية المسيحية تشابه معمودية القديس يوحنا.

يقول كاتب «**محمد في الكتاب المقدس**» عن المعمودية «أنه من الرواية القليلة الضئيلة في الأناجيل، لا نستطيع الحصول على تعريف إيجابي للطبيعة الحقيقية للمعمودية، كما مارسها يوحنا وعيسى. والزعم بأن الكنيسة هي مستودع الوحي الإلهي ومفسره الحقيقي، (سخيف) مثل الزعم بأن الطفل أو الراشد المعمد يتلقى الروح القدس ويصبح أحد أبناء الله.

وحسب شهادة مرقس في إنجيله[٢]: فإن معمودية يوحنا كانت تتسم بطابع العفو عن الخطايا، ويقال إن جميع بلاد اليهودية أو سكان القدس

---

[١] إنجيل لوقا. صدر الاصحاح الثامن عشر.

[٢] إنجيل مرقس الاصحاح الأول الفقرات ١ — ٨.

خرجوا إليه، وقد عمدهم في نهر الأردن بينما كانوا يعترفون بخطاياهم. وهذا يرادف القول بأن ملايين اليهود التائبين اعترفوا بخطاياهم وعمدهم النبي ثم مسحت مياه المعمودية خطاياهم: ومن المسلم به عموماً أن إنجيل مرقس هو أقدم الأناجيل الأربعة. وجميع المخطوطات اليونانية القديمة لا تحتوي على العبارات الإثنتي عشرة الأخيرة التي أضيفت إلى الاصحاح السادس من هذا الإنجيل[1] وحتى في العبارات الملحقة فإن عبارة «**باسم الأب والابن والروح القدس**» ليست مكتوبة ويقول عيسى: «**اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها، فمن آمن وعمد يخلص، ومن لم يؤمن يدان**».

ومن الواضح أن معمودية عيسى كانت نفس معمودية يوحنا واستمراراً لها.

وإذا كانت معمودية يوحنا طريقة كافية لغفران الخطايا، فعندئذ يتهافت القول بأن حمل الله يتحمل خطايا العالم (يوحنا/١). وإذا كانت مياه الأردن فعالة لدرجة تنظيف جذام «**نعمان**» من خلال صلاة النبي يوحنا، فإن سفك دم «**إله**» يكون لا محل له، وبالفعل مخالفة للعدالة الإلهية.

وليس ثمة شك في أنه حتى ظهور بولس على المسرح، كان اتباع يسوع المسيح يمارسون الطقوس المعمدانية ليوحنا المعمدان، ومن الجدير بالملاحظة أيضاً أن مؤلف الكتاب الخامس للعهد الجديد المسمى «**بأعمال الرسل**» كان أحد رفاق بولس هذا ويدعى بأن هؤلاء الذين عمدهم يوحنا المعمدان «**لم يتلقوا الروح القدس**» ولذلك كان لا بد من إعادة تعميدهم ثم ملئهم بالروح القدس[2] لا عن طريق المعمودية باسم عيسى ولكن عن

---

[1] إنجيل مرقس ٩ — ٢٠.

[2] أعمال الرسل ١٦/٨، ١٧، ٢/١٩ — ٧.

طريق «**وضع الأيدي**» ويذكر بوضوح في هذه المقتبسات أن المعموديتين كانتا متماثلتين في طبيعتهما وفعاليتهما، وأنه لم تترل الروح القدس على الشخص الذي جرى تعميده سواء من قبل عيسى أو يوحنا أو بإسم أي منهما، وبوضع الرسل لأيديهم على الشخص المعمد، يمس الروح القدس قلبه لكي يملأه بالإيمان ومحبة الله. لكن هذه الهبة الإلهية جرى منحها لرسل فقط ممن كانوا حقيقة أنبياء يوحى إليهم، ولا يمكن أن يطالب بها أو يدعيها خلفاؤهم المزعومون[١].

وإذ أكانت الأناجيل تعني أي شيء على الإطلاق، في حديثها عن المعمودية، فإنها تخلف وراءها الإنطباع بأنه لم يكن ثمة فرق بين المعمودتين، سوى أنهما كانتا تمارسان باسم واحد حول يوحنا المعمدان الذي وصم طائفة الفريسيين بالوصف الكريه «**أبناء الأفاعي**» وثمة لمسة من الحقد ضد يوحنا وضد قيمة معمودتية في الملاحظات التي أبداها لوقا في «**أعمال الرسل**» وكان لوقا أحد تلاميذ بولس ومرافقيه، وإن اعتراف لوقا بأن المعمودية باسم عيسى ايضاً لم تكن تتم بالروح القدس، لبرهان أكيد ضد الكنيسة التي حولته بصورة تعسفية طائلة إلى طقوس سرية. وكانت معمودية الكنيسة إكمالاً وتكريساً لمعمودية يوحنا لا أكثر.

أما المعمودية بالروح القدس وبالنار فقد كانت مقتصرة على الإسلام فقط، وإن القول بأن اثني عشر شخصاً من السامرة لم يتلقوا حتى الآن الروح القدس لأنهم عمدوا فقط باسم سيدنا عيسى[٢]، دليل حاسم على تنفيذ مزاعم الكنيسة[٣].

---

(١) محمد في الكتاب المقدس ص ١٩٤.

(٢) أعمال الرسل ١٦/٧ – ١٧

(٣) محمد في الكتاب المقدس ص ١٩٥

العشاء الرباني:

ويطلق عليه أيضاً «التناول وهو أيضاً عادة أخذت عن الأديان السابقة للمسيحية، والعشاء الرباني رمز للعشاء الأخير لعيسى مع تلاميذه حيث اقتسم معهم الخبز والنبيذ والخبز يرمز إلى جسد المسيح الذي كسر لنجاة البشرية، أما الخمر فيرمز إلى دمه المسفوك لهذا الغرض. وقد جاء في رسالة بولس لأهل كورنتوس عن العشاء الرباني «إن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزاً، وشكر، فكسر، وقال: خذوا وكلوا، هذا هو جسدي المكسور لأجلكم، وإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذا الكأس تخبرون بموت الرب حتى يعود[1].

وجاء في إنجيل يوحنا قول عيسى: والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم، ومن يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية يثبت في وأنا فيه، فمن يأكلني فهو يحيا بي[2].

---

(١) كورنتوس الأول ١١: ٢٣ – ٢٦.

(٢) الاصحاح السادس: الفقرات ٥١ – ٥٨.

الفصل الرابع

الأديان غير الكتابية

لقد عرفت الهند ما سمي حضارة الأنهار والوديان وترجع أقدم حضارة فيها إلى ٢٥٠٠ ق.م. حيث سكنها الرافيديون Dravidions ثم جاءها الآريون ما بين ٢٠٠٠ و ١٥٠٠ ق.م. وسكنوا ضفاف نهر الغانج. وأقدم حضارة لهم في الهند حضارة الفيدا Vida وهي تعني المعرفة وهي لكسب رضى الخالق. وفي هذه الفترة عمل الهنود على الزراعة ورعي المواشي ومن هنا كانت عوامل تقوية الغريزة الدينية ومن أهمها اختلاف قوى الطبيعة ومواجهة الإنسان لهذه القوى وجهاً لوجه وإحساسه بالضعف تجاهها. فدفعت الهندي أن يصبح متديناً بطبيعته يشغف بالروحانيات، ويسعى دائباً إلى معرفة الخالق، ويتخذ الزهد وسيلة ليتخلص من دنيا المادة وينتظم في دنيا الروح، وهيهات أن تجد هندوسياً لا يعبد عدداً من الآلهة، فالعالم عنده زاخر بها حتى أنه يصلي للنمر الذي يفترس أنعامه»[1].

ومن بين آلهتهم آغني Agni إله النار الذي يمثل الشمس في السماء والنار المقدسة في الأرض ومن أهم أسس الحياة الاجتماعية في الهند نظام الطبقات وعلى رأسهم طبقة الكهنة، أما ما بين ١٠٠٠ و ٥٠٠ ق.م فكان عصر آخر، عصر البطولة والديانة البراهمية وظهر في هذا العصر تالوت إلهي مؤلف من براهما الخالق، وشيفا المهلك وفشنوا الحافظ. والهندوسيون اليوم يتبعون إما شيفا أو فشنو.

---

[1] أنظر حضارة الهند لغوستاف لو بون ص ٣٨٦.

كما وظهرت في هذا العصر عقيدة التقمص، بمعنى أن الروح تولد مرات متعاقبة.

وحصلت ردات فعل ضد البراهمة حيث تعقدت الطقوس كثيراً وسيطرت طبقة الكهنة، فقامت ثورة ضد الكهنة البراهميين وظهرت الجينية ومؤسسها مهافيرا Mahavira ٥٥٠-٤٧٧ ق.م. وكان أميراً ابتعد عن الحكم، وانعزل يعذب نفسه اثنتي عشرة سنة حتى جاءه الهدى دون مساعدة من الكهنة، ولهذا لقب بالجينا Jina أي الغالب. وأساس هذه الطريقة التوبة التقشفية والامتناع عن إيذاء أي كائن حي[1].

وبرد أيضاً على البراهمة ظهرت البوذية ومؤسسها غوماتا سيدهارتا ٥٦٤ – ٤٨٣ ق.م ودعي «بوذا» أي المستنير أو المهتدي، وتنكر لسلطة الفيدا، أي الكهنة البراهمية.

وقد تميزت الجينية والبوذية باتخاذها لغة الشعب Prokrit بدل السنسكرتية لغة الكهان.

وحول عبادة البقرة يقول المهاتما غاندي «**إن حماية البقرة التي فرضتها الهندوسية هي هدية الهند إلى العالم وهي إحساس برباط الأخوة بين الإنسان وبين الحيوان، والفكر الهندي يعتقد إن البقرة أم للإنسان وهي كذلك في الحقيقة، إن البقرة خير رفيق للمواطن الهندي، وهي خير حماية للهند...**» «**عندما أرى بقرة لا أعدني أرى حيواناً، لأني أعبد البقرة وسأدافع عن**

---

(1) أنظر
Religions of the World by Bery. P. 40

عبادتها أمام العالم أجمع...» وأمي البقرة تفضل أمي الحقيقية من عدة وجوه...»[١].

وقد اشتهرت الهند بكثرة الأديان والمعتقدات التي تضارع في كثرتها لغات الهند أو تقرب منها، وكانت الهندوسية أشهر هذه الأديان وأوسعها انتشاراً وقد وضح كتاب Hinduism موقع الهندوسية في الهند فقال إنه لمن الصعب أن يطلق على الهندوسية ديناً بالمعنى الشائع، فالهندوسية أشمل وأعمق من الدين، إنها صفة لملامح المجتمع الهندي، بنظامه الطبيعي ومكان كل طبقة فيه، إنها الحياة الهندية بأسلوبها الخاص الذي يعتبر في ذاته شعيرة من الشعائر، إنها خليط يشمل الأمور المقدسة والأمور الدنيوية جميعاً، إذ لا يوجد في الفكر الهندي حد فاصل بين الإثنين، إنها الاتجاهات الروحية والخلقية والقانونية، وهي إلى جانب ذلك مبادئ وقيود وعادات توجه الحياة الهندية وتسيطر عليها[٢].

ولقد اشترك عدد كبير من مفكري وفلاسفة الهند في وضع دياناتها، فأعطوا نتاجاً ضخماً متشابهاً ومتخالفاً موحداً ومتشابكاً متضارباً، وتطورت الأديان في الهند فتعقدت وتشابكت من جديد، ومن الصعوبة في بحث أديان الهند أننا نجد أحياناً الدين بلا عقيدة واضحة وقد يكون خالياً من فكرة الآلهة فيبقى ديناً بلا إله وعرفاً وممارسة لبعض العبادات.

وفي دراستنا لديانات الهند سنعرض للهندوسية والجينية والبوذية.

---

[١] أنظر

Bhavan's Journal Novembre 1963. India. P.11

[٢]

Hinduism. Ed By Lervis Renou. P.4.

الهندوسيـــة

إن الهندوسية هي دين غالبية الهنود وقد قامت على أنقاض الفيدية، وتشربت أفكارها وتسلمت عن طريقها الملامح الهندية القديمة والأساطير الروحانية المختلفة التي نمت في شبه الجزيرة الهندية قبل دخول الآريين. ومن أجل هذا أعدها الباحثون امتداداً للفيدية وتطوراً لها[١].

بالإضافة إلى إسمها أطلق عليها البرهمية نسبة إلى براهما Brahma ومنه اشتقت الكلمة «البراهمة» لتكون علماً على رجال الدين الذين يعتقد أنهم يتصلون في طبائعهم بالعنصر الإلهي وهم لهذا كانوا كهنة الأمة، لا يجوز تقديم القرابين إلا في حضرتهم وعلى أيديهم[٢].

لقد تطورت الهندوسية عبر الأزمنة ومن خلال مجموعة عادات وتقاليد نظمت حياة الآريين لأجيال متعاقبة عبر قدومهم واستقرارهم في أراضي الهند.

وهي أسلوب في الحياة أكثر مما هي مجموعة عقائد ومعتقدات، وهي أيضاً دون صيغ محدودة المعالم فهي مزيج متشابك من العقائد ما يهبط إلى عبادة الأحجار والأشجار وما يرتفع إلى التجريدات الفلسفية الرقيقة.

كما وإن الهندوسية ليس لها مؤسس معين كذلك الفيدا وهي الكتاب المقدس الذي جمع العقائد والعادات والقوانين ليس له كاتب معين، و يعتقد

---

(١) Hinduism. P.6

(٢) محمد عبد السلام «فلسفة الهند القديمة – ثقافة الهند آذار ١٩٥٣.

بأنه كتاب أزلي لا بداية له، وينسب Berry كتابة الفيدا إلى الآريين[1].

والفيدا عبارة عن أربع كتب دينية هي:-

١- الريغفيدا Rig Veda وتشمل أناشيد دينية وضعت ليتضرع بها أتباعها أمام الآلهة أو يتغنون بها عن الآلهة.

٢- ياجورفيدا Yajour Veda وتشمل العبادات النثرية التي يتلوها الرهبان عند تقديم القرابين.

٣- ساما فيدا Sama Veda. وتشمل الأغاني التي ينشدها المنشدون أثناء إقامة الصلوات وتلاوة الأدعية.

٤- آثار فيدا Athar Veda وهي تشمل مقالات في السمر.

الإله في العقيدة الهندوسية:

في الفكر الهندوسي نزعتان مختلفتان حول الإله وهما نزعة الوحدانية ونزعة التعدد والأخيرة أقوى وأكثر انتشاراً.

كان الهنود يعبدون قوى الطبيعة وكانوا يدعون تلك الآلهة لتبارك لهم ذريتهم وأموالهم وتنصرهم على أعدائهم.

وقد مر الهنود بمراحل متعددة قبل أن يصلوا إلى عبادة هذه الظواهر دفعة واحدة ولكنهم في وسط هذا التعدد كانوا يميلون أحياناً للتوحيد أو

---

(١) Religions of the Vorld. P.40.

إلى اتجاه قريب منه، فكانوا إذا دعوا إلها وتقربوا إليه وأثنوا عليه يغيب عنهم سائر الآلهة والأرباب، ويصير إلههم هو ذلك الإله لا غير[1].

وفي القرن التاسع قبل الميلاد وصل فكر الكهنة الهنود إلى إبراز هذه النتيجة التي تقرب من التوحيد أو تصل إليه فقد جمعوا الآلهة في إله واحد، وقالوا أنه هو الذي خلق العالم وهو حافظ له وهو يهلكه وكانت الأسماء الثلاثة، فهو براهما الخالق وشيفا المهلك وفشنو الحافظ.

وهنا يظهر لنا تأثر المسيحية بما قدمه الكهنة الهنود في مسألة التثليث في وحدة ووحدة في تثليث.

فبرهما إسم الله في اللغة السنسكريتية، وهو عند البراهمة الإله الموجود بذاته، لا تدركه الحواس، ويدركه العقل، وهو مصدر الكائنات كلها، لا حدّ له.

جاء في الكتاب المقدس (الباجافاتا بورانا) إن كاهناً توجه إلى الآلهة برهما وفشنوا وشيفا وسألهم: أيكم الإله بحق؟ فأجابوا جميعاً: إعلم أيها الكاهن إنه لا يوجد أدنى فارق بيننا نحن الثلاثة، فإن الإله الواحد يظهر بثلاثة أشكال بأعماله من خلق وحفظ وإعدام، ولكنه في الحقيقة واحد، فمن يعبد أحد الثلاثة فكأنه عبدها جميعاً، أو عبد الواحد الأعلى[2].

---

(١) Hinduism. Ed. By Lewis Renou P.6.

(٢) محمد فريد وجدي: دائرة المعارف ج٢ ص ١٥٤ — ١٥٥.

العقائـــد الهندوسيـــة:

من أهم العقائد الهندوسية

١- **الكارمـــا: Karma** وهو قانون الجزاء «إن الشهوة أقوى عامل في حياة الإنسان ولكن شهواتنا تؤثر على الآخرين، فنحن في أعمالنا التي تفرضها الشهوات نحسن إلى الآخرين أو نسيء، فلا بد أن ينطبق علينا **«قانون الجزاء»** المسيطر على حياة سائر الأحياء الحرة في الكون وهذا القانون في اللغة السنسكرتية (Karma) وليس لأحد أن يتخلص منه ولا يمكن للمرء أن يجد مكاناً يفر إليه من جزاء أعماله حسنة كانت أو سيئة، ولا بد من أن يجازى عليها بالثواب أو العقاب طبقاً لناموس العدل، وإن العدل الكوني قضى بالجزاء لكل عمل[1].

وفي الطبيعة نوعاً من النظام لا يترك صغيرة ولا كبيرة من أعمال الناس بدون إحصائها والجزاء عليها في هذه الحياة ولكن من واقع الحياة المملوس يلاحظ الهندوس أن حياة الظالم قد تنتهي دون أن يقتص منه، وإن حياة المحسن قد تنتهي دون أن يحسن إليه، ولذلك لجأوا إلى القول بتناسخ الأرواح، ليقع الجزاء في الحياة القادمة إذا لم يتم في الحياة الحاضرة.

وتحاول فلسفة اليوغا تقريب موضوع الكارما إلى الأذهان فتذكر أن حياتنا تكون سارة أو غير سارة تبعاً لما نقوم به من أعمال.

---

(١) البروفسور أثريا: «ثقافة الهند وحياتها الروحية والأخلاقية والاجتماعية ص ٤٢ – ٤٣.

٢- **تناسخ الأرواح:** ويطلق على هذه العقيدة تعبيرا اصطلاحيا وهو «**تجوال الأرواح**» ويطلق عليها «**التناسخ**» فقط أو «**تكرار المولد**» والتناسخ هو رجوع الروح بعد خروجها من جسم إلى العالم الأرضي في جسم آخر.

والسبب في ذلك أن الروح عندما خرجت من الجسم لا يزال لديها أهواء وشهوات مرتبطة بالعالم المادي لم تتحقق وكذلك عليها ديون كثيرة في علاقاتها بالآخرين لا بد من أدائها[١].

وتكون دورة الروح الجديدة متقمصة جسداً جديداً، وتكون هذه الدورة نتيجة للدورة الماضية فتوجد الروح في إنسان أو حيوان أو ثعبان، ويسعد أو يشقى نتيجة لما قدم من عمل في حياته السابقة[٢].

ومن الشروط اللازمة لتجوال الروح، إن الروح في عالمها الجديد لا تذكر شيئاً عن عالمها السابق، فكل دورة منقطعة تماماً بالنسبة للروح عن سواها من الدورات[٣].

وقد تسرب القول بالتناسخ إلى قلة من المسلمين، يقول ابن حزم[٤]. افترق القائلون بتناسخ الأرواح على فرقتين، فذهبت الفرقة الأولى إلى أن

---

(١) المصدر السابق ص ٤٢.

(٢) المصدر السابق ص ٤٠.

(٣) Berry: Religions of the World. P.41.

(٤) ابن حزم كتاب الفصل في الملل والنحل ج١ ص٩.

الأرواح تنتقل بعد مفارقتها الأجساد إلى أجسام أخرى، وإن لم تكن من نوع الأجساد التي فارقت.

ومما تسرب إلى بعض الفرق الأخرى متصلاً بالتناسخ، القول بالرجعة، فهي عودة الروح لحياة جديدة ولكنها في الرجعة تعود في الجسم، أي أن الشخص نفسه جسماً وروحاً يعود للحياة بعد الموت[١].

الجينية

كان لما قامت به البراهمية على الصعيد الاجتماعي والديني في الهند، من جعل طبقة الكهنة أولي قوة، وتعقيد الطقوس، إن قامت حركة ثورية أسسها مهافيرا Mahavira[٢] ولقب الجينا Jina أي المنتصر أو الغالب، مال جينا إلى التزهد فترك أهله وانقطع إلى العبادة والتعليم فإذا به يرى أنه قد انكشف له معارف وانتصر على الشهوات وعلى الكارما فأخذ ينشر مذهبه وتعاليه.

---

[١] أنظر العقد الفريد لأبن عبد ربه ج٢ ص ٤٠٨.

[٢] «عن مولد مهافيرا وبعد ايام احتمع أعضاء العائلة ودعيت عمة الطفل لتختار أسماً له كالعادة، غير أن والديه ذكرا ان الأسرة نعمت بالرخاء والخير منذ حملت به أمه، واقترحا لذلك أن يسمى «ورد هاماتا» أي الزيادة، ولكن أتباعه يدعونه مهافيريا» مدعين أنه الاسم الذي اختارته له الآلهة ومعناه البطل العظيم، ويدعى كذلك «جينا» أي المنتصر أو الغالب وبهذا سميت الغرفة كلها وسميت به الديانة الجينية لأن مؤسسيها عرفوا بقهر شهواتهم والتغلب على رغباتهم المادية» أنظر حامد عبد القادر بوذا الأكبر ص ٢٦.

عقائد الجينية:

الجينية هي حركة عقلية عملت على التحرر من سلطان الفيدات، وهي مطبوعة بطابع الذهن الهندوسي العام، أسس بنيانها على الخوف من تكرار المولد والهرب من الحياة اتقاء شائماتها، فمنشؤها الزهد في خير الحياة فزعاً من أضرارها» عمادها الرياضة الشاقة والمراقبات المتعبة، ومعولها الجمود للملذات والمؤلمات، وسبيلها التقشف والتشدد في العيش، وطريقها الرهبانية ولكن غير رهبانية البرهمية، وقد داوى الجينيون الميول والعواطف بإفنائها ووصلوا في ذلك إلى إخماد شعلة الحياة بأيديهم، وافتقدوا النجاة في وجود من غير فعلية، وسرور من غير انبعاث[1].

١- مفهوم الإله في العقيدة:

إن الجينية كما أسلفنا قامت ضد الهندوسية وثورة على سلطة البراهمية لذا لم يعترف مهافيرا بالآلهة، ولم يعتقد بوجود روح أكبر أو خالق أعظم لهذا الكون، فالاعتراف بالآلهة يعني وجود طبقة براهمه أو كهنة يكونون صلة بين الناس والآلهة لذا رفض فكرة الإله[2] ولذا سمي هذا الدين دين إلحاد، واتجهت الجينية إلى الاعتقاد بأن كل موجود إنساناً كان أو حيواناً أو نباتاً أو جماداً يتركب من جسم وروح، وأن كل روح من هذه الأرواح خالدة مستقلة يجري عليها التناسخ الذي اتفقت فيه الجينية مع

---

(١) الفيلسوف الهندي مولانا محمد عبد السلام الرامبوري: «الجينية» ضمن مقالاته وأبحاثه عن «فلسفة الهند القديمة».

(٢) اعتبر جينا إلهاً بعد مدة من وفاته. وبقيت هذه العقيدة داخل الهند.

الهندوسية»[1].

لقد كان اتجاه الجينية برفض فكرة الإله، ولكن مع ذلك فالعقيدة الجينية مسالمة، تدعو للبعد عن العنف حتى أنها تكره قتل الهوام والحشرات الصغيرة.

وكانوا في مجاملتهم للهندوس يعترفون لهم بآلهتهم ويحترمونها وإن لم يصلوا في أجلالها إلى درجة الهندوس بطبيعة الحال.

غير أن الطبيعة البشرية والفطرة كما ذكرنا سابقاً تميل للاعتراف بإله، لذا وجد فراغ في هذه العقيدة بسبب عدم اعتراف مهافيرا بإله تكتمل به صورة الدين الذي دعا إليه، وكان من نتيجة ذلك أن اعتبره أتباعه إلهاً، بل اعتبروا الجينيات الأربعة والعشرين[2] آلهة لهم، لعل ذلك تأثراً بالفكر الهندي الذي يميل إلى تعدد الآلهة.

٢- الكارما والتناسخ:

إن أديان الهند جميعاً متأثرة بالعقيدة الهندوسية ولو في بعض جوانبها ومن هنا نرى أن الجينية تأخذ بالكارما والتناسخ ولكنها تتعارض مع ما تعتقده الهندوسية من أن الكارما أمر اعتيادي يحقق قانون الجزاء الذي يحمل

---

(١) Weech: "The peoples and Religions of India. P. 315.

(٢) يرى الجينيون أن عقيدتهم قديمة جداً وقد تمت على يد أربع وعشرين من الجينين والأول فيهم يدعى «رسابها» فهو قديم جداً وتتابع الجيناوات الواحد بعد الآخر حتى ظهر الجيناوان الأخيران في العصور التاريخية، فالثالث والعشرون هو «بارسوانات» وقد ولد في القرن التاسع قبل الميلاد وقد أسس نظاماً رهبانياً وجعل أتباعه خاصة وعامة، ثم جاء «مهافيرا» وهو الرابع والعشرون فاعتنق مبادئ البارسوانات وزاد عليها واشتهرت العقيدة باسمه.

الإنسان تبعة أعماله، ويجزيه عليها عن طريق تناسخ الارواح، فتقول الجينية بأن الكارما كائن مادي يخالط الروح كأنه يمسك بأهدابها، ولا سبيل لتمرير الروح من هذا الكائن إلا شدة التقشف والحرمان من الملذات في كل مرحلة من مراحل الحياة، فهذه وحدها هي وسيلة تحرير الروح وحياته حياة أبدية حرة. وتصف الكتب الجينية المقدسة ذلك فتقول «كما تتحد الحرارة بالحديد، وكما يمتزج الماء باللين، كذلك يتحد الكارما بالروح، وبذلك تصير الروح أسيرة في يد الكارما»[1].

وللوصول إلى تخليص الروح من الكارما تتكرر ولادة وموت الإنسان حتى تظهر نفسه وتنتهي رغباته، عندها تقف دائرة عمله وكذلك حياته المادية فيبقى روحاً خالداً في نعيم خالد، وهذا الخلود للروح في النعيم بعد أن تتخلص من المادة يسمى «النجاة» وهو يماثل الانطلاق في الهندوسية و «النرفانا»في البوذية.

٣- النجاة والطريق إليها:

إن الغاية في الكون هي النجاة وتكون بتخليص وتطهير الروح من أوساخ العواطف والشهوات الحيوانية، ومن تكرار المولد والموت وهي التمسك بالخير والتخلي عن ارتكاب الشر، والنجاة هي دور من أدوار الوجود يختلف عن أدوار الحياة الفانية، وليس للنجاة نهاية فهي أبدية سرمدية.

والسبيل إلى النجاة والوصول إليها يكون بعدم إيقاع أي إذاً بأي مخلوق، وأسمى ما في هذه العقيدة احترام الحياة، وتكون النجاة أيضاً بقهر جميع المشاعر والعواطف والحاجات، حتى يصبح الراهب في حالة الجمود

---

[1] أنظر حامد عبد القادر «هوذا الأكبر ص ٢٨».

فلا يشعر بما حوله، ودليل ذلك أن يتحرى فلا يحس بحياء ولا ألم كي يتيقن بأنه لم يعد متعلقاً بالماديات ولا خاضعاً لمقاييسها، فهذا يبعده عن النجاة. وبما أن العري والجوع أبرز ما في هذا التنظيم فقد دعيت الجينية بدين العري ودين الانتحار.

فالعري دليل على النقاء، فعلى كل ناسك يريد الحياة البريئة من الإثم أن يعيش عارياً ويتخذ من الهواء والسماء لباساً له.

أما الانتحار فهو نتيجة للتخلي عن كل محل وترك كل ما يغـــذي الجسم لعدم الإحساس بالجوع، ويعتبر الانتحار غاية أو جائزة لا تتاح إلا لخاصة الرهبان الذين اتبعوا النظام الجيني[1].

البوذيــــة

قامت البوذية كردة فعل على البرهمية وسلطة الكهنة والطقوس التي أرهقت الناس. وهي في الواقع مجموعة من الأديان والفلسفات، فإن البوذا لم يخلف كتاباً مقدساً، ولم يدون تعاليمه، ولم تسجل آراؤه إلا بعد وفاته

---

[1] تعمل هذه العقيدة على احترام الحياة بمعنى أنها لا تؤذي أي إنسان أو حيوان وتحرص على حياة كل حشرة أو دابة بينما نراها تدعو لانتحار الرهبان جوعاً وتعتبره تقرباً وجائزة، والسؤال الــذي يطرح هنا أليس في ذلك من تناقض في الفكر والعقيدة، في الحفاظ على الحياة مــن جانــب وفي الدعوة إلى إنهاء الحياة في جانب آخر.

- والمصادر المقدسة لدى الجينيين هي خطب «مهافيرا» ووصاياه ثم الخطب والوصــايا المنســوبة للمريدين والعرفاء والرهبان والنساك الجينيين، وقد انتقل هذا التراث المقدس من جيل إلى جيل عبر طريق المشافهة، ثم خلف ضياع هذا التراث فاجتمع زعماء الجينية في القرن الرابع قبل المــيلاد في مدينة «باطلي مترا فجمعوا بعضه ولكن اختلفوا في بعض المصادر، فتأجلت كتابة القانون الجــيني حتى سنة ٧٥م. وفي القرن الخامس الميلادي قرر الرأي على التراث.

بأربعمائة عاما فلا مناص والحالة هذه أن تنقسم إلى مدارس أساسية ثم تتفرع فرقاً وشيعاً.

ويرجع العهد بالبوذية إلى القرن السادس قبل الميلاد، وقد نشأت أصلاً في الهند، إبان عصر كان طابعه الغليان الديني، حيث كان النساك يبشرون بالأساليب المختلفة لتحرير الروح من الجهل والمكابدة، وكان الفكر الهندي ينوء وقتذاك تحت أعباء عبادة قوى الطبيعة. التي ضمتها بين طياتها نصوص الفيدا وتطورت على أيدي الكهنة إلى نظام معقد من الطقوس ومراسم القرابين. واستحدث هؤلاء الكهنة نظرية اجتماعية تبرز نظام الطبقات، وابتكروا فكرة عن المجازاة عن الأعمال عن طريق تقمص الروح خلال الحيوان المتعاقبة.

ولقد كانت البوذية في البداية مجرد معارضة من بين معارضات مماثلة ضد نزعة الشكلية التي سادت المجتمع الهندي.

ومن مآثر البوذية في التفكير الهندي:

١- تحريم القرابين استرضاءً للآلهة تحريماً باتاً.

٢- شجبت البوذية كافة الادعاءات المتصلة بتسامي فرد أو جماعة بسبب الميلاد. وهذا ما فتئت طبقة البراهمة تدعيه، ونبذت البوذية الفروقات الاجتماعية بين الأفراد.

٣- ساوت البوذية بين المرأة والرجل في تنظيماتها الدينية.

٤- أوصى بوذا أتباعه بالتبشير بنفس اللغة الشائعة بين النـــاس وأن يعتصموا بالحلم والتواضع.

٥- رغم انتماء البوذا إلى عائلة استقراطية، إلا أن التفكير الديمقراطي سيطر على منهاجه وأصبح طابع تفكيره.

وقد نشأت البوذية أولاً كعقيدة أخلاقية، لكنها تطورت إلى عقيدة دينية ألهت بوذا. و لم يعد السعي لخلاص النفس غاية البوذي الصالح، وإنما أصبح الاقتداء بالبوذا يدفعه لبذل أقصى الجهود لخلاص نفوس رفاقه، حتى وإن أعاق ذلك عملية خلاصه هو نفسه.

ويعتبر القرن السادس قبل الميلاد عصراً حافلاً بالأحداث الجسام، ويعد نهاية عصور قديمة وبداية عهد جديد من التقدم البشري، وله خلاله «**كونفوشيوس**» و «**لاوتزو**» حكيماً العين العظيمان. وفي أبان هذا القرن: دمرت أورشليم، وانتهى عهد ملوك اليهود من نسل داود، وأسس «**قورش**» الكبير الإمبراطورية الفارسية، وظهر «**صولون**» المشرع اليوناني و «**فيثاغورس**» الرياضي النابه. فكان هذا إيذاناً بعصر اليونان الثقافي الذهبي. وفي أوائل هذان القرن (عام ٥٢٥ق.م.) احتل الفرس مصر.

وولد الأمير «**سيدهارتا**» ابن ملك (ساكبا) ويدعى «**سودودانا جورتاما**». وانصبت غاية أبيه أن يجعل منه ملكاً صالحاً وقد أخبره العرافون بأن ابنه سيكون له شأن عظيم.

وزار سيدهارتا (البوذا) كافة الطوائف الدينية الهندية، وشاهد عمليات اليوجا واختلط بأفراد طائفة تؤمن بأن التعذيب الذاتي يحقق تدمير

رغبات الجسد، ويقض على نزواته، فتتم السيطرة على الذهن. وأخيرا اقتنع البوذا بعد ستة أعوام من حياة الذهن بعقم التجربة وسخافتها فلقد وضع غرور المال وحكمة التثقيف في الميزان فألغى ذلك قاصراً. لما استبان له من عقم الاستعانة بالزهد لتطهير الجسم، والاتضاح لتنقية الذهن، والعزلة كلج جمع القلب. كما اتضح له انه نشد الحكمة في الفقر... ومن ثم اتجه للنظر إلى بدائع الله في الكون.

واختار بوذا أن يجلس تحت شجرة تين على فراش من الحشائش، مواجهاً الشرق، ثابتاً، جامد الحركة، يتركز تفكيره في غاية مفردة عبر عنها بقوله **«لن أتحول عن مقامي هذا حتى أدرك الحكمة المطلقة والسامية»**، وأمضى ستة أسابيع تحت هذه الشجرة التي أطلق عليها أتباعه **«شجرة الاستنارة»**.

وظل بوذا أربعين سنة يبشر بتعاليمه، ولما أحس بدنو أجله، أمضى ساعاته الأخيرة في بذل وصاياه وإسداء توجيهاته وختم بقوله والآن أيها الأخوة. استأذنكم في الرحيل، إن جميع أسس الخليقة عارضة موقوتة. وتوفي عن ثمانين عاماً وأحرقت جثته[1].

---

(١)

Edward Thomas; the life of Buddha. P. 80.

- بوذا كلمة هندية تعني الحكيم أو المستنير أو المبارك، ويظهر أن الفيدا وهي كتب البراهمة «المقدسة» تبشر بحكيم يجدد ما طمسه الزمن من معالم الدين البرهمي، وينفي ما علق به بتوالي الأجيال، إذ نرى سواد البراهمة لا سيما الكهنة الراسخين في دراسة الفيدا، يتوقعون مجيء حكيم تفادياً مخلصاً مهدياً (إنجيل بوذا ص: ٢٦٥).

وقد أشار بوذا في آخر حياته، إلى أنه ليس أول البوذات ولا آخرهم (إنجيل بوذا ص: ٧٧) ولذا نرى البوذيين حتى الآن يتوقعون رؤية حكيم من أنفسهم.

إن اختلاء بوذا بنفسه ناظراً في هذا الكون متأملاً تم له في هذه الجلسة الإشراقية ما كان يترقبه.[1] وفي هذا يقول الرامبوري[2] وكان بوذا مستغرقاً في تأمله خائضاً في تفكيره إذ أخذته نزعة سماوية، فغاب عن نفسه وعن كل ما حوله، وطفق يطرأ عليه حال بعد حال، ويلحقه طور وراء طور، ثم عاد شعوره يتجلى رويداً رويداً، فأشرق الكون لديه وأصبح العقل يتجرد من شوائب المادية، فانشرح صدره، ورأى العالم في تكويناته وتقلباته ومبادئه ومناحيه، وقد غلب اللاهوت وتنور اللاهوت، فذاق سرور ما خطر بباله من قبل، ووجد قوة ما استشعر بها قط، فأبصر ينابيع الحياة وأحاط بمنابع الآلام واستوعب منابت البؤس، واكتشف مقاليد السرور، ورأى سبيلاً يهدي إلى تلاشي الأحزان وزهوق الآلام، فأدرك متمناه ونال مبتغاه، وتخلص من تقلبات الحياة، ونجا من حزازات الآلام، وتيقظ شعوره، وتنورت بصيرته، واستوى على عرش البوذية وصار بوذا أي العارف المستيقظ، والعالم المتنور».

ومن هنا ومع حدوث هذا الأمر أطلق لقب «**بوذا**» على غوماتا وهو وصف للعارف والمستنير وغلب إطلاقه عليه فأصبح علماً عليه وأصبح مريديه وأتباعه يعرفون «**بالبوذيين**».

---

(١) Edward Thomas: The life of Buddha. P. 8

ويقول René Sedillot (في كتابه The History of The World) إن هذه الإشراقة وحي. ويصورها بوذا بأنها «صوت حادثة من داخله قائلاً إن الهوى هو أصل الحزن. والنفس هي التي تجلب الشقاء...».

(٢) محمد عبد السلام الرامبوري في كتابه «فلسفة الهند القديمة ص ٨٩-٩٠.

أما «**شجرة الاستنارة**» التي جلس بوذا تحتها، كما اسماها أتباعه وأطلق عليها شجرة العلم، أو الشجرة المقدسة، وأخذت مكاناً سامياً عند البوذيين كما الصليب عند المسيحيين، وإذا كان هؤلاء قد نشروا الصليب في حياتهم وجعلوه في حليهم وفي حياتهم فإن البوذيين يرون في الشجرة المقدسة شيئاً على الناس أن تسعى إليه لا أن يسعى هو للناس ولهذا قاموا بزراعة شجرة واحدة من نوع الشجرة المقدسة يحج الناس إليها، في مناسبات مختلفة، للتبرك والزيارة[1].

ولم يكلف (بوذا) نفسه مشقة بحث الأمور الغيبية، لكنه بشر بمكارم الأخلاق، آملاً أن نقذ جماهير الناس الحاشدة المتردية في الخطيئة والفجور. إلى اجتذاب قلوب الناس إلى منحاة التفكيري، بفضل سماحة نفسه وصفاء قلبه، ويستهجن بوذا الطقوس والمراسم الخرافية ويحط من شأن ألاعيب الكهان، ويحمد له بالذات جهاده لتقويض صرح الفوارق الطبقية. فهو القائل: «لا يصبح الإنسان عضواً في طائفة البراهمة أو المنبوذين لأنه ولد كذلك. لكن أفعاله وحدها هي التي تحدد وضعه: سواء بين البراهمة أو بين المنبوذين!». ويندد باستخدام العنف في أية صورة من الصور، ويدين القرابين: بشرية وحيوانية، ويستقبح سفك الدماء، ومن رأيه إن الرفق فضيلة أسمى من ممارسة الطقوس الروحية، ولقد هفت نفسه إلى أن يلتزم كل إنسان بالفضائل ويتصف بالحكمة. لا أن يعزى نفسه بالانتساب إلى قلة مميزة، وكان يستعين في عظاته بلغة القوم الذين يتحدث إليهم، عوضاً عن استعمال لغةلا تفهمها سوى قلة من مستمعيه المتعلمين.

---

[1] ويعلق Wells على عناية البوذيين بهذه الشجرة بقوله: «من سوء الحظ ن تلاميذ غوتاما عنوا بحفظ شجرته أكثر من عنايتهم بالحفاظ على أفكاره التي أساءوا منذ البداية فهمها وشوهوها ومسخوها (A short History of the World,vol2, P. 472).

وليست عقيدة البوذا الدينية نظاما تحكميا من الطقوس السرية، والرسوم الخفية، والصلوات الجوفاء، لكنها منهاج للحياة وأسلوب للتفكير الصافي والحوار المتزن والفعل السديد.

المعالم الأساسية للفكر البوذي:

تعتبر إصالة بوذا الفكرية في الطريقة التي انتهجها وبسطها ورفع من قدرها، طريقة انتهى بها إلى تقرير مبادئ المساواة والعدالة. والفارق بينه وبين المعلمين الآخرين هو ما اتصف به من الحماسة الفائقة والروح الإنسانية السامية.

وقد ورثت البوذية عن البراهمية بعض التعاليم والمشاعر الدينية، كما تشارك البوذية بقية الهند الآرية في الإيمان بقانون الكارما[١] Karma وإمكانية بلوغ مرتبة الغبطة الكاملة أي «اليزفانا»[٢].

المكابدة: إن تجربة بوذا تؤمن بحقائق سامية تتعلق بالمكابدة، وتتجلى في طغيان الألم حتى لتصبح الحياة معاناة ومكابدة. وهذا الأمر ليس غريباً على الحياة الفكرية والدينية الهندية وإن كان بوذا قد أولاها عناية فائقة. ويعزى اتجاه بوذا في هذا السبيل إلى مغالاته في تعظيم التضحية بالنفس وتمجيده مثل التقشف والزهد. وترغيباً للناس في القرار من الدنيا، فإنه قد غالى في تصويرها في جسورة حالكة.

---

[١] الكارما: اصطلاح في الفلسفة الهندية يعني «الفعل» أي action ويدل على مبدأ العلة أي السببية في التجربة الخلقية.

[٢] اليزفانا: هي حالة قهر الشهوات ويفضلها يصل المرء إلى مرتبة الاستنارة، وهي غاية البوذية الروحية.

ففي البوذية تنتفي صفحة الحقيقة المطلقة عن أي شيء على الأرض وتدلل البوذية على صحة رأيها بأنه يستحيل على من يولد ألا يموت، والهلاك مصير المخلوق، ومناط الفارق بين شيء وآخر هو درجة الاستدامة: فإن بعض الأشياء قد يصمد لعوامل الفناء أعواماً، بينما يتداعى البعض الآخر بعد لحظات.

العلة والمعلول: إن التواتر في الشيء هو الذي يضفي عليه- كما ترى البوذية- مظهر الذاتية المستمرة. فالشيء ما هو إلا سلسلة حالات، يقال عن أولها أنه سبب الثاني، لأنهما ينتسبان إلى نفس الطبيعة. ذلك لأن مناط الذاتية التي تتراءى للعيان من لحظات إلى أخرى عبارة عن اللحظات المطردة الحدوث. فالعالم هو مجرد تعاقب الأحداث، وهذه الأحداث هي في تغير متصل، وتتجدد مع كل نسمة حياة، وتزول عند كل لحظة لتحل محلها مجموعة مماثلة.

ويعتبر هذا القانون أعظم منجزات البوذية الفكرية، ومداره أن الوجود يعني التحول والتغير. فالعالم بأسره مشروط بالبواعث، أي أن جميع الأشياء هي نتاج الأحوال.

وتكون الحياة عندها: استطاعة لا نهائية ترتبط بسلسلة من السببية غاية في المتانة والقوة، كذلك فهي عبارة عن مجموع متصل: أي وحدة متماسكة.

التقمص:

تجعل البوذية من العجلة الدوارة رمزاً لسلسلة من الحيوات التي تحددها مبادئ الكارما ومصداقاً لهذا الرأي:

- على أنقاض القديم بتشكل الجديد.
- الموت ميلاد ينشأ في معترك الاضطرام والأنقاد.
- يقع الموت عندما يراد مجازاة فرد عن أفعاله بكاملها.
- تتيح عجلة الوجود فرصاً جديدة لتحسين مصائرنا. وبهذا المعنى لا يصبح الناس هم المرتبطين وحدهم بعجلة الوجود. بل ترتبط بها كذلك الكائنات الحية بأسرها: ترتفع وتنخفض وفق دوران العجلة.
- النار مصير الآثم. أما الناقص فيقيض له تجديد الميلاد أي (التقمص). أما الإنسان المكتمل فيعود للحياة في السماء هانئاً بالسعادة.

ولا تعترف البوذية بما يطلق عليه نزوح الروح، بمعنى عبور الفرد من حياة إلى حياة، ذلك لأنه عندما يموت الإنسان، يتلاشى تركيبه المادي، وهو قوام كيانه النفساني- وعندما تنقضي حياته النفسانية، وبالتالي ليس الإنسان الميت هو الذي يتجدد ميلاده، لكن يفد إلى مجال الحياة إنسان آخر، أي ليس ثمة نفس تترح. لكن الشخصية هي التي تواصل مسيرتها.

ولا تفسر البوذية العملية التي يتم بفضلها إتصال فعل الكارما بين فترتي حياة تفصل بينهما ظاهرة الموت. فإنها تكتفي بالقول بوجود سلسلة من التعليل (أي التسبيب) الطبيعي هي التي تصل بين الحيوات المتعاقبة.

وتعتبر البوذية الإنسان الذي تجددت حياته هو وارث فعل الإنسان الذي مات. ولا ينفي هذا كونه كائناً جديداً.

فالبوذية في هذه الحالة تجعل الكارما العامل الأوحد الباقي في جميع الأحوال والملابسات، لكنها تقيم الفكر أحياناً قيماً على تأدية هذا الدور، أي أن جميع الأشياء هي نتاج الفكر، والفكر هو ركيزة نفوسنا. وبالتالي تؤمن البوذية بتوافر علاقة نسب بين الفكر والإرادة، لكن يتحرر المرء من الإرادة (أي الكارما) ومن الفكر (أي فيجنانا) وقتما يبلغ المرء أعلى مراتب النيرفانا: حيث يتم كبت الشهوات وقهر الرغبات، ويزول الأسى بفضل تصدع الشخصية. فالكارما هي التي تدفع حياة الفرد للإنطلاق، وعندما تهن، ينقضي وجوده[١].

النيرفانا:

كما كان «الإنطلاق» في الهندوسية، «والنجاة» في الجينية، فالبوذية تتكلم عن النيرفانا، والكارما والتناسخ أساس لأديان الهند، والطريق واحد تقريباً في هذه الأديان للتخلص من تكرار المولد، وهذا التخلص هو أسمى ما يتطلع له الهنود.

---

(١) Kern: Manual of Indian Buddhism
Holmes: the Greed of Buddha.

لا يوضح بوذا طبيعة النيرفانا، لإعتقاده أن هدف رسالته هو السعي لإحراز نعمة الغبطة الكاملة (أي التحرر من المكابدة التي تمثلها الحياة على الأرض) ولا يهدف إلى كشف أسرارها.

إن هدف النيرفانا يتضح في أنه إخماد نيران التروة والكراهية والجهالة، ويتضح كذلك معنى بلوغ بوذا مرتبة الاستنارة عندما كرس وقته لفعل الخير والتبشير به.

وحصل ذلك بعد ما سمع صوتاً من داخله يقول له إن الهوى هو أصل الحزن، والنفس هي التي تجلب الشقاء، وذلك أن المرء يقول دائماً أنا، أنا...

يقول بعض الباحثين إن شقاء الحياة وعناها وضجرها تنبعث من رغبات النفس وإن الإنسان يستطيع أن يكون سيد رغباته لا عبداً لها وإن في مقدوره الإفلات من هذه الرغبات بقوة الثقافة الروحية الداخلية ومحبة الآخرين[1].

الإله في فكر بوذا:

إن الفوضى التي كانت في الهند بالحشود من الآلهة والأرباب جعلت بوذا لا يرضى عن الحياة الروحية القائمة والمنغمسة في الغيبيات، فكان أن آمن إيماناً لا يرقى الشك إليه بضرورة إزاحة الفزع الجاثم على صدور الناس من خشية بطش الآلهة — بما يعنيه ذلك من انحلال الروح البشرية — عن طريق تدمير فكرة الإله إلى الأبد.

---

[1] أنظر حبيب سعيد «أديان العالم الكبرى ص ٥.

فإن إيثار الناس إلقاء أعباء حياتهم ومشكلات دنياهم على عاتق الإله عوضاً عن الاعتماد على جهودهم الذاتية، قد أهاب ببوذا أن يحصر تعليمه وتثقيفه في دنيا الناس. فكان أن نادي بأن الكارما – أي الفعل الإرادي – هي أساس كل شيء في الوجود، سواء بالنسبة للناس أو الحيوانات، ويقول أيضاً أن الإنسان يولد من أفعاله الذاتية، بل أن أفعاله هي التي تحدد جنسه.

وتنبذ البوذية رأي الروحانيين القائل بوجود خالق قدسي، كما أنها ترفض رأي الماديين الذين يعزون نشوء العالم إلى قوة مستقلة كامنة في الأشياء، ذلك لأنها تعتنق رأيا أساسه أن تنوع العالم مصدر الأفعال.

وإذا كانت البوذية تنكر فكرة الإله، لكن إنبعثت داخلها – وفي غضون حياة بوذا نفسه – عقيدة دينية إتجهت نحو تأليهه على الرغم من معارضته. فقد خاطبه أحد مريديه بقوله: «أنني أعتقد أيها السيد اعتقاداً لا يرقى إليه الشك أنه لن يظهر أحد أعظم منك ولا أحكم ولو كان براهما نفسه، فأجابه بوذا: «ما أجرأ الكلمات التي تفوهت بها، فما بالك بالرجال المستنيرين (البوذات) الذين ظهروا قبلي وسيفدون بعدي» فأجاب المريد: «لا أيها السيد، فإنك تعلم ما أخفى وما أعلن وتزن حكمتي وتقدر سلوكي... إن كل من ظهروا قبلك ومن سيظهر بعدك من المستنيرين لن يبلغوا شأوك من الحكمة والإعجاز.

وهكذا تطورت البوذية من منحى تفكيري خلقي، إلى عقيدة دينية.

حيث أن الإيمان بإله، هو اتجاه نفسي والابتعاد عن هذا المفهوم يربك النفس، ولهذا نرى أن أتبـــاع بوذا من بعده يفكرون في الإله ويعملون إلى

الوصول إليه والتعرف عليه، ولما كان بوذا قد ترك المجال خاليا. فقد لعبت بهم الأهواء، فاتجه بعضهم إلى الاعتقاد أن بوذا ليس إنساناً محضاً، بل إن روح الله قد حلت به، وهنا تشابه هذه العقيدة مع عقيدة الحلول التي يعتنقها المسيحيين في عيسى بن مريم عليه السلام ويقولون إن شخصيته تنائية: لاهوتية وناسوتيه، وإن الشخصية اللاهوتية حلت بالناسوت، وذهب بعض البوذية إلى القول بأن بوذا كائن لاهوتي هبط إلى هذا العالم لينقذه مما هو فيه من شرور.

وعن هذا يقول أبو المكارم آزاد[1] يبدو لي أن وضع بوذا في صفوف الفلاسفة أسهل من وضعه في صف الأنبياء، وذلك لأنه لم يتعرض في مباحثة لوجود الله، بل حاول حل مسألة الحياة، وانتهى منها دون التحرش بالله وبوجوده، إنه قد قطع كل علاقة له مع الحياة الدينية في الهند التي كانت تدين بآلهة وإلهات لا تعد ولا تحصى، إنه بدأ بحثه وفرغ منه دون أن يلجأ إلى الاعتقاد بالله، وإن الأساس الذي بنى عليه بحثه، أساس فلسفي، فقال إن هدف الجهد الإنساني يجب أن يكون الوصول إلى حل مسألة الحياة، وذلك من المستطاع دون الاستعانة بوجود فوق العقل، أجل، أسرع أتباعه بعد وفاته إلى تحويل تعاليمه إلى مذهب ديني. ولما وجدوا أنه ترك المكان الذي يحتله الله في الأديان فارغاً، عمدوا إلى بوذا نفسه، فحملوه ووضعوه فوق عرش الإله الفارغ، إلا أن بوذا ليس بمسؤول عما فعله أتباعه».

واتخذ بعض المفكرين الغربيين منحى آخر إذ يرون البوذية دينياً، لأنها

---

[1] وهو وزير المعارف في الهند سابقاً أنظر مقاله في «ثقافة الهند» عدد حزيران ١٩٥١ ص٢.

ترسم الطريق للتخلص من الذنوب، ولأن فيها جانبا روحيا، ولأن معتنقيها كانوا يمتازون بحماسة قوية لا تتوافر إلا مع الأديان[1].

ويقول العلامة الهندي رادها كرشنن[2] أن بوذا لم يكن نبياً لأنه لم يقرر عقائد، ولم يكن كذلك فيلسوفاً لأنه لم يؤسس مذاهب فلسفية، وإنما أسس دعوته بناء على تجربته الروحية التي لا يمكن بيانها بالألفاظ، فدعوته حكاية عن هذه التجربة، وعن الطريق المؤدي إليها، وبوذا يقول إن الحق لا يعرف بالنظريات، بل يعرف بالسير المتواصل في طريقه.

فأساس النظام الذي وضعه بوذا العمل لا العقيدة، فقد كان يحاول خلق عادة لا إقرار عقيدة، وعلى هذا ليس في تعاليمه إلا القليل الذي يصح أن يوصف بالعقيدة، كما أنه لم يأمر بعبادات ولا رياضيات تقشفية، وكل إلحاحه كان على التدريب الأخلاقي[3].

---

(١) Berry: Religions of the World. P. 43.

(٢) كان نائباً لرئيس جمهورية الهند سنة ١٩٥٢.

(٣) أنظر أبحاث لمجموعة من المفكرين الهنود عن «بوذا» نشرت في عدة أعداد من «ثقافة الهند».

مقارنة بين ما يقوله الوثنيون الهنود عن كرشنة والبوذيون عن بوذا مع ما يقوله المسيحيون عن المسيح.

إن مما يلفت النظر ويدعو للاستغراب أن نجد تشابهاً بين ما أتت به الديانة المسيحية بعد عيسى بن مريم عليه السلام وبين ما ذكرته الوثنية عن كرشنة والوثنية عن بوذا.

المقابلـــة الأولـــى

أقوال الهنود الوثنيين في كرشنة بن الله	أقوال المسيحيين في يسوع المسيح بن الله
كرشنة هو: «المخلص والفادي والمعزي والراعي الصالح والوسيط وابن الله والأقنوم الثاني من الثالوث المقدس وهو الأب والابن وروح القدس».	يسوع المسيح هو: «المخلّص والفادي والمعزي والراعي الصالح والوسيط وابن الله والأقنوم الثاني من الثالوث المقدس وهو الأب والابن وروح القدس».
[1]ولد كرشنة من العذراء ديفاكي التي اختارها الله والدة لإبنه (كذا) بسبب طهارتها وعفتها.	[1]ولد يسوع من العذراء مريم التي اختارها الله والدة لإبنه بسبب طهارتها وعفتها.
[2]عرف الناس ولادة كرشنة من نجمه الذي ظهر في السماء.	[2]لما ولد يسوع المسيح ظهر نجمه في المشرق وبواسطة ظهور نجمه عرف الناس محل ولادته.

---

[1] دوان صفحة ٢٧٨.

[1] إنجيل مريم الاصحاح السابع.

[2] كتاب تاريخ الهند المجلد الثاني صفحة ٣١٧ و ٣٣٦.

[2] إنجيل متى الإصحاح الثاني العدد ٣.

[1] لما ولد كرشنة أضيء الغار.

[2] لما ولد كرشنة كن «ناندا» خطيب أمه ديفاكي غائباً عن البيت حيث أتى إلى المدينة كي يدفع ما عليه من الخراج للملك.

[3] ولد كرشنة بحال الزل والفقر مع أنه من عائلة ملوكانية.

[4] وسمع ناندا خطيب ديفاكي والدة كرشنة نداًء من السماء يقول له قم وخذ الصبي وأمه فهربهما إلى كاكول وأقطع نهر جمنة لأن الملك طالب أهلاكه.

[1] لما ولد يسوع المسيح أضيء الغار.

[2] ولما ولد يسوع كان خطيب أمه غائباً عن البيت وأتى كي يدفع ما عليه من الخراج للملك.

[3] ولد يسوع المسيح بحالة الزل والفقر مع أنه من سلالة ملوكانية.

[4] وأنذر يوسف النجار خطيب مريم والدة يسوع بحلم كي يأخذ الصبي وأمه ويفر بهما إلى مصر لأن الملك طالب أهلاكه.

---

[1] دوان صفحة ٢٧٩.

[1] إنجيل ولادة يسوع المسيح الإصحاح ١٢ العدد ١٣.

[2] كتاب فشنو بورانا الفصل الثاني من الكتاب الخامس.

[2] إنجيل لوقا الإصحاح الثاني من عدد ١ إلى ٧.

[3] التنقيبات الأسيوية المجلد الأول صفحة ٢٥٩ وتاريخ الهند المجلد الثاني صفحة ٣١٠.

[3] أنظر تعداد نسبه في إنجيل متى وإنجيل لوقا وبأي حال ولد.

[4] كتاب فشنو بورأنا الفصل الثالث.

[4] إنجيل متى الإصحاح الثاني عدد ١٣.

كرشنة	يسوع
[1]وسمع حاكم البلاد بولادة كرشنة الطفل الآلهي وطلب قتل الولد وكي يتوصل إلى أمنيته أمر بقتل كافة الأولاد الذكور الذين ولدوا في الليلة التي ولد فيها كرشنة.	[1] وسمع حاكم البلاد بولادة يسوع الطفل الآلهي وطلب قتله وكي يتوصل إلى أمنيته أمر بقتل كافة الأولاد الذكور الذين ولدوا في الليلة التي ولد فيها يسوع المسيح.
[2]واسم المدينة التي ولد فيها كرشنة «مطرا» وفيها عمل الآيات العجيبة ولم تزل محل التعظيم والاحترام عند الهنود العابدين للأوثان القائلين عن كرشنة أنه ابن الله وأنه الله إلى يومنا هذا.	[2] واسم المدينة التي هاجر إليها يسوع المسيح في مصر لما ترك اليهودية هي «المطرية» ويقال أنه عمل فيها ايات وقوات عديدة.
[3] كانت ولادة القديس راما قبل ظهور كرشنة في الناسوت	[3] وكانت ولادة يوحنا المعمدان قبل ولادة يسوع المسيح بزمن قليل وقد

[1] دوان صفحة ٢٨٠.

[1] إنجيل متى الإصحاح الثاني.

[2] تاريخ الهند المجلد الثاني صفحة ٣١٧ والتنقيبات الأسيوية المجلد الأول صفحة ٢٥٩.

[2] واسم المدينة التي هاجر إليها يسوع المسيح في مصر لما ترك اليهودية هي «المطرية» ويقال أنه عمل فيها آيات وقوات عديدة.

[3] تاريخ الهند المجلد الثاني صفحة ٣١٦.

[3] إنجيل تاريخ ولادة يسوع المسيح الإصحاح السادس.

بزمن قليل وقد سعى قانسا ملك البلاد في إهلاك القديس راما وإهلاك كرشنة أيضاً.

سعى الملك هيردوس في إهلاك يوحنا كما سعى في إهلاك الطفل يسوع وكان يوحنا مبشراً بولادة يسوع المسيح.

[1] وفي أحد الأيام لسعت الحية بعض أصحاب كرشنة الذين يلعب معهم فماتوا فشفق عليهم لموقم الباكر ونظر إليهم بعين ألوهيته فقاموا سريعاً من الموت وعادوا أحياء.

[1] وبينما كان يسوع يلعب لسعت الحية أحد الصبيان الذين كان يلعب معهم فلمس يسوع ذاك الصبي بيده فعاد إلى حال صحته.

[2] وأول الآيات والعجائب التي عملها كرشنة شفاء الأبرص.

[2] وأول الآيات والعجائب التي عملها يسوع المسيح هي شفاء الأبرص.

[3] وأتي إلى عند كرشنة بإمرأة فقيرة مقعدة ومعها إناء فيه طيب وزيت وصندل وزعفران وذابد وغير ذلك من أنواع الطيب فدهنت منه جبين كرشنة بعلامة خصوصية وسكبت الباقي على

[3] وفيما كان يسوع في بيتعتيافي بيت سمعان الأبرص تقدمت إليه إمرأة معها قارورة طيب كثير الثمن فسكبته على رأسه وهو متكيء.

---

[1] تاريخ الهند المجلد الثاني صفحة ٣٤٣.

[1] إنجيل الطفولية الإصحاح ١٨.

[2] تاريخ الهند المجلد الثاني صفحة ٣١٩..

[2] إنجيل متى الإصحاح الثامن العدد الثاني.

[3] تاريخ الهند المجلد الثاني صفحة ٣٢٠.

[3] إنجيل متى الإصحاح السادس والعشرين عدد ٦ و ٧.

رأسه.	
[(١)] كرشنة صلب ومات على الصليب.	[(١)] يسوع صلب ومات على الصليب.
ومات كرشنة ثم قام من بين الأموات.	ومات يسوع ثم قام من بين الأموات.
[(٢)] ونزل كرشنة إلى الجحيم.	[(٢)] ونزل يسوع إلى الجحيم.
[(٣)] وصعد كرشنة بجسده إلى السماء وكثيرون شاهدونه صاعداً.	[(٣)] وصعد يسوع بجسده إلى السماء وكثيرون شاهدونه صاعداً.
[(٤)] ولسوف يأتي كرشنة إلى الأرض في اليوم الأخير ويكون ظهوره كفارس مدجج بالسلاح وراكب على حواد أشهب وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر وتزلزل الأرض وتهتز وتتساقط النجوم من السماء.	[(٤)] ولسوف يأتي يسوع إلى الأرض في اليوم الأخير كفارس مدجج بالسلاح وراكب جواد أشهب وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر أيضاً وتزلزل الأرض وتهتز وتتساقط النجوم من السماء.

[(١)] دوان صفحة ٢٨٢.

[(١)] إنجيل متي الإصحاح ٢٨

[(٢)] دوان صفحة ٢٨٢.

[(٢)] دوان ٢٨٠ وكذلك كتاب الإيمان المسيحين وغيره.

[(٣)] دوان صفحة ٢٨٢.

[(٣)] إنجيل متى الإصحاح الرابع والعشرين.

[(٤)] دوان صفحة ٢٨٢.

[(٤)] إنجيل متى الإصحاح ٢٤.

[1] وهو (أي كرشنة) يدين الأموات في اليوم الأخير.

[2] كرشنة هو برهما العظيم القدوس وظهوره بالناسوت سر من أسراره العجيبة الآلهية.

[3] كرشنة الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس عند الهنود الوثنيين القائلين بألوهيته.

[1] ويدين يسوع الأموات في اليوم الأخير.

[2] يسوع هو يهوه العظيم القدوس وظهوره في الناسوت سر من أسراره العظيمة الآلهية.

[3] يسوع المسيح الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس عند النصارى.

---

[1] دوان صفحة ٢٨٣.

[1] إنجيل متى الإصحاح ٢٤ العدد ٣١ ورسالة الرومانيين الإصحاح ١٤ العدد ١٠.

[2] فشنوروانا صفحة ٤٩٢ عند شرح حاشية عدد ٣.

[2]) رسالة تيموثاوس الأولى الإصحاح الثالث.

[3] مورس وليمس في كتابه المدعو العقائد الهندية الوثنية صفحة ١٠.

[3] أنظر كافة كتبهم الدينية وكذلك الأناجيل والرسائل.

المقابلـــة الثانيـــة

أقوال الهنود الوثنيين في بوذا بن الله

(١) ولد بوذا من العذراء مايا بغير مضاجعة رجل.

(٢) كان تجسد بوذا بواسطة حلول روح القدس على العذراء مايا.

(٣) وقد دل على ولادة بوذا نجم ظهر في أفق السماء ويدعونه «نجم المسيح».

(٤) ولد بوذا بن العذراء مايا التي حل فيها الروح القدس يوم عيد الميلاد (أي في ٢٥ كانون الأول).

أقوال المسيحيين في يسوع المسيح بن الله

(١) ولد يسوع المسيح من العذراء مريم بغير مضاجعة رجل.

(٢) كان تجسد يسوع المسيح بواسطة حلول الروح القدس على العذراء مريم.

(٣) وقد دل على ولادة يسوع نجم ظهر في المشرق (قال دوان ومن الواجب أن يدعى «نجم المسيح».

(٤) ولد يسوع بن العذراء مريم التي حل فيها الروح القدس يوم عيد الميلاد (اي في ٢٥ كانون الأول).

---

(١) كتاب ديانة الهنود الوثنيون

(١) إنجيل متى الإصحاح ١.

(٢) كتاب دوان صفحة ٢٨٩ وكتاب بنصون المدعو الملاك المسيح صفحة ١٠ و ٢٥.

(٢) إنجيل متى الإصحاح ١.

(٣) دوان صفحة ٢٩٠.

(٣) إنجيل متى الاصحاح الثاني عدد ١و٢.

(٤) كتاب بنصن الملاك المسيح صفحة ١٠.

(٤) دوان صفحة ٢٩٠.

(١) لما كان بوذا طفلاً قال لأمه مايا أنه أعظم الناس جميعاً.

(١) لما كان يسوع طفلاً قال لأمه مريم «أنا بن الله».

(٢) لما أرسل بوذا إلى المدرسة وهو ولد أدهش الأساتذة مع أنه لم يدرس من قبل وفاق الجميع في الكتابة والرياضيات والعلوم العقلية والهندسة والتنجيم والكهانة والعرافة.

(٢) لما أرسل يسوع إلى المدرسة أدهش أستاذه ذاخيوس وقال لأبيه يوسف «لقد أتيتني بولد لأعلمه مع أنه أعلم من كل معلم».

(٣) لما صار عمر بوذا أثنى عشرة سنة دخل أحد الهياكل وصار يسئل أهل العلم مسائل غويصة ثم يوضحها لهم حتى فلق كافة مناظرينه.

(٣) لما صار عمر يسوع اثنى عشر سنة جاؤا به إلى «الهيكل» أورشليم وصار يسئل الأحبار والعلماء مسائلاً مهمة ثم يوضحها لهم وأدهش الجميع.

(٤) ودخل بوذا مرة أحد الهياكل فقامت الأصنام من أماكنها وتمددت عند رجلتيه سجوداً له.

(٤) وكان يسوع ماراً قرب حاملي الإعلام فأحنت الأعلام رؤوسها سجوداً له.

---

(١) كتاب هردي المدعو العقائد البوذية فصحة ١٤٥ و ١٤٦.

(١) إنجيل الطفولية الإصحاح الأول العدد ٣.

(٢) كتاب هردي «العقائد البوذية» وكتاب بنصون «الملاك المسيح» وكتاب بيل «تاريخ الديانة البوذية».

(٢) إنجيل الطفولية الإصحاح ٢٠ عدد ١١ وإنجيل لوقا الإصحاح الثاني العدد ٤٦ و ٤٧.

(٣) بنصن الملاك المسيح صفحة ٣٧ وبيال تاريخ البوذية من صفحة ٦٧ إلى ٦٩.

(٣) إنجيل الطفولية الإصحاح ٢١ عدد ١و٢ وإنجيل لوقا الإصحاح الثاني من عدد ٤١ إلى ٤٨.

(٤) بنصن الملاك المسيح صفحة ٣٧ وبيال تاريخ البوذية من صفحة ٦٧ إلى ٦٩.

(٤) إنجيل نيكود يومس الإصحاح الأول عدد ٢٠.

بوذا	يسوع
[1] وقد عمّد بوذا المخلّص وحين عمادته بالماء كان روح الله حاضراً وهو لم يكن الآله العظيم فقط بل وروح القدس الذي فيه صار تجسد كوتاما لما حل على العذراء مايا.	[1] ويوحنا عمد يسوع بنهر الأردن وكانت روح الله حاضرة وهو لم يكن الاله العظيم فقط بل والروح القدس الذي فيه تم تجسده عندما حل على العذراء مريم فهو الأب والابن والروح القدس.
[2] لما مات بوذا ودفن انحلت الأكفان فتح غطاء التابوت بقوة غير طبيعية (أي بقوة آلهية).	[2] لما مات يسوع ودفن انحلت الأكفان وفتح القبر بقوة غير اعتيادية أي بقوة آلهية.
[3] وصعد بوذا إلى السماء بجسده لما أكمل عمله على الأرض.	[3] وصعد يسوع بجسده إلى السماء من بعد صلبه لما كمل عمله على الأرض.
[4] ولسوف يأتي بوذا مرة ثانية إلى الأرض ويعيد السلام والبركة فيها.	[4] ولسوف يأتي يسوع مرة ثانية إلى الأرض ويعيد السلام والبركة فيها.

[1] كتاب الملاك المسيح صفحة ٤٥ تأليف بنصن وكتاب تاريخ البوذية تأليف بيل صفحة ١٧٧.

[1] إنجيل متي الإصحاح ٧ عدد ١و٢

[2] دوان صفحة ٢٩٣.

[2] إنجيل متي الإصحاح ٢٨ وإنجيل يوحنا الإصحاح ٢٠.

[3] دوان صفحة ٢٩٣.

[3] أعمال الرسل الإصحاح الأول من عدد ١ إلى ١٢.

[4] دوان صفحة ٢٩٣.

[4] أعمال الرسل الإصحاح الأول.

[1] وسيدين بوذا الأموات.	[1] وسيدين يسوع الأموات.
[2] قال بوذا أنه لم يأت لينقض الناموس كلا بل أتى ليكمله وقد سره عد نفسه حلقة في سلسلة المعلمين الحكماء.	[2] وقال يسوع «لا تظنوا أني جئت أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل.
[3] وجاء في كتب البوذية القانونية المقدسة أن الجموع طلبوا من بوذا آية كي يؤمنوا به.	[3] وجاء في كتب النصارى الدينية المقدسة أن الجموع طلبوا من يسوع علامة (أي آية) ليؤمنوا به.

---

[1] دوان صفحة ٢٩٣ وغيره أيضاً.

[1] إنجيل متى الإصحاح ١٦ العدد ٢٧ إنجيل يوحنا الإصحاح ٥ العدد ٢٢.

[2] كتاب بنصون الملاك المسيح صفحة ٤٧ و ٤٨ وكتاب أمبرلي المدعو تحليل الأديـان صـفحة ٢٨٥ وغيرهما.

[2] إنجيل متى الإصحاح الخامس العدد ١٧.

[3] كتاب علم الأديان صفحة ٢٧ تأليف مولز

[3] إنجيل متى الإصحاح ١٢ العدد ٣٨.

المصـــادر والمراجـــع

- القرآن الكريم
- الكتاب المقدس
- التوراة
- التلمود
- الأناجيل الأربعة
- إنجيل برنابا

١- باللغـــة العربيـــة

- **ابن حزم الأندلسي**: الفصل في الملل والنحل.
- **الشهرستاني**: الملل والنمل.
- **د. أحمد شلبي**: مقارنة الأديان – الجزء الأول اليهوديـــة – مكتبـــة النهضة القاهرة ١٩٩٣
- **د. أحمد شلبي**: مقارنة الأديان الجزء الثاني: المسيحية مكتبة النهضـــة ١٩٩٣.
- **د. أحمد شلبي**: مقارنة الأديان الجزء الرابع أديان الهند الكـــبرى – مكتبة النهضة ١٩٩٠.
- **أبي الحسن محمد بن يوسف العامري**: الإعلام بمناقب الإسلام تحقيق ودراسة أحمد عبد الحميد غراب وزارة الثقافة – القاهرة ١٩٦٧.
- **القسيس إبراهيم سعيد**: شرح بشارة لوقا.

- **أثريا**: ثقافة الهند وحياتها الروحية والأخلاقية والاجتماعية.

- **إسرائيل ولفتسون**: تاريخ اللغات السامية.

- **الأب بولس الياس الخوري**: يسوع المسيح.

- **الأب بوطر**: الأصول والفروع.

- **حاى بن شمعون**: الأحكـام الشـرعية في الأحـوال الشخصـية للإسرائيليين. مطبعة كوهين وروزنتال مصر ١٩١٢.

- **حسن الباش**: بروتوكولات صهيون من التنظير إلى التدمير. دار قتيبة بيروت ١٩٩٠.

- **حبيب سعيد**: أديان العالم الكبرى.

- **د. حسن ظاظا**: الفكر الديني اليهودي – أطواره ومذاهبه، الـدار الشامية، بيروت ١٩٩٩.

- دائرة المعارف البريطانية.

- دائرة المعارف الإسلامية.

- **رشيد رضا**: شبهات النصارى وحجج المسلمين.

- **الشيخ رحمة الله الهندي**: أظهار الحق. دار التراث العربي – القاهرة – ١٩٧٨.

- **الشيخ رحمة الله الهندي**: وقائق المناظرة الكبرى – دار البشائر الإسلامية بيروت ١٩٩٦.

- **روهلنج**: الكتر المرصود في قواعد التلمود. ترجمة يوسف نصر الله دار العلوم.

- **زكي شنودة**: تاريخ الأقباط.

- **سليمان مظهر**: قصة العقائد.

- **د. سامي النشار**: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام. ط٤ دار المعارف ١٩٦٦.

- **الشيخ شلتوت**: الإسلام عقيدة وشريعة القاهرة.

- **صبري أو المجد**: نهاية إسرائيل.

- **ظفر الله خان**: التلمود. تاريخه وتعاليمه. دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٢.

- **عبد الأحد داود**: الإنجيل والصليب.

- **عبد الأحد داود**: محمد في الكتاب المقدس. ترجمة فهمي شما.

- **عبد الله التل**: خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية. دار القلم. القاهرة ١٩٦٤.

- **عبد الوهاب النجار**: قصص الأنبياء.

- **عبد الرحمن سامي**: الصهيونية والماسونية.

- **عصام الدين حفني ناصف**: محنة التوراة على أيدي اليهود.

- **غوستاف لو بون**: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى. مترجم.

- **غوستاف لو بون**: حضارة الهند.

- **المسيحية عقيدة وعمل**، الفاتيكان. منشورات ١٩٦٨.

- **فؤاد محمد شبل**: البوذية دار المعارف بمصر ١٩٧٣.

- **د. فؤاد حسنين علي**: اليهودية واليهودية المسيحية – معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٨.

- **كوستي بندلي**: مدخل إلى العقيدة المسيحية.

- **ليون غوتيه**: المقدمة أو المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية باريس ١٩٢٣.

- **محمد عبد السلام الرامبوري**: «فلسفة الهند القديمة» ثقافة الهند آذار ١٩٥٣.

- **محمد عبد السلام الرامبوري**: الجينية: مقالات وأبحاث عن فلسفة الهند القديمة.

- **د. محمد علي الزعبي**: البوذية. مطبعة الأنصاف. بيروت ١٩٦٤.
- **د. محمد أحمد الحاج**: النصرانية من التوحيد إلى التثليث.
- **الشيخ محمد أبو زهرة**: محاضرات في النصرانية. مطبعة يوسف ١٩٦٦.
- **الشيخ محمد أبو زهرة**: مقارنات الأديان – الأديان القديمة. دار الفكر العربي – القاهرة ١٩٦٥.
- **محمد طاهر التنير**: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية.
- **ميشال الحايك**: المسيح في الإسلام بيروت ١٩٦١.
- **محمد أقبال**: تجديد الفكر الديني في الإسلام. ترجمة عباس محمود. القاهرة. ١٩٥٥.
- **محمد البهي**: الدين والحضارة الإنسانية.
- **محمد عبد الله دراز**: الدين.
- **محمد عزة دروزة**: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم.
- **محمد فريد وجدي**: دائرة المعارف.
- **ندره اليازجي**: رد على اليهودية والهودية المسيحية.

- وهيب عطا: طبيعة السيد المسيح.

- وول ديورانت: قصة الحضارة.

٢-_باللغـــات الأجنبيـــة:

- La Bible Traduite du Texte original par les members du Rabbinat Francais. Paris 1990.

- **H. Bergson:** Les Deux sources de la morale et de la religion, Paris, 8°éd. 1948.

- **Berry:** Religions of The World.

- **Maurice Bucaille:** La Bible, Le Coran et la science. Éd. Seghers. Paris 1978.

- **Roland Binton:** The Church from The Beginning up to The 20° Century.

- **Lawrence Browne:** From Babylon To Bethlehem.

- **De Glasenapp:** Groyances et Rits des Grandes Religions. Paris 1966.

- **S.R. Driver:** An Introduction to the Literature of The old Testament: 9th éd. Edinburgh. 1929.

- **T.W. Doane:** Bible MyThs and their Parllels in other Religions.

- **L. Duchesne:** Autonomies Éccléiastiques. Église réparées 1896.

- **L. Duchesne:** Histoire Ancienne de l'église.

- **Fabre :** Origin of Heathen Idolatry.
- **Paul Fargues :** Introduction à l'Ancien Testament, Paris 1923.
- **Lucien Gautier:** Introduction à l'Ancien testament – Payot Suisse 1939.
- **Ch. Guignebert :** Le Monde Juif vers le temps de Jesus, Paris 1950.
- **Alfred. E. Gravie :** Encyclopedia of Religions and Ethics.
- **Higgins :** The Celtic Druids.
- **Holmes :** The Greed of Buddha.
- **James Hosmer:** The Jews.
- **Arthur Hertzberg :** «Judaism».
- Introduction, Hebrew Literature. New York. 1901.
- **Edmond Jacob : «La Bible»** Presses Universitaire de France, Collection Que – Sais – je?
- **Jeremias :** «The Old Testament in The Light of the Ancient East Passim».
- **Jameson :** The History of our Lord.
- **Charles Kent :** A History of the Hebrew People.

- **M.D.A Maior:** Islamic Review.
- **Maurice:** Indian Antiquities.
- **David Keldani:** Muhammad, in the Bible.
- **Jean de Pauly:** «Code civil et Pénal dû Judaïsme. Paris 1986.
- **Prichard.** An Analysis of The Historial records of Ancient Egypt.
- **Lewis Renou:** «Hinduism».
- **J.W.D. Smith:** God and man in Early Israël.
- **Tarek El Saadi:** Histoire du Christianisme au Moyen-Âge Formation du 3éme Cycle. U. de Bx. France 1984.
- **E.J. Thomas:** The History of Buddist Thought.
- **E.H. Weech:** Civilization of the Near East.
- **J. Shot. Wells:** The Religions Revolution of today.
- **J. Shot. Wells:** The Outline of History.

المحتـــوى

الصفحـــة

الفصل الثالث

المسيحية

الفصـــل الرابـــع
الأديـــان غيـــر الكتابيـــة